﴿كتاب﴾

الاسرار الالهيه
شرح القصيدة الرفاعيه

تأليف العالم الفاضل الذى تشد لفضله
شهب الرواحل السيد محمود شكري أفندى
الآلوسى البغدادى الحسينى النسب الرفاعى الطرقة
والمشرب حفيد العلامة الفهامة المرحوم مفتى العراق خاتمة
المفسرين بالاتفاق الشهاب أبى الثناء السيد محمود
لازال رمسه مهبط رحمة الكريم الودود ولا
زالت عوارف الفتوحات تحف بالمؤلف
النجيب فترقيه مراتب الكمال
بحرمة النبى والصحب
والآل
آمين

﴿الطبعة الاولى﴾
(بالمطبعة الخيريه المنشأة بجوش عطى بجماليه)
(مصر المحميه سنة ١٣٠٥)
﴿هجريه﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أحمدك اللهم يامن سلك بخواص عباده مسالك عنايته بأبهى سلوك الى منازل العرفان
فهاموا فى مهامه الاشواق ونهج بهم مناهج هدايته فى طرق الطرائق العلية الى ربوع
الاحسان فعاموا فى بحار الاذواق وجذبهم بسلاسل جذبات محبته فأوصلهم الى أرفع
مقامات الاخلاص وخصهم اذ منحهم بشرف الحضور فى الحضرات الخمس فتفردوا بذلك
الاختصاص وأصلى على ممدوحك الذى كونته من جيد الخصال فغدا بيت قصيد المرسلين
ومحمودك الذى وشحته بأبهى وشاح من أحمد الافعال فكان عين نظام عقد النبيين وحبيبك
الذى انشقت منه الاسرار وصفيك الذى انفلقت عنه الانوار بدر سماء العوارف وشمس
فلك المعارف صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين أودعت فى خزائن
قلوبهم المطهرة أسرار الغيوب وأترعت حياض صدورهم بكل صادر ووارد من اشراق
أنوار تجليات مشاهدة المحبوب فانتظمت درر محاسنهم فى سلك الوجود أنفر نظام وانسقت
مدائح شرفهم فى عقد لبة الايام ﴿أما بعد﴾ فيقول المفتقر الى فيوضات مولاه جل شأنه
وعز علاه محمود شكرى الحسينى الآلوسى البغدادى صانه الله تعالى من كيد الاعادى
ابن ذى الفضائل والعالم الكامل أبى السعود عبد الله بهاء الدين ابن علامة عصره
وفهامة مصره مفتى العراق وخاتمة المفسرين أبى الثناء السيد محمود شهاب الدين تغمدهم
الله تعالى برحمته وأسكنهم فسيح جنته انه بيد التوفيق قد ناولتنى قصيدة صدحت بلابل

البلاغة فى رياضها وكرعت حمائم الفصاحة من زلال حباضها قد أينعت فيها ثمار الجزالة وأورقت فيها أغصان الرشاقة والطرافة ففازت من اللطف كماله لم أر مثلها نظاما ولا أحلى منها كلاما ولا أصدق منها لهجة ولا أقوم منها محجة نظمت فرائدها وانتظمت قلائدها فى مدح السيد الضرغام والشريف الرفيع المقام سليل الحسنين الاحسنين ناصر سنة جده سيد الكونين الذى تواتر حديث جلالته وأجمع العارفون على ولايته صاحب الاحوال الباهرة والكرامات الظاهرة والانفاس الطاهرة والبرهان المؤيد والمجد الذى لا يجحد والسر الذى عمت بركاته الحاضر والبادى وانتشر صيته فى كل ناد ووادى حتى بهر بجلال صفاته أطوار العقول ونال منه السالكون غاية الوصول حضرة القطب الذى غدا مدارا لجميع الاقطاب واستنار فى أفلاك الحقيقة شمسا مشرقة بأنوار الكمالات لا يسترها حجاب غوث الخلائق منبع الحقائق كاشف المعضلات صاحب الفتوحات السالك مسالك وصول عند الصباح يحمد القوم فيها السرى والناهج مناهج قرب تطوى فيها للمريد منازل السير حتى يقال له اخلع نعليك فانك بالوادى المقدس طوى ملاذى الذى ظلل برفيع مقامه كل لائذ وعياذى الذى حمى بمنيع جنابه كل عائذ ذى الرشد الذى اهتدى به الى أقصى الآمال والارشاد الذى وصل به كل من تاه فى قفار الضلال رافع العلمين وثالث النيرين سمى حبيب الله عليه التحية والسلام المنيب الى مولاه ذى الجلال والاكرام مشكور المبرات والمساعى مولانا ومقتدانا أبى العباس محيى الدين السيد الكبير أحمد الرفاعى قدس الله تعالى سره وأفاض على العالمين بره فبقيت أسرح بين آرام مقاصدها وأسرح فى رياض فوائدها ففى كل لمحة يحلق بازى الفكر منها على لطيف أسلوب وفى كل لحظة يلوح لعين البصيرة غريب فن يخلب القلوب وقد اشتملت على غرر شمائل ذلك الولى الجليل وانطوت على درر فضائل ذلك الواصل النبيل فأحببت ان أعلق عليها شرحا يكشف كنوز أسرار حقائقها ويبرز مكنون رموز غوامض رقائقها فلعل ذلك يكون ان شاء الله تعالى سببا لصلاح حالى ووسيلة لنيل آمالى وتمكين بلبالى اذ بذكر الصالحين تنزل الرحمة وبنسائم أنفاسهم تنكشف غياهب الغمة ولما يسر الله ما قصدته وأتم جل شأنه ما تمنيته وطلبته وتم هذا الكتاب وطابت به قلوب الاحباب وتلقاه أهل السنة وأصحاب خدمة الشريعة بيد القبول وانعطفت عليه بالاستحسان أنظار أرباب الانصاف من ذوى المعقول والمنقول وسميته بالاسرار الالهية شرح القصيدة الرفاعية خدمة لاعتاب ملك أظلت بسلطنته الممالك الاسلامية وتباشرت فرحا بخلافته الملة المحمدية الذى اعتدل معوج الامور بعدالته واستقامت منضبات الامور بحسن سياسته الذى رعى الرعية بجميل الرعاية ودبر دابر أمورهم بقادم العزم وواسع الدراية شمس فلك الهمة والاقدام بدر حوالك المدلهمات اذا اشتد الظلام الباقر بحراب حرو به بطون ذوى العناد الطاعن بقناة صولته ظهور أرباب الفساد حلال عقد المشكلات بأنامل سيفه الباتر عاقد ألوية العز على هام السماك الرامح بسمر المفاخر وبيض المآثر الكاف بوكف كفه عن الخلق ضوارى الحاجات الدافع بمدافع بأسه جيوش الشدائد وعوادى العدات الذى نظم بنظام عساكره منثور الاحوال ونثر بأسنة فتكه وبطشه منظوم كتائب أرباب

البغي والضلال حتى غدت سواري السيارات سائرة في أفلاك أمنه ويمنه وأجياد أرباب الاستحقاق مطوقة بأطواق جوده ومننه فخر الشجرة العثمانية وواسطة قلادة السلطنة السنية السلطان الاعظم والخاقان المكرم السلطان ابن السلطان أمير المؤمنين حضرة ﴿السلطان الغازي عبد الحميد خان﴾ ابن السلطان الغازي عبد المجيد خان

مجدد هذا الدين مهدي عصره * بصولته قد مهد السهل والوعرا
مآثره في الخافقين تواترت * فشنفت الاسماع أصدافها دررا
فلله آثار عطارد سعدها * على جبهة الافلاك حررها سطرا
مزاياه محيي الدين وري بذكرها * وأورد منها ما به ملأ الجفرا
باشكال تأسيس العناية هندست * قواعده في كل زاوية قطرا
حمت بيضة الاسلام احضان رفقه * فلم تخش ما دامت باحضانه كسرا
فكسرى أنوشروان في جنب عدله * يرى عدله في عين انصافه جورا
مليك لمثلي من عاداه ألسني ببطشه * وأعلى لمن والاه من عزه قدرا
لقد أذعنت كل الملوك لامره * جلالا فلم ترهقه من أمره عسرا
اذا عرضت من فادح الدهر لجة * نصبنا عليها من مهابته جسرا
بنثر الاعادي من صفوف نظامه * يعلمنا قانونه النظم والنثرا
تلا حزبه آيات سورة قصه * فلم يحو حزب قط من جزئه عشرا
وفي دوره الاعلى تسلسل نظمه * ومنه السواري قد تعلمت السيرا
أرانا بداجي الفكر صارم عزمه * غداة غزا أهليه من غربه فجرا

أدام الله تعالى أركان دولته ثابتة بالنصر والتأبيد وقباب سلطنته محفوفة بالعز والتأييد ولا برحت سدته السنية ملجأ لطوائف الملوك وعياذا منيعا للممالك والمملوك شكرا على ما أنعم على الانام وأسدى من رأفته على كافة الاسلام خصوصا ما أسبغ على العلم وبنيه والشرع الشريف وذويه ولعمري اني لم أقصد بهذه الخدمة المباركة الا اعلاء شرف الشريعة وتأييد كلمة الطريقة ورفع هذه البضاعة الطيبة لسدة كافل حماية هذا الدين المبين على الحقيقة نصره الله وأيده وشد به أطناب الملك وشيده ألا وان القصيدة التي أشرنا اليها ونشرنا سندس هذا الشرح عليها نفثها ملك الالهام في روع من أشرقت في سماء قربه شمس الفتح المكتسب من أنوار سيدنا أمير المؤمنين ومنحته عناية الله رموز عرفان اعترف له بها أعيان العارفين السيد الذي رشحت كمالات فضائله من عين العناية الربانية ولمعت لمحات محاسن شمائله من افق الهداية الرحمانية سليل السادة الفاطمية الاصفياء ونخبة القادة الاحمدية الاتقياء الذي جلته التجليات بجمال السيادة وأشرقت عليه أنوار جلال الهيبة والسعادة صاحب التآليف التي أخذت بأيدي البلاغة من مهاوي التلف والتصانيف التي أنقذت غريق الفصاحة من بحار اللهف شيخ الشيوخ ومعدن الرسوخ نقيب أشراف حلب الشهباء حضرة السيد محمد أبو الهدى أفندي الصيادي الرفاعي لازالت يد العناية آخذة بيده الى أوج العرفان ولا برحت درجات الارشاد راقية به الى فلك الهداية وعرش الاحسان آمين ويحق له ان يصرف نقود الافكار

يمدح هذا الامام الذى اشتهر أمره فى الآفاق وانتشر لواء فضله فى بلاد الله على الاطلاق وامتد فى المقامات والاحوال باعه وعمرت بالفضل والافضال رباعه

الامام الجليل غوث البرايا • غيثها المرتجى ندى احسانه
ذو سجايا مثل الرياض سقاها • وابل القطر من ندى هتانه
بحر جود له جداول عشر • فى يديه تدفقت من بنانه
سار فى الخافقين ذكر علاه • وعلا قدره على كيوانه
فائض العلم عن روية فكر • كاد يجلو سر القضا بعيانه
ثابت الذهن كم خفايا علوم • قد جلاها بالكشف عن برهانه
فهو كشاف مشكلات معان • حل الفاظها بديع بيانه

رضى الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا به وباخوانه أولياء الله أجمعين وهذه القصيدة التى ذكرناها وبهذا المختصر شرحناها قال ناظمها لازال ناظما لعقود المعارف رافلا بامراط النعم والعوارف

نور قرب فى حالة البعد أقبل • فغشى موكب الامام المبجل
شيخنا السيد الكبير الرفاعى • أعظم الصالحين حالا وأفضل
لاثم الراحة الشريفة فى مشهد مجد حماه أشرف مرسل
فرع ذاك الاصل الاصيل سليل النسب الطاهر الشريف المسلسل
ناصر السنة السنية شيخ القوم انداهم وعينا وأطول
صاحب الهمة التى قام منها • فوق عرش الكمال للفضل هيكل
فلك الفخر بهجة الدهر معنى • دولة الاولياء فى كل محفل
ذل فى ساحة الدلال كمالا • وعجيب مدلل يتذلل
حل من حضرة التمكن رحبا • عز أن ينتهى اليه مكمل
فلهذا أضحى امام البرايا • وعليه فى العارفين المعول
جبل راسخ أبان سلوكا • عن طريق الرسول لا يتحول
شرف حط عن مداه الدرارى • وغرار نصوصه البيض تنفل
ليت شعرى وهل تساعد ليت • وأرانى برحبه أتملل
ذاك غاب فيه توسد ليث • من علىّ ليث الاله تنسل
علم الشرق قطب دائرة الصد • ق منبع الحمى الامام المفضل
باب وصل بفضله لابيه • سيد الانبيا الاولى يتوصل
وبعالى عرفانه فى المهما • ت الى الله ربنا يتوسل
وجدير بمن براه ضراعا • ان يرى النجح فى الامور ويقبل
رضى الله عنه ما افتر ثغر الروض لطفا فى ساحة رشها الطل

وههنا أمور يجب التنبيه عليها والاشارة قبل الخوض فى المقصود اليها الاول أن مراتب الكمال أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية الكمال أحدها معرفة الحق الثانية عمله به الثالثة تعليمه من لا يحسنه الرابعة صبره على تعليمه والعمل به وقد أشار الناظم

سلمه الله تعالى فى قصيدته هذه الى أن السيد رضى الله تعالى عنه قد نال هذه المراتب الاربعة واستكمل الفضل أجمعه فقد أشار الى المرتبة الاولى بقوله حل من حضرة التمكن رحبا الخ بل الى غايتها فان التمكن كالتمكين مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة ومادام العبد فى الطريق فهو صاحب تلوين لانه يرتقى من حال الى حال وينتقل من وصف الى وصف فاذا وصل واتصل فقد حصل التمكن وكثير من أبيات القصيدة تشير الى هذه المرتبة أيضا والى المرتبة الثانية بقوله أعظم الصالحين الخ وقوله ذل فى ساحة الدلال الخ والى الثالثة بقوله شيخنا السيد الخ وقوله ناصر السنة السنية شيخ القوم الخ وقوله دولة الاولياء أى رئيسهم وقوله أضحى امام البرايا الخ وقوله أبان سلوكا عن طريق الرسول والى الرابعة بقوله صاحب الهمة الخ وقوله جبل راسخ وكان الناظم سلمه الله تعالى لم يرتب ذلك على ترتيب المراتب السابقة اعتمادا على فهم الفطن اللبيب وانما قلنا ان استكمال هذه المراتب يوجب غاية الكمال لان الكمال ان يكون الشخص كاملا فى نفسه مكملا لغيره وكماله باصلاح قوته العلمية والعملية فصلاح القوة العلمية بالايمان وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله غيره بتعليمه اياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل فتدبر الثانى من الامور أن عدة أبيات هذه القصيدة تسعة عشر بيتا والادباء يستحسنون ان تكون القصيدة وترا وأن يجاوز بها العقد أو يتوقف دونه كل ذلك ليدلوا على قلة التكلف والقاء البال بالشعر فلهذا راعى الناظم سلمه الله هذه النكتة فى اختياره العدد المذكور وقد اختلفوا فى مقدار ما تطلق عليه القصيدة فقيل ثلاثة أبيات فصاعدا وقيل ما فوق السبعة والا فهى تنفة وفى عمدة ابن رشيق ومن الناس من لا يعد القصيدة الا ما بلغ عشرة أو جاوزها ببيت واحد وأقول ان هذا هو الشائع اليوم بين الادباء والعدد الذى أشرنا اليه لم يبلغ حد الطول فيمل ولا القصر فيستقل وهذه الطريقة أعدل الطريقتين وأحسن المرتبتين ولكل مقام مقال وقد سئل عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطيل قال نعم ليسمع منها قيل وهل كانت توجز قال نعم ليحفظ عنها وقال الخليل بن أحمد يطول الكلام ويكثر ليفهم ويوجز ويختصر ليحفظ ويستحب الاطالة عند الاعذار والانذار والترغيب والترهيب والاصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحرث بن حلزة ومن شابههما والا فالقطع أطير فى بعض المواضع والطوال للمواقف المشهورة وقال بعض العلماء يحتاج الشاعر الى القطع حاجته الى التطويل بل هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثيل والملح أحوج اليها منه الى الطوال وقال أحد المجددين وهو محمد بن حازم

أبالى أن أطيل الشعر قصدى • الى المعنى وعلمى بالصواب

وايجازى بمختصر قصير • حذفت به الطويل من الجواب

وقيل لابن الزبعرى انك تقصر أشعارك فقال لان القصار أولج فى المسامع وأجول فى المحافل وقال مرة أخرى يكفيك من الشعر غرة لائحة وسبة فاضحة وقيل للجماز لم لا تطيل الشعر فقال لحوقى الفضول وحذق بالفصول وزعم الرواة أن الشعر كله انما كان رجزا أو قطعا وانه انما قصد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أول من قصده مهلهل وامرؤ القيس وبينهما وبين مجىء الاسلام مائة ونيف وخمسون سنة ذكر ذلك الجمحى وغيره وأول من

طول

طول الرجز وجعله كالقصيد الاغلب العجلى شيأ يسيرا وكان على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أتى العجاج فافتن فيه فالاغلب العجلى والعجاج فى الرجز كامرئ القيس ومهلهل فى القصيد والشاعر اذا قطع وقصد ورجز فهو الكامل وقد جمع ذلك كله الفرزدق ومن المحدثين أبو نواس وكان ابن الرومى يقصد فيجيد و يطيل فيأتى بكل احسان وربما تجاوز حتى يسرف وخير الامور أوساطها وهو القائل

واذا امرؤ مدح امرأ لنواله • وأطال فيه فقد أراد هجاءه

لو لم يقدر فيه بعد المستقى • عند الورود لما أطال رشاءه

وللناظم متع الله تعالى المسلمين بحياته القدح المعلى من جميع هذه الاقسام كما نقله عدول الرواة والمخبرون الثقاة وقد بلغني أن له من بليغ الشعر ديوانا حافلا وكتابا كاملا فلله دره ما أفضله وما أعلمه وما أكمله الثالث أن هذه القصيدة من بحر الخفيف وهو ثالث أبحر الدائرة الرابعة سمى به لخفته فى الذوق قال الخليل وذلك لكثرة الاسباب فيه وأجزاؤه فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن مرتان وهو فى الاستعمال مسدس على الاصل ومربع مجزوء ولمسدسه عروضان العروض الاولى سالمة ولها ضربان سالم ومحذوف والعروض الثانية محذوفة ولها ضرب مثلها ولمربعه عروض سالمة وضربان سالم ومقصور مخبون

بيت الضرب الاول من مسدسه

حل أهلى ما بين درنا فبادو • لى وحلت علوية بالسخال

تقطيعه حلل أهلى فاعلاتن ما بين در مستفع لن نافبادو فاعلاتن لا وحلت فاعلاتن علويتن مستفع لن بسخالى فاعلاتن

بيت الضرب الثانى منه

ليت شعرى هل ثم هل آتينهم • أم يحولن من بعد ذاك الردى

تقطيعه ليت شعرى فاعلاتن هلثمهل مستفع لن آتينهم فاعلاتن ام يحولن فاعلاتن منبعد ذا مستفع لن كرردا فاعلن بيت الضرب الثالث منه

ان قدرنا يوما على عامر • ننتصف منه أو ندعه لكم

تقطيعه ان قدرنا فاعلاتن يومنعلا مستفع لن عامرن فاعلن ننتصفمن فاعلاتن هو اوندع مستفع لن هو لكم فاعلن بيت الضرب الاول من مربعه

ليت شعرى ماذا ترى • أم عمرو فى أمرنا

تقطيعه فاعلاتن مستفع لن مرتين بيت الضرب الثانى منه

كل خطب ان لم تكو • نوا غضبتم يسير

تقطيعه فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فعولن ويلى أمر هذا الضرب عند الخليل الردف وقد رأى بعض أصحاب هذه الصناعة فى فعولن هذه حملها على خبن مس وكف تفع من مس تفع لن محطا حاملها على الخبن والقصر قائلا ان القصر يستلزم فى علم القافية كون الروى من الوتد الذى هو الآن لا من فعولن وكون وصل الروى من السبب وهو نونه ولا نظير لهذا المستلزم فان الروى والوصل يكونان بين جزء واحد أى سبب أو وتد لكن هذا الرأى يستلزم كف الوتد فى غير آخر الجزء ولا نظير لهذا المستلزم أيضا وان شئت فتأمل زحافات

فاع لاتن فى المضارع كيف تجد فاع ممتنعا من الكسف وأما امتناع حل فعولن هذه على القطع فظاهر لفقد الوتد المجموع اذا تأملت و يدخل هذا البحر من الزحاف مالو ذكرناه لطال الكلام فى مثل هذا المقام ولذلك أعرضنا عن تقطيع أبيات القصيدة على أن ذلك غير خفى على من له نظر ثاقب فى فنون الادب من فضلاء العرب وقد آن للقلم أن يسرح فى رياض هاتيك الابيات ويصدح على أفنان أغصانها بأنواع النغمات فأقول وبالله تعالى التوفيق نعم المولى ونعم الرفيق قال الناظم بيض الله تعالى غرة أحواله ونور بنور السعادة وجوه آماله

﴿نور قرب فى حالة البعد أقبل • فغشى موكب الامام المبجل﴾

أقول لم يصدّر الناظم متع الله المسلمين بحياته قصيدته هذه بالبسملة ولعل ذلك لما رآه غير واحد قال أبو جعفر النحاس اختلف العلماء فى كتب بسم الله الرحمن الرحيم قبل الشعر فكره ذلك سعيد بن المسيب والزهرى وأجازه النخعى وكذا روى عن ابن عباس قال كتب بسم الله الرحمن الرحيم أمام الشعر وغيره قال أبو جعفر ورأيت على بن سليمان يميل الى هذا وقال ينبغى أن تكتب أمام الشعر بسم الله الرحمن الرحيم لانه يحيى • قال فلان وما أشبه ذلك قال العلامة ابن رشيق ولعل هذا فى الشعر اذا دوّن فاما قصيدة يرفعها الشاعر الى ممدوحه فلا يكتب فيها اسم قائلها لكن بعدها واذا كان الامر هكذا فلا سبيل الى كتب البسملة لان العذر حينئذ ساقط انتهى وهذا التفصيل حسن يمكن أن يجمع به بين الاقوال المتعارضة والله أعلم والنور بالضم الضوء أيا كان أو شعاعه جمعه أنوار ونيران وفرق البعض بينهما بان النور منشأ الضياء ومبدؤه كما يشير اليه استعمال العرب حيث أضافوا الضياء اليه كما قال ورقة بن نوفل ويظهر فى البلاد ضياء نور وقال العباس رضى الله تعالى عنه

وأنت لما ظهرت أشرقت الار • ض وضاءت بنورك الافق

ولهذا أطلق عليه سبحانه النور دون الضياء ومن ذلك يعلم وجه وصف الشريعة المحمدية بالنور فى قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين والشريعة الموسوية بالضياء فى قوله سبحانه ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين وكذا وجه وصف الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر فى حديث مسلم بالنور والصبر بالضياء كذا قيل وأورد عليه انه قد جاء وصف ما أوتيه موسى عليه السلام بالنور وقال آخرون ان الضياء أقوى من النور لقوله تعالى جعل الشمس ضياء والقمر نورا قيل ومن هذا قال بعض الحكماء ان الضياء ما يكون للشئ من ذاته والنور ما يكون له من غيره وقد استعمل الضياء لما فيه حرارة حقيقة كالذى فى الشمس أو مجازا كالذى فيما أوتيه موسى عليه السلام مما فيه شدة ومزيد كلفة ومنه الصبر ضياء ومعلوم انه كاسمه والنور لما ليس كذلك كالذى فى القمر وفيما جاء ممن انشق له به من الشريعة السهلة السمحة التى ليلها كنهارها ومنه الصلاة نور ولا شك أنها قرة العين وراحة القلب كما يشير اليه وجعلت قرة عينى فى الصلاة وأرحنا يا بلال واستعمل النور لما يطرأ فى الظلم كما ورد كان الناس فى ظلمة فرش الله تعالى عليهم من نوره والضياء ليس كذلك والذى يميل اليه بعض أجلة العلماء المحققين أن الضياء يطلق على النور القوى وعلى شعاع النور المنبسط فهو بالمعنى الاول أقوى وبالمعنى الثانى أدنى ولكل مقام مقال

ولكل مرتبة عبارة ولا حجة على البليغ في اختيار أحد الامرين في بعض المقامات لنكتة اعتبرها ومناسبة لاحظها وآية الشمس لا تدل على أن الضياء أقوى من النور أيضا لوقوع فالله نور السموات والارض ولله تعالى المثل الاعلى فافهم وشاع اطلاق النور على الذات المجردة دون الضياء ولعل ذلك لان انسياق العرضية منه الى الذهن أسرع من انسياقها اليه من النور فقد اشتهر أنه عرض وكيفية مغايرة للون والقول بانه عبارة عن ظهور اللون أو انه أجسام صغار تنفصل من المضيء فتتصل بالمستضيء مما بين بطلانه في الكتب الحكمية وان قال بكل بعض من الحكماء والتقابل بينه وبين الظلمة تقابل العدم والملكة فهي عدم الضياء عما من شأنه ان يكون مستضيأ واعترض وأجيب بما هو مذكور في تفسير الجد طيب الله تعالى ثراه وقيل التقابل بينهما تقابل الايجاب والسلب ﴿والقرب﴾ الدنو وله عند السادة الصوفية معنى آخر وهو القيام بالطاعة وهو ملزوم لما ذكرنا والقرب الى الله تعالى يكون بالفرض والنفل قال صلى الله تعالى عليه وسلم حاكيا عن ربه جل وعلا ما تقرب الى المتقربون باحب من أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا وروى بلفظ آخر مشهور ومقتضى القرب بالفرائض تجلى الحق له وظهور العبد بحسب الحق غير محدود ولا متناه ومقتضى القرب بالنوافل تجلى الحق للعبد متلبسا بقابليته المحدودة ونقل أن بعض أكابر السادة الصوفية فرق بين قرب النوافل وقرب الفرائض بان قرب النوافل يترتب عليه أن يكون الحق سمع العبد الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها وقرب الفرائض يترتب عليه ان يكون العبد للحق سمعا وبصرا ويدا الى غير ذلك انتهى وهو كلام تقشعر من ظاهره جلود الذين آمنوا وعامة ما نقول انه طور وراء طور العقول وحسن الظن بقائله يحكم بانه قصد معنى صحيحا لا تأباه الشريعة الحنيفية التي ليلها كنهارها ثم القرب اما غير مفرط وهو مختلف بحسب كثرة الطاعات وقلتها واما مفرط وهو وان كان خفيا يعبر عنه بقاب قوسين وان كان أخفى عبر عنه بأو أدنى ولذا قيل انه قد يطلق القرب على حقيقة قاب قوسين وفي هذا المقام يحصل الاتصال بالحق سبحانه ولكن مع بقاء التمييز والاثنينية وفي المقام الآخر وهو القرب الاخفى يحصل الفناء المحض والطمس الكلي المرسوم فيرتفع التمييز والاثنينية الاعتبارية هناك وهذا أيضا طور وراء طور العقل وبالله تعالى الاعتصام وعليه الاعتماد في كل مقام ﴿وفي﴾ حرف جر له عشرة معان مبينة في محلها والمراد بها هنا اما الظرفية أو المصاحبة ولا يخفى اعتبار كل (والحالة) الهيئة والصفة والحال يذكر ويؤنث وتطلق عند المعتزلة على صفات المعاني كالعالمية وتطلق أيضا على الصفة الغير الراسخة المقابلة للملكة وعلى الزمان الذي بين زماني الماضي والمستقبل والمراد بها في قول الناظم في البيت الآتي أعظم الصالحين حالا الى آخر ما ذكره القشيري وهو ما يرد على القلب من غير تأمل ولا اجتلاب ولا تخييل ولا اكتساب فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب الاحوال تأتي من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود صاحب المقام متمكن في مقامه وصاحب الحال مترق عن حاله والاحوال كلها تزول بسرعة وأنشدوا

لو لم تحل ما سميت حالا * وكل ما حال فقد زالا

وأشار قوم الى بقاء الاحوال ودوامها فقالوا اذا لم تدم وتوالت فهى لوائح فاذا توالت تلك الصفة فعند ذلك تسمى حالا والواجب فى ذلك ان يقال من أشار الى بقاء الاحوال فصحيح ما قال فقد يصير المعنى مشربا لاحد فيترقى فيه ولكن لصاحب هذه الحال طوارق لا تدوم فوق أحواله التى صارت مشربا له فاذا دامت هذه الطوارق له كما كانت الاحوال المتقدمة ارتقى الى أحوال أخر فوق هذه فاذن يكون فى الترقى ومقدورات الحق لا نهاية لها واذا كان الحق عزيزا فالوصول اليه بالحقيقة محال فالعبد أبدا فى ارتقاء أحواله فلا معنى يصل اليه وفى مقدور الله تعالى ما هو فوقه وعلى هذا يحمل قولهم حسنات الابرار سيآت المقربين وأنشدوا فى المعنى

طوارق أنوار تلوح اذا بدت • فتظهر كتمانا وتخبر عن جمع

﴿والبعد﴾ ضد القرب بالمعانى السابقة وهو عند المتكلمين عبارة عن امتداد قائم بالجسم أو بنفسه عند القائلين بوجود الخلاء كافلاطون واللام فى البعد عوض عن المضاف اليه أى بعد العبد ونحوه ويقال ذلك استقصارا للنفس واستبعادا لها مما يقرب الى رضوانه سبحانه وبه يوجه قول الداعى يا رب يا الله وهو أقرب اليه من حبل الوريد مع فرط التهالك على استجابة دعائه والاذن بندائه وتعقب بأنه اقتائى فان الداعى يقول فى دعائه يا قريبا غير بعيد يا من هو أقرب الينا من حبل الوريد وأين هذا الكلام من الانتصاب فى مقام البعد وقد يجاب بأن ذلك غير مناف للانتصاب المذكور ولا بعيد منه لان المراد استقصار نفسه واستبعادها مما يقرب الى الرضوان كما علمت وقوله فى حالة البعد فيه اشارة لقول الممدوح الغوث الاكبر مولانا السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه تجاه مرقد جده صلى الله عليه وسلم يوم زاره • فى حالة البعد روحى كنت أرسلها الى آخر البيتين وسيأتى ذكر القصة ان شاء الله تعالى ﴿والاقبال﴾ مقابل الادبار ﴿والتغشية﴾ التغطية وهى فى قوله تعالى يغشى الليل النهار من هذا الباب وتفسير الزمخشرى لها فى الاعراف بالالحاق نظر للخلاصة والزبدة من الكلام ثم حققه فى الزمر وفى كون الغاشى الليل لان معناه أنسب به من النهار ولانه يلزم على عكسه ان يكون الليل مفعولا ثانيا والنهار مفعولا أولا وفى ذلك ما فيه أو النهار لان حميد بن قيس قرأ يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار وهى تقتضى ذلك وتوافق القراءتين أولى من تخالفهما ولان قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار على ما ذكر المرزوقى يؤذن بقبلية الليل ولان الظلمة الحثيث المفاد بما بعد من النهار أظهر خلاف والزمخشرى اختار هذا تارة وذلك أخرى ولعله مبنى على اختلاف المقام وبما قررنا يندفع ما عسى ان يختلج فى بعض ظلمات الاوهام بعد اسناد غشى الى النور فى هذا البيت المشرقة ارجاؤه ببدور البلاغة ﴿والموكب﴾ الجماعة ركبانا أو مشاة أو ركاب الابل فى الزينة ولكل جماعة اسم مخصوص ليس هذا محل الاستيفاء والتفصيل ﴿والامام﴾ المقتدى بافعاله وأقواله وفيه تفصيل ذكرته فى مختصر التحفة الاثنى عشرية وأل فيه كهى فى أم يحسدون الناس على قول ﴿والمبجل﴾ كمعظم لفظا ومعنى كبجال وبجيل ومن الناس من فرق بين التبجيل والتعظيم بان الاول قلبى والثانى قالبى أو اعم ولا ثبت له فيما أرى وحاصل معنى البيت ان النور

الالهى والضياء القدسى قد أشرق من بروج درجات القرب ولمع من شموس الحب التى لا تدرك ولا تنال ولا يتوصل اليها بحبال الخيال فقد غشى أصحاب الامام المبجل ومقتدى الانام المفضل الذى عمت فضائله الاقطار وظهرت جلالة قدره ظهور الشمس فى رابعة النهار حتى كأن الاذن لم تسمع سوى مزاياه والعين لم تنظر سوى آثار ما خصه به مولاه عز علاه

يموت حساده وغيظ عداه • ان يرى مبصر ويسمع واع

والمراد بأصحاب هذا الامام والشيخ السيد الهمام السالكون فى طريقته والسائرون فى محبته والمهتدون بهديه والمؤتمرون بأمره والمنتهون بنهيه ولا شك ان مثل هؤلاء من تشرق على وجوههم أنوار القرب والوصول وتظهر فى أسارير جباههم آثار الفوز بحصول المأمول كيف لا والمتبع لهذا الامام المبجل هو فى عين الرضا من الله عز وجل فقد كان من أحرص الناس على اتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام كما نطقت بذلك الكتب المعتبرة واستفاض على السنة الخواص والعوام وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله والبيت يحتمل معانى أخر والذى ذكر فيما عندى أظهر والاحتمالات تتفرع عما فى الاضافة من الوجوه وما يراد بحالة البعد وهذا عند البلغاء يسمى الاتساع وهو ان يأتى المتكلم بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه على قدر قوى الناظرين ومن ذلك كما قيل قول امرئ القيس

اذا قامتا تضوع المسك منهما • نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فقد اتسع النقاد فى تأويله فمن قائل تضوع مثل المسك منهما نسيم الصبا ومن قائل تضوع المسك بفتح الميم ورفع الاسم أى الجلد ونسيم بالنصب وقيل غير ذلك ومنه قول المتنبى من أبيات لولا مفارقة الاحباب ما وجدت • لها المنايا الى أرواحنا سبلا

ومن غريب ما قيل فيه ان لها جمع لهاة كحصيات وحصا والمنايا مضاف اليه وفى الكلام استعارة مكنية تخييلية وهو كثير وأكثر أبيات المتنبى من هذا الباب وباب الاتساع واسع عند من تتبع كلام الشعراء وأمعن النظر وهل يسمى الاتيان بكلام يتسع فيه احتمالات وجوه الاعراب اتساعا أم لا قال الجد طيب الله تعالى ثراه لم أر تحقيق ذلك ولو قيل بالاول لم يبعد عندى انتهى وفى البيت من أنواع البديع أيضا الطباق وهو مما كثر فى شعر البلغاء وشاع فى كلام الفصحاء كقول المتنبى وفيه التوهيم أيضا

وان الفئام الذى حوله • لتحسد أقدامها الارؤس

وقوله

واذا أتتك مذمتى من ناقص • فهى الشهادة لى بأنى كامل

ومن الطباق قول منصور الفقيه

قد قلت مذ مدحوا الحياة وأطنبوا • فى الموت ألف فضيلة لا تعرف

منها أمان لقائه بلقائه • وفراق كل معاشر لا ينصف

وقول الفرزدق

لعن الاله بنى كليب انهم • لا يغدرون ولا يفون لجار

يستيقظون الى نهب جيرهم • وتنام أعينهم عن الاوتار

وقول جرير

وباسط خير فيكم بيمينه • وقابض شر عنكم بشماليا

وقول أبي فراس من أبيات

يا فارج الكرب العظيـ • ـم وكاشف الخطب الجليل

كن يا قوى لذا الضعيـ • ـف ويا عزيز لذا الذليل

وقول ابن خروف في مغن كالظبي

وممنوع الحركات يلعب بالنهى • لبس الملاحة عند خلع لباسه

متأودا كالغصن بين رياضه • متلاعبا كالظبي عند كناسه

وما ألطف قول شيخ الشيوخ بحماة

ان قوما يلحون في حب ليلى • لا يكادون يفقهون حديثا

سمعوا وصفها ولاموا عليها • أخذوا طيبا وردوا خبيثا

وله أيضا

يا وجوها زانت سناها فروع • حالكات أغنتكم عن حلاكم

لي من حسنكم نهار وليل • أنعم الله صبحكم ومساكم

وبعضهم جعل التدبيج من المطابقة وأورد في ذلك قول ابن حيوس على جهة الكناية

فانفر بعم جود يمينه • وأب لافعال الدنية آبي

ببياض عرض واحمرار صوارم • وسواد نقع واخضرار رحاب

وعن جمع انه ليس في الالوان ما يحصل به المطابقة غير البياض والسواد وفيه توقف وفي البيت أيضا من المحاسن حسن التخلص وحسن المطلب وغير ذلك مما يطول ذكره وبالجملة ان هذا البيت قد حوى درر البلاغة والفصاحة ويحق لهذه القصيدة ان يكون مطلعها مثل هذا البيت وهو أحد المواضع التي يجب التأنق فيها بحسن السبك وعذوبة اللفظ وبديع المعنى وفي حسن المطلع شرطان أحدهما ان يضمن معنى ما سيق الكلام لاجله ليكون الابتداء دالا على الانتهاء ويسمى براعة الاستهلال والثاني ان يجتنب في المديح ما يتطير به وقد استوفى البيت هذين الشرطين كما لا يخفى على من جلى بنور الادب منه العين قال الناظم لا زال شيخ العلم والعمل واصلا بصلاحه الى غاية مراتب الامل

﴿شيخنا السيد الكبير الرفاعي • أعظم الصالحين حالا وأفضل﴾

أقول ﴿الشيخ﴾ كالشيخون في اللغة من استبانت فيه السن أو من خمسين أو احدى وخمسين الى آخر عمره أو الى الثمانين وفي كتاب أسرار اللغة ان الانسان ما دام في الرحم فهو جنين فاذا ولد فهو وليد ثم ما دام يرضع فهو رضيع ثم اذا قطع عن اللبن فهو فطيم ثم اذا دب ونما فهو دارج فاذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسي فاذا سقطت رواضعه فهو مثغور فاذا نبتت أسنانه فهو متثور بالتاء والثاء عن ابن عمرو فاذا كان يجاوز العشر سنين أو جاوزها فهو مترعرع وناشئ فاذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومراهق فاذا احتلم واجتمعت قوته فهو حزور ويسمى في جميع هذه الاحوال غلاما فاذا اخضر شاربه وأخذ عذاره يسيل قبل قد

بقل

بقل وجهه فاذا صار ذا فتاء فهو فتى وشارخ فاذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع ثم ما دام بين الثلاثين والاربعين فهو شاب ثم كهل الى ان يستوفى الستين ويقال اذا ظهر فيه الشيب وخطه الشيب ثم يقال شاب ثم شمط ثم شاخ ثم كبر ثم هرم ثم دلف ثم خرف ثم اهتر ويقال محى ظله اذا مات انتهى فلا تغفل وعند القوم هو الانسان الكامل فى علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ الى التكميل فيها لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها وتمكنه من القيام بهداها ان استعدت لاهتدائها وسيجيء تتمة لهذا البحث ان شاء الله تعالى وأتى بنون العظمة لاظهار ملزومها الذى هو نعمة من تعظيم الله تعالى له بتأهيله لما لا يقوم به لسان ولا يشرحه بيان من ذلك احياء هذه الطريقة العلية وتجديد رسومها البهية ومنها انخراطه فى سلك عقد سلسلة ذلك الشيخ الواصل الغطريف والوالى الكامل الشريف ومنها غير ذلك أو يقال راعى معه فى الاضافة اخوانه فى الطريقة وأهل الصفاء والحقيقة كما يقنت الامام بلفظ الجمع بل ذكر الفقهاء انه يكره تخصيص نفسه بالدعاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل فقد خانهم رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن ثم فى سائر الادعية فى حق الامام كذلك صرح به الغزالى فى الاحياء وهو مقتضى كلام الامام النووى فى الاذكار وفى فتح البارى شرح صحيح البخارى ان من سمع وحده من لفظ الشيخ افرد فقال حدثنى ومن سمع مع غيره جمع ومن قرأ بنفسه على الشيخ أفرد فقال أخبرنى ومن سمع بقراءة غيره جمع وكذا خصصوا الانباء بالاجازة التى يشافه بها الشيخ من يجيزه وكل هذا مستحسن وليس بواجب عندهم انتهى وهذا يؤيد الوجه الثانى واطلاق الشيخ على من تنتهى اليه السلسلة ولو بوسائط شائع الاستعمال ﴿والسيد﴾ الكبير وهو فيعل عند قوم وفعيل عند آخرين وجمع على سادة وسيائد وتقول العرب ان من نعت السيد أن يكون لحما ضخم الهامة جهير الصوت اذا خطا أبعد واذا تأمل ملأ العين مهابة لان حقه ان يكون فى صدر مجلس أو ذروة منبر أو منفردا فى موكب ويقولون فى نعته يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقال دعبل

فاذا جالسته صدرته • وتنحيت له فى الحاشيه
واذا سايرته قدمته • وتأخرت مع المستأنيه
واذا سامرته صادفته • سلس الخلق سليم الناحيه
واذا عاشرته صادقته • شرس الرأى أبيا داهيه
فاحمد الله على صحبته • وسل الرحمن منه العافيه

ويؤيد هذا قول الفرزدق

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد • وعينا له حولاء باد عيوبها

وقال رجل لعمر رضى الله تعالى عنه من السيد قال الجواد حين يضن الحليم حين يستجهل الكريم المجالسة الحسن الخلق لمن جاوره قال الصفدى والذى أظنه أن السيد عند العرب من ساد قومه أو غيرهم بصفاته المحمودة ولا يتوقف فى ذلك على اصالة ولا نسب كما يعلم من قول القائل

نفس عصام سودت عصاما • وعلمته الكر والاقداما

وقال عامر بن الطفيل

فما سودتني عامر عن كلالة • أبى الله ان أسمو بام ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي • أذاها وأرمي من رماها بمقنب

واشتهر استعمال هذا اللفظ اليوم فى أولاد الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وقد انتحله من ليس له باهل

وما كل ذى خضراء أدعوه سيدا • وما كل ذى نعماء أدعوه منعما

على أن أفعال الانسان أقوى دليل على مايدعيه وأتم برهان

ان فاتكم أصل امرئ ففعاله • تنبيكم عن أصله المتناهى

ولا ينبغى للانسان أن يتكل على شرف النسب ويعرض عن العلم والكمال والادب وان كان جودة النسب من الامور المطلوبة والاشياء المرغوبة

كن ابن من شئت واكتسب أدبا • يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول هاأناذا • ليس الفتى من يقول كان أبى

(والكبير) نقيض الصغير ولا يستلزم الاجزاء فانه من جملة أسماء الله تعالى الحسنى والتخلق به تكبير من عظمه الله تعالى ومن ذلك توقير الشيخ والمسن والوالد والعم والاخ الكبير وخاصيته على مافى مناهج الاخلاق السنية فتح باب العلم والمعرفة وان قرئ على طعام وأكله الزوجان وقع بينهما الصلح ومن أكثر من قول يا كبير أنت الذى لاتهتدى العقول لوصف عظمته قضى دينه واتسع رزقه وان ذكره معزول عن مرتبة سبعة أيام كل يوم ألفا وهو صائم رجع اليها باذن الله تعالى انتهى ولا غبار فى اطلاق هذا الاسم على غيره سبحانه بل قد صرح الفقهاء ان التسمية بكل اسم من أسمائه تعالى ماعدا كلمة الله والرحمن جائزة بل فى القرآن العظيم تسمية غير الله تعالى باسمائه المعظمة قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ولا محذور فى ذلك فان الله سبحانه موصوف بصفات الكمال منزه عن كل نقص وعيب وهو جل شأنه فى صفات الكمال لايماثله شئ فهو حى قيوم سميع بصير عليم خبير رؤف رحيم خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن وكلم الله موسى تكليما وتجلى للجبل فجعله دكا لايماثله شئ من الاشياء فى شئ من صفاته فليس كعلمه علم أحد ولا كقدرته قدرة أحد ولا كرحمته رحمة أحد ولا كاستوائه استواء أحد ولا كسمعه وبصره سمع أحد ولا بصره ولا كتكليمه تكليم أحد ولا كتجليه تجلى أحد وان الله جل اسمه فى عظمته وكبريائه وحسن أسمائه وعلو صفاته لايشبه شيأ من مخلوقاته ولا يشبه به وان ماجاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته لاتشبه الذوات فكذلك صفاته لاتشبه الصفات وليس بين صفاته وصفات خلقه الا موافقة اللفظ اللفظ والله سبحانه قد أخبر أن فى الجنة لحما ولبنا وعسلا وماء وحريرا وذهبا وقد قال ابن عباس ليس فى الدنيا مما فى الآخرة الا الاسماء فاذا كانت المخلوقات الغائبة ليست مثل هذه الموجودة مع اتفاقها فى الاسماء فالله جل وعلا أعظم مباينة لخلقه من مباينة المخلوق للمخلوق وان اتفقت الاسماء فما وقع فى بعض الاوهام من منع صحة اطلاق مثل ذلك على غيره سبحانه باطل قطعا ولا يخفى وجه ذكر الكبير بعد السيد على من له قدم صدق فى فن

المعاني وان كانا بمعنى ﴿والرفاعي﴾ منسوب الى رفاعة وهو ما اشتهر به السيد الحسن أبو المكارم رفاعة المكي جد السيد أحمد السابع رضي الله عنهما قال الامام مؤيد الدين أبو النظام عبيد الله بن الاعرج الحسيني نقيب واسط في كتابه الثبت المصان ويعرف ببحر الانساب ومثله قال ابن ميمون الحسيني في مشجره والامام ابراهيم بن محمد البكري الكازروني في كتاب شفاء الاسقام والامام شيخ الاسلام أحمد بن جلال اللادري المصري في كتابه جلاء الصدا والامام عبد الكريم الرافعي القزويني في مختصر سواد العينين والامام الحافظ تقي الدين الواسطي في كتابه ترياق المحبين وغير واحد ان السيد المشار اليه أعني السيد أحمد الرفاعي صبت سجال الرضوان عليه هو السيد أحمد محيي الدين أبو العباس الرفاعي ابن السيد أبي الحسن علي دفين بغداد ابن السيد يحيي نقيب البصرة أبي أحمد المهاجر من المغرب ابن السيد أبي حازم ثابت ابن السيد علي الحازم أبي الفوارس ابن السيد أبي علي أحمد المرتضى ابن السيد علي أبي الفضائل ابن السيد الحسن الاصغر رفاعة الهاشمي المكي نزيل بادية اشبيلية بالمغرب ابن السيد أبي رفاعة المهدي ابن السيد أبي القاسم محمد ابن السيد الحسن أبي موسى رئيس بغداد نزيل مكة ابن السيد الحسين عبد الرحمن الرضي المحدث ابن السيد أحمد الصالح ويقال له الاكبر ابن السيد موسى الثاني ويقال له أبو يحيي وأبو سبحة ابن الامير الجليل السيد أبي محمد ابراهيم المرتضى ابن السيد الامام موسى الكاظم ابن السيد الامام جعفر الصادق ابن السيد الامام محمد الباقر ابن السيد الامام علي زين العابدين ابن السيد الامام أمير المؤمنين الحسين الشهيد بكربلا ابن السيد الامام أمير المؤمنين ووزير سيد المخلوقين أسد الله الغالب سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأم سيدنا الامام الحسين سيدة نساء العالمين بضعة امام المرسلين سيدتنا فاطمة الزهراء النبوية بنت أصل الخلق وحبيب الحق سيد كل من الله عليه بسيادة طلسم المرادات المنبجس من حضيرة الارادة نور عيوننا وقلوبنا كشاف مدلهمات ناوكروبنا روح الارواح وباب الفتاح بحر المعارف الذي تفجر منه بحور العرفان مولى العوالم سيدنا رسول الرحمن محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيهم الى يوم الدين • وينتسب السيد أحمد رضي الله عنه الى الامام أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه من أم جده الامام جعفر الصادق فهي أم فروة بنت القاسم بن محمد ابن سيدنا وتاج رؤسنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ووالدة أم فروة المذكورة أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين قال الامام علي أبو الحسن الحدادي في ربيع العاشقين بعد ذكر نسب السيد المشار اليه لابيه كما تقدم ونسب سيدنا لامه هو السيد أحمد ابن ولية الله العارفة الزاهدة العابدة فاطمة الانصارية أخت الباز الاشهب والترياق المجرب الامام العارف بالله صاحب وقته ذي الكأس النوراني والفتح الصمداني شيخ الطوائف منصور الزاهد البطائحي الرباني لابويه وأبوهما العارف الكبير الشيخ يحيي النجاري ابن الشيخ موسى أبي سعيد ابن الشيخ كامل ابن الشيخ يحيي الكبير ابن الامام الصوفي الشهير محمد أبي بكر الواسطي ابن موسى بن محمد بن منصور بن خالد بن زيد ابن ثابت وهو أيوب بن خالد أبي أيوب بن زيد الانصاري النجاري الصحابي الجليل رضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين وزيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف ويقال ابن عمرو بن

خزرج بن غنم بن مالك بن النجار بن عدى بن عمرو بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن ثعلبة بن عمرو بن بقيا بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن لمك ابن متوشلخ بن أخنوخ بن البادر ابن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم أبو البشر عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام • ونسب أمه لامها وأنها فاطمة بنت السيدة رابعة بنت السيد عبد الله الطاهر نقيب واسط ابن السيد أبي على سالم النقيب ابن السيد أبي يعلى النقيب ابن السيد أبي البركات محمد النقيب ابن السيد أبي الفتح محمد أميرا لحاج ابن الامير الجليل السيد محمد الاشتر ابن السيد عبيد الله الثالث ابن السيد على ابن السيد عبيد الله الثانى ابن السيد على الصالح ابن السيد عبيد الله الاعرج ابن السيد الحسين الاصغر ابن الامام زين العابدين على ابن الامام الحسين سبط النبى صلى الله عليه وسلم • ونسب جده لابيه السيد يحيى الرفاعى نقيب البصرة من جهة أمه هو يحيى بن آمنة بنت يحيى العقيلى بن الناصر لدين الله على ملك الاندلس ابن أحمد بن ميمون بن أحمد بن على بن عبد الله بن عمر بن ادريس بن ادريس الاكبر الذى فتح الله المغرب على يديه ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن السيد الامام الحسن سبط النبى صلى الله عليه وسلم • ونسب جده لامه الشيخ يحيى النجارى الانصارى من جهة أمه أيضا فهو يحيى بن علوية ويقال عالية بنت الحسن اللاع بن محمد بن يحيى بن الحسين ملك اليمن ومكة ابن القاسم أبى محمد الرسى ابن ابراهيم طباطبا ابن اسمعيل بن ابراهيم الغمر بن الحسن المثنى ابن الامام الحسن أعنى السبط رضى الله عنهم أجمعين   قال الامام أحمد ابن الشيخ محمد الوترى فى مناقب الصالحين ولد سيدنا السيد أحمد المشار اليه عام اثنى عشر وخمسمائة بقرية حسن من أعمال واسط قرية محاذية لام عبيدة بالبطائح والبطائح قرى مجتمعة حول الماء وواسط بلدة معروفة شهيرة فى العراق اختطها الحجاج الثقفى ومصرها سنة ثلاث وثمانين وهو يومئذ والى العراق من قبل عبد الملك بن مروان الاموى ثم عظم أمر واسط فى أيام الخلفاء العباسيين وأنجبت العلماء والاولياء والامراء وأئمة الرجال والوزراء الاعاظم وكانت دار الوزارة الكبرى بها فى الازمنة المذكورة ومن أعظم مدنها فم الصلح كانت مقر حكومة الحسن بن سهل الوزير الذى تزوج الخليفة المأمون العباسى بابنته بوران وقد زفت اليه بفم الصلح وأقام بعسكره وخيله ورجاله بها عشرين يوما والقصة مفصلة بكتب التاريخ وكانت ولادة سيدنا السيد أحمد فى زمن الخليفة المسترشد بالله بعد وفاة الامام المستظهر بالله بأيام قلائل لان المستظهر توفى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنى عشر وخمسمائة وولادة السيد أحمد رضى الله عنه قيل انها كانت فى المحرم والاصح المتفق عليه أنها فى يوم الخميس من النصف الاول من شهر رجب المبارك   وقال المؤرخون توفى أبوه وهو حمل والذى عليه الجم الاثبات من الثقات الاحمديين وهم أدرى من غيرهم ان أباه قدس الله روحه توفى ببغداد حين كان مسافرا بها سنة تسع عشرة وخمسمائة وللسيد أحمد من العمر اذ ذاك سبع سنين فبعد ان توفى والده نقله خاله الباز الاشهب شيخ الوقت منصور البطائحى الانصارى الحسينى من قرية حسن هو ووالدته واخوته الى بلدة نهر دقلا من أعمال واسط

وكان السيد أحمد رضى الله عنه قد أكمل قراءة القرآن العظيم حفظا بقرية حسن على الشيخ الورع المقرئ الصالح عبد السميع الحربونى فلما صار فى كنف خاله أخذه الى واسط بامر سبق له من النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه وأدخله على الامام العلامة المقرئ الحجة الشيخ على أبى الفضل الواسطى قدس سره فتولى أمر تربيته وتعليمه وتأديبه امتثالا للامر النبوى فبرع فى العلوم النقلية والعقلية ومهر واشتهر وأحرز قصب السبق على أقرانه ولازال يعظم أمره وينمو علمه حتى تفرد فى زمانه وكان يلازم درس الشيخ أبى بكر الواسطى وهو الاخ الاكبر لامه وكان اذذاك المشار اليه فى وقته بين الشيوخ والعلماء ويتردد على الشيخ عبد الملك الحربونى قال الامام الشيخ على أبو الحسن الواسطى الشافعى قدس سره فى خلاصة الاكسير قرأ العلم والفنون مدة عشرين سنة حتى رجع اليه أشياخه وانعقد عليه اجماع الطوائف وقال بتفرده فى ميدان الكمال الموافق والمخالف ومثل ذلك قال الامام الرافعى فى سواد العينين وغيره وأطنب بشأنه رجال الطبقات والمؤرخون كل على قدر فهمه وبلوغ علمه وخدمه الحفاظ الاعيان وأكابر الزمان فألفوا فى شأنه كتبا مخصوصة عديدة تدل على علو قدره وعظم أمره ﴿منها﴾ ربيع العاشقين للشيخ الامام على بن جمال الدين الحدادى الشافعى وترياق المحبين للامام الحافظ تقى الدين الواسطى والنفحة المسكية للامام المحدث الجليل عز الدين أحمد الفاروثى الواسطى وخلاصة الاكسير فى نسب الغوث الرفاعى الكبير للشيخ العارف بالله على أبى الحسن الواسطى وجلاء الصدا بسيرة امام الهدى للامام شيخ الاسلام أحمد بن جلال اللارى المصرى الحنفى وام البراهين للحافظ قاسم بن محمد بن الحجاج الواسطى الشافعى وشفاء الاسقام للقدوة الحجة ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكازرونى البكرى وسواد العينين للامام عبد الكريم الرافعى القزوينى رحمهم الله أجمعين وغير ذلك مما يضيق عن ذكرها هذا المختصر وهى أشهر من أن تذكر وقد أجازه بعد العشرين سنة شيخه الشيخ على أبو الفضل محدث واسط اجازة عامة بجميع علوم الشريعة والطريقة وكان مع اشتغاله بالدروس والتعلم والتعليم ملازما خدمة خاله سلطان الرجال الشيخ منصور فلما بلغ هذه المرتبة العلية وتبصر فى العلوم الشرعية أجازه خاله الشيخ منصور المشار اليه وألبسه خرقته وأمره بالمقام فى أم عبيدة وهى قرية مشهورة بواسط العراق وكانت بها قاعدة بيت الانصار بنى النجار آباء الشيخ منصور وفيها رواقهم المبارك المدفون فيه جد السيد أحمد الرفاعى لامه الشيخ يحيى النجارى الانصارى والد الشيخ منصور فأقام بها سنة وبعد مضى السنة توفى الشيخ منصور قدس الله روحه وكانت وفاته سنة أربعين وخمسمائة وللسيد أحمد رضى الله عنه من العمر ثمان وعشرون سنة فعهد الشيخ منصور قبل وفاته بمشيخة الشيوخ وبمشيخة الاروقة المباركة المنسوبة اليه لابن أخته السيد أحمد المشار اليه فتصدر على سجادة الارشاد بذلك العام وكان ذلك فى زمن الخليفة المقتفى لامر الله محمد بن أحمد المستظهر بالله العباسى رحمهما الله والخليفة المقتفى هذا كان ذا دين وأفعال حميدة مقتفيا آثار النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضى الله عنهم ولذلك سموه المقتفى وكان يجلس للناس بغير حاجب ولا وزير وأبطل المكوس وأزال البدع هذا مع كثرة العبادة فقامت عليه آخر الامر رعاياه ظلما وعدوانا ورموه بالاحجار حتى مات رحمه الله وبعد موته

تزلزلت بغداد فانهدم ثلث دورها ومات أكثر أهلها وبويع رحمه الله للخلافة سنة ثلاثين وخمسمائة واستمرت مدة خلافته خمسا وعشرين سنة وانقضت مدته رحمه الله سنة خمس وخمسين وخمسمائة فبويع للخلافة ولده المستنجد بالله رحمه الله وفي هذه السنة حج السيد أحمد رضي الله عنه باشارة معنوية وزار قبر جده عليه الصلاة والسلام وأنشد تجاه القبر الطاهر

في حالة البعد روحي كنت أرسلها • تقبل الارض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الاشباح قد حضرت • فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فظهرت له يد جده عليه الصلاة والسلام فقبلها والناس ينظرون وهذه القصة تواتر خبرها وعلا ذكرها وصحت أسانيدها وكتبها الحفاظ والمحدثون وكثير من أهل الطبقات والمؤرخين لا ينكرها الا جاهل قليل الرواية أو حاسد لسلطان النبوة وظهور المعجزة المحمدية أو معذور من غير هذه الامة الاحمدية على ان ظهور هذه المعجزة النبوية في تلك الاعصار التي ظهرت بها البدع وكثرت بها الفتن وتفرقت بها الاهواء وذهب بها أهل الباطل الى مذاهب كثيرة كالالحاد والزندقة وغير ذلك مما سلكه الفرق الضالة من طرق الضلال ما كان الا لاعلاء كلمة الحق والشريعة والدين على يد هذا السيد الجليل الذي اختصه الله ورسوله بهذه النعمة وأبرزه لهذه الخدمة لعدم وجود من يماثله أو يشاكله في ذلك القرن من الاولياء والسادات وصالحي الوقت نفعنا الله بهم انتهى وسيأتي خبر هذه القصة في محله ان شاء الله قال العيدروس في كتابه النجم الساعي كان السيد أحمد الرفاعي عالما حكيما مشهورا متواضعا قانعا قاطعا عمره في الرياضة أسمر اللون متوسط القد نير الوجه شعره أسود وفي صدره شعر أسود كريم الخلق صاحب أسرار خارقة وأطال في توصيفه قدس سره وقال السيد عز الدين أحمد الصياد قدس الله سره في كتابه الوظائف الاحمدية كان السيد أحمد رضي الله عنه ربعة من القوم أسمر أزهر خفيف العارضين وسيع الجبهة أسود العينين مدور الوجه حسن المبسم اذا تكلم سلب القلوب واذا سكت أهابته ونص الرجال من الحفاظ والاشياخ المكرمين الذين خدموا سدته الاحمدية فأفردوه بالتأليف انه كان يلبس قميصا أبيض ورداء أبيض وخفا من صوف أبيض ويتعمم بعمامة سوداء دسماء وفي بعض الاحيان يتعمم بالبياض وكان رفيع القوام نحيف الوجود كثير التبسم قليل الضحك مكينا في طوره ذا هيبة عظيمة لا يتمكن جليسه من اباحة النظر اليه هذا مع رفقه وظرافة طبعه وخلقه ورقة شيمه وذلك لما اشتمل عليه من العلم والعقل والعبادة والكمال والفضائل والمجد وعلو النسب والكرم والخوارق الغر والحكمة البارعة والسنن المحمدي ورفعة القدر وبعد الصيت والشهرة والشأن الوحيد في عصره نفعنا الله والمسلمين به قال الحافظ تقي الدين الواسطي قدس سره في كتابه ترياق المحبين ما ملخصه حسبت الرقاع التي وردت للسيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه في السنة السابعة من تصدره على بساط المشيخة بعد خاله الشيخ منصور بريد بها سنة سبع وأربعين وخمسمائة فبلغت الى سبعمائة ألف رقعة كلها من مريديه الذين دخلوا الخلوة المحرمية (قلت) قوله الخلوة المحرمية هي من مراسم الطريقة الرفاعية في كل سنة يعتكفون سبعة أيام أولها اليوم الحادي عشر من شهر محرم الحرام وذكر الامام ابن الجوزي في تاريخه انه كان عند السيد أحمد رضي الله عنه ليلة نصف شعبان وعنده أكثر

من

من مائة ألف انسان من الزائرين وقد قام بكفاية الجميع وذكر الامام الشعراني في طبقاته والمناوي في الكواكب الدرية ان مريدي سيدنا السيد أحمد الذين يحضرون مجلس درسه وورده المبارك كل يوم في رواقه العالي سنة عشر ألفا وعدلهم السماط صباحا ومساء ويؤيد ذلك ما رواه الامام ابن الجوزي المتقدم ذكره ويؤكد هذه الروايات المتواترة ما رواه الحافظ الامام تقي الدين الواسطي في كتابه ترياق المحبين ان قناطر الرواق الاحمدي كانت عام خمسين وخمسمائة أربعة آلاف قنطرة وبناؤه أربع حلق كل حلقة تضم الاخرى وفي رواقه من أتباعه ومريديه عشرون ألفا وعدلهم السماط صباحا ومساء وهو وأهل بيته كآحاد الفقراء لا يملكون شيأ من عرض الدنيا وقال العلامة ابن الاثير في تاريخه عند ذكره رضي الله عنه كان صالحا ذا قبول عظيم عند الناس وله من التلامذة ما لا يحصى ومثله قال القاضي أبو الوليد بن الشحنة وقال الامام الذهبي في مختصره وفي كتاب دول الاسلام عند ذكره بعد أن وصفه بسيد العراقين الزاهد الكبير سلطان العارفين في زمانه ان أتباعه لا يحصى عددهم وأطنب بذكره وأطال بترجمته وذكر بعض ما يليق بشأنه العالي وقال شمس الدين يوسف أبو المظفر في تاريخه بعد كلام طويل عند ذكر سيدنا المشار اليه ونقل بعض كراماته وخوارقه العلية وكان يجتمع عنده كل سنة في الموسم خلق عظيم لا يحصى عددهم وقال الواسطي في خلاصة الاكسير كان رجال العصر يسمون السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه قبلة القلوب لشدة ارتباط قلوب الناس ومحبتهم له واجتماعهم عليه وهو الحقيق بذلك فانه بركة العصر وامامه ومرشده الى الله وهاديه الى طريقة الله وشريعة جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد بن جلال اللاري ثم المصري في كتابه جلاء الصدا كان السيد أحمد الرفاعي يسكت حتى يقال انه لا يتكلم فاذا تكلم بل بعذوبة كلامه الغليل وداوى العليل ترك نفسه وتواضع للناس من غير حاجة وكظم غيظه من غير ضجر وكان لين العريكة هين المؤنة سهل الخلق كريم النفس حسن المعاشرة بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس متواضعا من غير ذلة جوادا من غير اسراف اجتمعت فيه مكارم الاخلاق كان فقيها عالما مقرئا مجودا محدثا مفسرا وله اجازات وروايات عاليات اذا تكلم أجاد واذا سكت أفاد يأمر بالمعروف لاهله وينهى عن المنكر وفعله كان كهف الحرائر وملجأ المحتاجين وكعبة القاصدين أبا للارامل والايتام يعطي من غير سؤال ويمنح من غير اهمال واذا قال قولا أتبعه بصحة الفعل وصدق القول ولم يخالف قوله فعله قط وقال القاضي ابن خلكان في تاريخه عند ذكره بعد كلام ما ملخصه كان رجلا صالحا فقيها شافعي المذهب وانضم اليه خلق عظيم وأحسنوا الاعتقاد فيه وتبعوه ولاتباعه أحوال عجيبة كالنزول في التنانير وهي تتضرم بالنار فيطفؤنها وركوب الاسود ومثل هذا وأشباهه ولهم مواسم يجتمع عندهم عالم لا يعد ولا يحصى ويقومون بكفاية الكل وأولاد أخيه يتوارثون المشيخة والولاية وأمورهم مشهورة مستفيضة وقال الامام الحجة علي أبو الحسن الواسطي في خلاصة الاكسير كان سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه سيد أهل الحقيقة والشريعة في عصره وامام الوقت حسيني النسب محمدي القدم والمشرب انتهت اليه مكارم الاخلاق وبلغت عدة خلفائه وخلفائهم في حياته مائة وثمانين ألفا ﴿فائدة﴾ أما قول ابن خلكان وأولاد أخيه

يتوارثون المشيخة والولاية فهو كلام مجمل يحتاج الى تفصيل ولذلك أردنا أن نبسط الكلام في هذا المقام بسطا يسر القف قارئ كتابنا هذا على ما يشفي غليله ويسره ان شاء الله قال السيد الامام العلامة النسابة الشريف مؤيد الدين عبيد الله نقيب واسط المعروف بابن الاعرج الحسيني في كتابه بحر الانساب بعد ان سلسل آل الامام موسى الكاظم وذكر فروعهم الى السيد أبي القاسم محمد الجد التاسع للسيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين ما نصه وأما أبو القاسم محمد فانه بقي مقيما بمكة الى أن توفاه الله وعقبه من ولده المهدي وحده فالمهدي هذا أعقب عدنان ويحيى ورفاعة ويقال له الحسن المكي وهو الذي نزل بادية اشبيلية بالمغرب مهاجرا من مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة السنة التي دخل فيها القرامطة لعنهم الله مكة وقتلوا فيها ابن محارب أمير مكة وقد عظم سلاطين المغرب رفاعة الحسن المكي المذكور ورفعوا منزلته وعلا قدره وكبر أمره وأعقب عليا وسعدا وعمران وبركات فأما سعد وعمران وبركات فكلهم معقبون وذريتهم في المغرب يلزم السؤال عنها لتذكر واضحة وأما علي فانه أعقب أحمد ورفاعة وكنانة وهزاعا وغالبا ولكلهم ذرية فأحمد أعقب حازما وحازم أعقب الثابت وعبد الله ومحمدا عسلة فعبد الله سكن المدينة المنورة وله فيها العقب الصالح وأما الثابت فانه أعقب يحيى وله ذرية مباركة سيأتي ذكرها وأما محمد عسلة فانه أعقب حسنا ولم يعقب غيره ثم ان يحيى بن الثابت خرج من المغرب الى الحجاز ومعه ابن عمه حسن بن عسلة بن حازم مراهقا وبيد حسن تواقيع الملوك وقضاة المغرب وخطوط الاشراف والعلماء والاشياخ العارفين بالله وبها يذكرون نسبه مسلسلا الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما وصل الحجاز حررت أسماء رجال نسبته الطاهرة في جريدة الشرف المشجرة بعد استيفاء شروط الثبوت المرعي شرعا وعلقت في الكعبة ووقع له على رقعة نسبته الشريفة ملوك الحرمين الاشراف والسادات ثم العلماء والشيوخ والصلحاء وما أقره القدر في الحجاز فنزل العراق ودخل البصرة عام خمسين وأربعمائة واشتهر بها بالزهد والصلاح واعتقده الخلفاء وأكرموا قدمه وصاهر الانصار سكان واسط وبقيت ذريته في البصرة الى عهد ابنه السيد علي أبي الحسن فانه نزل واسط وتزوج من أخواله الانصار بالاصيلة فاطمة أخت شيخ الشيوخ امام الوقت مقتدى الصوفية جامع أشتات المعاني الباز الاشهب منصور البطائحي الرباني قدس سره فأعقب منها ذرية أعظمها مقاما وأجمعها للفتح نظاما سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي الحسيني رضي الله عنه وعنهم أجمعين فعلى هذا نسب بني رفاعة وعقبه الحسيني المكي المغربي ثم البصري ثم الواسطي نسب صح اتصاله برسول الله صلى الله عليه وسلم عند أهل الآفاق وثبت لدى اجماع أفاضل المسلمين الصادقين في الحجاز والمغرب والشام والعراق لا يشك فيه من الاوائل والاواخر رجل يؤمن بالله واليوم الآخر نعمت الشجرة ونعمت الثمرة والسلام قال شيخنا نظام الدين أبو الحرث محمد الواسطي بن محمد ابن يحيى بن هبة الله بن ميمون نقيب مكة الحسيني في مشجره ان السيد يحيى المغربي المكي الحسيني أول قادم من عصابة بني رفاعة الحسينيين الى البصرة نزلها عام خمسين وأربعمائة السنة التي دخل فيها البساسيري بغداد وخطب بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي خليفة مصر وأذن بحي على خير العمل وأحيا البدعة وأظهر التشيع ونهب دار الخلافة

وحريمها

وجرعها وحمل الخليفة القائم بالله فى هودج وأرسله مع ابن عمه مهاوش الى حديثة عانة وسار
أصحاب الخليفة الى طغرل بك فسار طغرل بك الى العراق لرد الخليفة القائم بالله الى خلافته
فلما وصل بغداد استقدم مهاوشا صحبة الخليفة وتلقى الخليفة بالخيول والآلات والخيام
العظيمة وأخذ بلجام بغلة الخليفة الى داره يوم الاثنين لخمس بقين من ذى القعدة سنة احدى
وخمسين وأربعمائة ووقف طغرل بك بباب الخليفة مكان الحاجب وقاتل البساسيرى
فقتله وبعث برأسه الى الخليفة وأخذت أمواله ونساؤه وأولاده وفى ذلك العام فوض الخليفة
القائم نقابة الاشراف بالبصرة الى السيد يحيى الرفاعى الحسينى لما شاع عنه من الزهد
والصلاح والتمسك بالسنة السنية والعمل بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم طمعا بازالة فتنة الرافضة على يديه وكتب له كتابا غير توقيع النقابة أخذه صاحب
المصطلح الشريف وبنى عليه كتابه أقول وذكر الشريف ابن الاعرج كتاب الخليفة بنصه
ثم قال بعد ذكر الكتاب مالفظه فعمل السيد يحيى بهذه الوصية وأيد الله على يديه السنة
السنية مع حفظ شرف العترة النبوية والجرثومة الفاطمية وعكفت عليه القلوب
وتعلق به المسلمون تعلق المحب بالمحبوب ثم تزوج بالاصيلة الحسيبة علماء الانصارية بنت
الشيخ أبى سعيد النجارى الانصارى البطائحى فأولدها السيد عليا أبا الحسن دفين رأس
القرية محلة ببغداد فلما كبر قدم البطائح وسكن أم عبيدة وتزوج ببنت خاله فاطمة أخت
الشيخ الامام منصور الربانى البطائحى فأولدها القطب الجليل الشريف الاصيل امام
الزمان حجة الله على أهل العرفان السيد أحمد الكبير الرفاعى شيخ الطوائف وامام الصوفية
ثم السيد عثمان والسيد اسمعيل وست النسب فاسمعيل أعقب أحمد وعثمان أعقب فرجا
ومباركا وأما ست النسب فان حسن بن عسلة بن حازم الذى قدم مع ابن عمه النقيب يحيى
الحسينى الرفاعى نزيل البصرة رباه ابن عمه وأرشده وأقرأه علوم الدين ولما كبر زوجه بنت
الشيخ الامام أبى الفضل فأولدها سيف الدين عثمان فلما بلغ أشده تزوج ببنت عمه الشريفة
ست النسب أخت السيد أحمد الكبير التى تقدم ذكرها فأولدها عليا وعبد الرحيم وأما السيد
أحمد أبو العباس الكبير الرفاعى فانه تزوج فى بدايته بالشيخة الصالحة خديجة الانصارية
بنت الشيخ أبى بكر بن يحيى النجارى الانصارى فأولدها فاطمة وزينب ثم توفيت فتزوج
باختها الزاهدة العابدة رابعة فأولدها صالحا قطب الدين مات فى حياة والده وعمره سبع عشرة
سنة ولم يتزوج وقال الشيخ على الحدادى بل تزوج وأعقب ولدا اسمه منصور وأما فاطمة بنت
السيد أحمد الكبير فقد زوجها أبوها بابن أخته وابن ابن عمه على مهذب الدولة بن سيف الدين
عثمان فأولدها ولى الله الامام الكبير محيى الدين ابراهيم الاعزب ونجم الدين أحمد الاخضر
وتزوج بعد وفاتها بامرأة أخرى فأولدها اسمعيل وعثمان وأربع بنات ولكلهم ذرية
بواسط وأما زينب بنت السيد أحمد الكبير فانها تزوج بها ابن عمتها وابن ابن عم أبيها مهذب
الدولة عبد الرحيم فأولدها شمس الدين محمدا وقطب الدين أحمد وأبا الحسن عليا وعز الدين
أحمد الصياد وأحمد أبا القاسم وأبا الحسن وبنتين ولكلهم ذرية فى الشام والعراق ومصر
والحجاز وان قاعدة بيتهم فى أم عبيدة فانهم يتوارثون مشيخة رواق أم عبيدة ورآسة واسط
والبصرة جيلا بعد جيل قال شيخنا نظام الدين أبو الحرث الحسينى وأعقاب بنى رفاعة الآن

بواسط والشام كثيرون جدا ولهم بقية فى المغرب والحجاز انتهى قال وقد اعتنى جماعة من ابنائهم ومحبيهم فألفوا كتبا حافلة بنسبهم وفروعهم فلتراجع فان فيها ما يكفى من ذكر فروعهم وأعقابهم كثرهم الله تعالى انتهى وقد علمت نسبة الرفاعى واذا أطلق اليوم هذا اللفظ يراد به الفرد الكامل السيد أحمد رضى الله عنه حيث صار لقبا له ولا يخفى ما فى دلالته على الرفعة من المناسبة

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب • الا ومعناه ان فكرت فى لقبه

كيف لا وهو السيد الذى أيد طريق أهل السنة والجماعة وما صرف من أوقاته ساعة فى غير حل دقيقة علم أو طاعة كما نطقت بذلك الكتب المعتبرة والآثار المشتهرة وما أحسن قول الامام العارف بالله الشيخ عبد الملك بن حماد الموصلى مادحا السيد رضى الله عنه وذلك قوله قدس سره

عليك بعد رسول الله تعويلى • وفى معانيك اجمالى وتفصيلى
يا ابن الرفاعى يا من من شمائله • تشملت هامة العليا بمنديل
بك انطوت غامضات الغيب وانفجرت • منها الحقيقة لبا لا بتأويل
عين الشريعة فاضت منك أترعها • صدق تنزه عن شطح وتهويل
تجسمت بك أسرار الكتاب ومن • هذا ترفعت عن وهمى وتخييلى
أطوف منك ببرهان الحجة ان • طاف الرجال بتقدير وتعليل
وارتق بك سينا الفتح معتصما • بعروة الحق لا بالقال والقيل
أعرضت بالجد فانهلت سحائبه • من بعضها مع نيل الفتح كالنيل
وسرت سير هلال الافق مرتقيا • الى المعالى بتكبير وتهليل
ولم تزل ناهضا تبغى التنقل فى • مجلى تدليك من ميل الى ميل
أبيت فى مذهب الدنيا الذهاب فلم • تسم لديك بتعجيل وتأجيل
لله در فتى الشرقين من بطل • عال عن الجرح محفوظ بتعديل
مولاه أبرزه فى طوره ملكا • مكللا من تجليه باكليل
تألقت فى سما الارشاد طلعته • شمسا لنا ان سرى قوم بقنديل
يحمى الحمى من أسود الله ليث هدى • ولم نشبهه بالضارى أو الفيل
أتى على فترة والشرع زلزله • عصائب البغى عن كيد وتضليل
والدين أقفل يبكى سوء غربته • موطد الركب فى أطمار مخذول
فجدد السنة السمحاء يوم تلا • آى المعانى بتجويد وترتيل
وقام يظهر من غر الخوارق ما • حواه منشور فرقان وانجيل
وفى يديه لواء الشرع خافقة • بنوره خفق تعليم وتكميل
وكل ناقص علم سيق منه الى • كمال دين علا عن خبط تحويل
حتى دعاه رسول الله ملتفتا • له ومن كفه كوفى بتقبيل
فصار أزرا لهذا الدين أو وزرا • لاهله ضاربا عنهم بمصقول
وحاز من لثم راح الهاشمى يدا • قضت له فى بنى العليا بتفضيل

سر تمكن من أوج البقا فسرى • رونق عز عن نقص وتعطيل
عناية حار أقطاب الرجال لها • وليس من بعدها ركز لذي قيل
اتباعه خلص القوم الكرام وقد • سرى بهم لا على حرف وتبديل
وأم فيهم صراط الاصطفا وروى • عن جده المصطفى أسرار جبريل
يا صاح ان تطرح الدعوى وقائلها • تجده أشرف متبوع ومقبول
ظلت سلاطين أهل الله قاصرة • عن شأوه الكل من جيل الى جيل
والمنبجى وذو العليا حيوة معا • والزعفراني والهيتي والزولي
ومثلهم عاجز عن بعض سيرته • أبو النجيب وعبد القادر الجيلي
ولو حلفت رقى عرش الامامة ما • طولبت أنت على هذا بتعليل
فقل لبهجة شمس الافق ان طلبت • فوقية بفنا حيدر انه قيلي
شيخ تمحض من جسم البتول هدى • أهدى لكشف الغطا آيات تنزيل
وعن أبيه على كم روى حكما • من نعمة المصطفى رضت بمعقول
أدعوك يا تاج هامات الرجال أغث • ياليث قفر الفيافي أشرف الغيل
دارك بعزمك عجزي يا ابن فاطمة • فأنت ذخري ومسؤلي ومأمولي
عليك دوما سلام الله تكنفه • يد الرضا لك مصحوبا بتبجيل

ويعجبني قول ابن حماد قدس سره أيضا

الا يا رفاعي المجد فضلك في الورى • عليه غدا الاجماع في كل امة
مفاخر أبناء الحسين عظيمة • وأعظمها الازلت بعد الائمة

وهو كذلك رضي الله عنه فانه كان حسن السمت والسيرة نير القلب والسريرة ان توجه الى قلب ملأه نورا أو ربط على اكرام معدم أفعم ناديه بأيدي أياديه سرورا اشتهر بالفضل اشتهار الشمس رابعة النهار فأشرق نوره على سائر الاقطار ومن تتبع شمائله ومزاياه يعلم انه كان من أحرص الناس على اتباع سنة جده صلى الله عليه وسلم كما نص على ذلك الثقات الاثبات من أجلة العلماء وصرح به الشيخ العصر تقي الدين بن تيمية طيب الله روحه في غير موضع من كتبه وأثنى عليه رضي الله عنه بما هو أهله وقد أشبع الناظم حفظه الله كتبه من مزايا هذا الامام وألف في مناقبه وآثاره كتبا جليلة لم يسبق اليها فمن أراد الوقوف على كمال ما كان منطويا عليه من العلوم والفضائل والمزايا والشمائل فليرجع الى مؤلفات الناظم حفظه الله ومتع المسلمين بحياته فانه لم يبق في القوس منزع ولا في الكأس مترع

على نفسه فليبك من ضاع عمره • وليس له منها نصيب ولا سهم

ولعمري ان مناقب هذا السيد الجليل والعلم الطويل أمرها باهر ونور سرها ظاهر على ان ذلك مما شاع وذاع وملأ الافهام والاسماع وانتشر في سائر البقاع وكلماته الحكمية التي استودعها غوامض الاسرار الغيبية دونها العقود الجوهرية منها ما نقله عنه الامام السيد محمد سراج الدين الرفاعي المخزومي قدس سره في رحيق الكوثر وذلك قوله رضي الله عنه أقرب الطرق الى الله الانكسار والذل لله والشفقة على خلق الله والتمسك

بسنة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الدنيا والآخرة بين كلمتين عقل ودين
وقال العقل ما عقل النفس وأوقفها عند حدها في أخذها وردها وقال كل العقل التخلص
من الحجب المستعارة وقال لا تعتبروا المسلم الا بالانصاف فمن أنصف فهو مسلم وقال
لا ينصح الا من توسم فيه مخايل القبول وقال حاسدك لا يرضى عنك أبدا وقال طريق جمع
الهمة وحضور القلب والادب مع الخالق والخلق وقال دفتر حال الرجل أصحابه وقال أفضل
العمل ما قارنه العلم وقال كل طريقة خالفت الشريعة زندقة وقال الدعوى رعونة
لا يحتملها القلب فيلقيها الى اللسان فينطق بها لسان الاحمق وقال أقرب الاشياء من المقت
رؤية النفس وقال من رأى أعرف منه فلم يستفد منه ترفعا فهو جاهل مبعد وقال من
استقام بنفسه استقام به غيره وقال العجب داء وضيع تترفع عنه العقول العالية وقال
حسبك من النعم الايمان ومن العطايا العافية ومن التحف العقل ومن الالهام التقوى وفي
الكل ليس لك من الامر شيء ان ربي على ما يشاء قدير وقال لا تسقط بالتسليم حلة التكليف
ولا تنزع بالتكليف ثوب التسليم ولا تركن الى الذين ظلموا ولا تقف ما ليس لك به علم ولا ترجع
في مهمات أمورك الا الى الله تعالى وقال الخلق كلهم لا يضرون ولا ينفعون حجب نصبها
لعباده فمن رفع تلك الحجب وصل اليه وقال لفظتان ثلمتان في الدين القول في الوحدة والشطح
المجاوز حد التحدث بالنعمة وقال لن يصل العبد الى مرتبة الكمال وفيه بقية من حروف أنا
وقال الزهد قصر الامل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء من زهد في الدنيا وكل الله به ملكا
يغرس الحكمة في قلبه وقال لا تجعل رواق شيخك حرما وقبره صنما وحاله دفة المكدية الرجل
من يفتخر به شيخه لا من يفتخر بشيخه وقال من عدل عن الحق الى الباطل تبعا لهوى نفسه
فهو من الضلال بمكان وقال أساس طريق دين بلا بدعة وهمة بلا كسل وعمل بلا رياء وثقة
بالله بلا انحراف الى غيره وقال غوش أهل الدعوى لا يسقط منار الصامتين ذلة لله تعالى وقال
اهل الدعوى يتبعهم أهل النفوس المغشوشة بطلب هذه الدنيا الجائفة وأهل الذل والانكسار
لله تعالى يتبعهم أهل القلوب الطائرة الى الله وحده وقليل ما هم وقال الكريم حيي والاثيم فاجر
والحبيب يقبل العذر ويقبل العثرة ويصبر اذا ابتلي والدني مترفع اذا أمن متواضع اذا خاف
مداح اذا أرضي ذمام اذا أغضب لا ميزان له في الحالين وقال آية الله في قلب العبد سلامته
من الغفلة وعبرته التي تسيل في الله عبرته وقال من لم يجعل الهوى عبدا ذليلا مسخرا الذي
سلطان الشريعة الذي شرعه نبيه ورسوله فأين هو من الايمان وقال من أراد ذوق الحكم
المحمدية فليلازم هذا الباب وان رأى موردا أعذب من موردنا فليذهب اليه فان أصحاب
مائدة الكرم يغارون غيرة الغبطة ولا ينصرفون حسدا عن الحق فيبغضون الناس أشياءهم
وقال أقرب الناس للزندقة المتصوفة المشغولون عن العبادات بالخوض في الكلام على
الذات والصفات اللهم ايمانا كايمان العجائز وقال قال المنكرون للقدر صادفت الاسباب
فظهرت الحوادث فقل لهم هذا هو القدر لو كنتم تعلمون وقال الولاية أدب ديني وخلق
محمدي فمن تجاوزهما فقد سقط والله الهادي الى سواء السبيل وقال كلمة الحق دائمة قائمة ولو
احتجب نورها بأبخرة الايام لان الحق مستتر في حقائق الامور وقال قل لمدعي الوحدة المطلقة
أنت محجوز عن غيرك بجهتك ومكانك وهو منزه عن الجهة والمكان وأنت محاط بثوبك وهو

بكل

بكل شئ محيط وأنت مسور بالعجز فى كل شئ وهو على كل شئ قدير فكذب وهمك كما كذبك
وجودك لتدخل فى أعداد المؤمنين الصادقين وقال كل ما طرأ عليه الحدث من جانب فهو
حادث فاتق الله ونزه ربك فان التوحيد افراد القدم عن الحدث وقال ما حل العلم بقلب الا
ورحل عنه الجهل ولا يكون ذلك الا اذا عظم العلم وقال صولة الباطن تختم بالوهن ووهن
الحق يختم بالصولة وقال أهل الدعوى فعلهم دون قولهم وأهل الكمال قولهم دون فعلهم
وقال أهل الصفاء من العارفين لا يرون لانفسهم على غيرهم مزية وقال تظهر الكبر ذلة
مضرة فى النفس وهذا كل العجب وقال الحكيم لا يطيش ولا يمتلك وقاره ولا ينفك عن الشرع
وقال أشرف البدايات الايمان وأشرف الاواسط الترقى فى مراتب الايمان وأشرف
الخواتيم الحصول على الايمان الكامل والامور بخواتيمها والله ولى المتقين أقول وكلامه
المبارك كثير وكله غرر ودرر وقال الحافظ تقى الدين عبد الرحمن أبو الفرج الواسطى محدث
واسط فى كتابه ترياق المحبين قال الامام العلامة ابراهيم الصديق الكازرونى فى كتابه الشجرة
ان بعض رجال الوقت رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى حضرة والرجال بين يديه وقوفا وهو
عليه الصلاة والسلام يقول السيد أحمد ابن السيد أبى الحسن الرفاعى شيخ هذه الامة وسيد
العارفين بالله اليوم اللهم انى أحبه فأحبه وقال فى الترياق أيضا قال لى شيخنا الشيخ عز الدين
الفاروثى رضى الله عنه أى تقى الدين لم يأت الينا من طرق صحيحة مروية الاسانيد أثبت
وأكثر وأصح وأعظم من كرامات السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه وقد بلغت ولايته
وكرامته مبلغ القطع البت وهو أكمل أهل عصره بلا ريب وان زلت أقدام قوم فنازعوك
على الحق المبين قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين انتهى قال الحافظ الواسطى فى الترياق
طالعنا طبقات القوم وما آثرهم فلم نر من بعد الصحابة وأئمة الآل الاثنى عشرة طبقة ولى لله
توازى طبقة السيد أحمد خلقا وتمكينا وتحققا بما كان عليه جده صلى الله عليه وسلم توفى
رضى الله عنه يوم الخميس الثانى والعشرين من جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة
بأم عبيدة وهو فى عشر السبعين قال الذهبى ودفن فى قبة الشيخ يحيى النجارى وقال كان
رضى الله عنه فقيها شافعى المذهب وكان لا يجمع بين لبس قميصين لا فى شتاء ولا فى صيف
ولا يأكل الا بعد يومين أكلة واحدة ولا يقوم لاحد من أبناء الدنيا ويترنم بهذا البيت

ان كان لى عند سلمى قبول • فلا أبالى ما يقول العذول

وقال كان رضى الله عنه يقول

اذا تذكرت من أنتم وكيف أنا • أجلت ذكركم يجرى على بالى
ولو شريت بروحى ساعة سلفت • من عيشتى معكم ما كان بالغالى

وأطال الحافظ الذهبى فى ترجمته وذكر شيئا جليلا من محاسنه رضى الله عنه وقال الامام
العلامة وحيد عصره أبو محمد الطيب المعروف بابن مخرمة فى كتابه قلادة النحر بعد كلام
طويل فى ترجمة السيد المشار اليه رضوان الله عليه راض نفسه بالتواضع والقناعة والذل
والانكسار حتى طار اسمه فى الاقطار وتبعه خلق كثير وأحسنوا الاعتقاد فيه كما هو الحقيق
بذلك وأطال المصنف بتوصيفه ثم قال وله كرامات كثيرة لا تعد ولابن عبد المحسن الواسطى
مصنف فى مناقبه رضى الله عنه انتهى قال العينى فى كتابه عقد الجمان عند ذكره المبارك

عقب أخيه وأولاده يتوارثون المشيخة قال واتباعه يتسلق أحدهم فى أطول النخل ثم يلقى نفسه الى الارض ولا يتألم ويجتمع عنده فى كل سنة فى المواسم خلق عظيم ونقل عن سبط ابن الجوزى رحمه الله انه ذكر فى المرآة حاكيا عن بعض أشياخه انه قال حضرت عنده ليلة نصف شعبان وعنده نحو من مائة ألف انسان وذكر سبط ابن الجوزى أيضا ان بعض أصحابه رآه مرارا فى المنام فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وقال الامام المناوى فى كتابه الكواكب الدرية عند ذكره شريف غار وض شرفه وهمى على العالم غيث سلفه كان سيدا جليلا عظيما صوفيا نبيلا واطال كل الاطالة بترجمته المباركة وذكر من كلماته الشريفة وكراماته ما يطول ذكره وأخبر بوقت موته وصفته فكان كما قال وقد كان الائمة من أعاظم علماء الدين يعولون فى طريقة الله عليه وناهيك منهم بالحافظ الجلال السيوطى فانه ينتهى اليه فى طريق الخرقة كما صرح بذلك الامام عبد الوهاب الشعرانى فى طبقاته الوسطى وذكر الشعرانى انه لبس الخرقة الرفاعية من الحافظ جلال الدين السيوطى ومن الذين انتموا الخرقته الشريفة شيخ الاسلام الامام المجمع على جلالته الشيخ عبد العزيز الديرينى رضى الله عنه قال الشعرانى فى طبقاته الوسطى ناقلا عن الامام عبد العزيز الديرينى انه قال من أرجوزة ذكر فيها مشايخه فى التصوف ومشايخه فى العلوم الظاهرة ما نصه

وكل من والاه رب العزه • فهو الذى بعزه أعزه
وقد تعلقنا بقطب العصر • منهم فخر فى سناه نسرى
شيخ الانام أحمد الرفاعى • حين أتانا من حماه داعى
فخر بن أحمد وأحمد • نسير فى نور هدى ونهتدى
رسولنا نبينا محمد • وشيخنا القطب الشريف أحمد
وشيخنا الشيخ أبى الفتح الاسد • لنا به الى الرفاعى مستند

قلت لم يكن بين السيد أحمد الرفاعى والشيخ عبد العزيز الديرينى من الوسائط فى الطريق سوى الشيخ أبى الفتح الواسطى رضى الله عنهم أجمعين وليس الا الاعتراف بالعجز عن ذكر اتباعه الائمة الذين هم بعده كالنجوم فى الامة ولله در الناظم فانه قال فيه وفى اتباعه

لقد تبع الغوث الرفاعى أمة • من الخلص الاخيار شوس أكابر
يروم محالا من يحاول عدهم • وهيهات ان تحصى النجوم الزواهر

وحسن ما نقله الوترى عن الشيخ العارف بالله السيد سراج الدين الرفاعى قدس سره انه قال مؤرخا ولادة السيد أحمد رضى الله عنه ومدة عمره ووفاته ببيت واحد وهو

ولادته بشرى ولله عمره • وجاءته بشرى الله بالقرب والزلفى

٥٧٨   ٦٦ ٥١٢

(وأعظم) من العظمة وهى انما تكون بحسب ارتفاع الشأن وعلو الطبقة وبذلك يمتاز التعظيم عن التكثير فان الثانى انما يكون باعتبار الكميات والمقادير تحقيقا أو تقديرا و(الصالحين) القائمون بحقوق الله وحقوق عباده (وأفضل) أكثر فضلا والمراد به ما ينطوى عليه الانسان من المزايا التى يفضل بها على غيره لان الفضل والفضيلة ضد النقص والنقيصة وقال بعض أساطين العربية ان الفضيلة هى الدرجة الرفيعة فى الفضل

مطلب أصول الفضائل

﴿وأصول الفضائل﴾ وأجناسها أربعة • الاول الحكمة وهى فضيلة النفس الناطقة المميزة وهى ان تعلم الموجودات كلها من حيث هى موجودة على ما هى عليه من نفس الامر بقدر الطاقة البشرية ويقال ان الحكمة وسط بين السفه ويسماه قوم بالجربزة وبين البله ويندرج تحت هذا الجنس الذكاء والذكر والتعقل وسرعة الفهم وقوته وصفاء الذهن وجودته وقوته وسهولة التعلم • الثانى العفة وهى فضيلة الجزء الشهوانى وهى وسط بين رذيلتى الشره والخمود ويندرج تحتها الحياء واللوعة والصبر والحرية والقناعة والامانة والانتظام وحسن الهدى والمالمة والوقار والورع والسخاء ويندرج تحته الكرم والايثار والنبل والمواساة والسماحة والمسامحة • الثالث الشجاعة وهى فضيلة النفس الغضبية وهى وسط بين رذيلتى الجبن والتهور ويندرج تحتها كبر النفس والنجدة وعظم الهمة والصبر والحلم وعدم الطيش والشهامة • الرابع العدالة وهى فضيلة للنفس تحدث لها من اجتماع الفضائل الثلاث التى ذكرناها وذلك عند مسالمة القوى بعضها لبعض واستلامها للقوة المميزة ويحدث للانسان حينئذ هيئة يختار بها أبدا الانصاف من نفسه على نفسه أولا ثم الانصاف والانتصاف من غيره ويندرج تحتها الصداقة والالفة وصلة الرحم وحسن التزكية وحسن القضاء والتودد والعبادة وتمام الكلام على ذلك فى محله ككتاب طهارة الانفس وغيره واجتماع ماذكر من الفضائل أصولها وفروعها فى السيد أحمد رضى الله عنه كما صرحت به التواريخ وكتب الرجال لا ينكره الا من اجتمعت عنده الرذائل وخلا بالكلية عن جميع الفضائل (وبقى) أن كون السيد أحمد أعظم الصالحين حالا وأفضلهم مبنى على كونه قطع مدة العمر متخلقا بالخلق المحمدى مستهديا بالهدى النبوى وقد ذكر الحافظ تقى الدين الواسطى فى ترياقه وابن الحاج فى أم البراهين والامام الشعرانى فى كتاب المنن وغير واحد ان المشايخ اتفقوا ان أكبرهم قدرا السيد أحمد الرفاعى وانه كان قطب الاقطاب فى الارض الى آخر ماقالوه وقد ذكر العارف بالله السيد حسين برهان الدين بن خزام الصيادى الرفاعى نزيل القبيلة الخالدية بديار الشام قدس سره ان القوم مع علمهم بان الافضلية علمها عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم جوزوا مشايخهم ترجيح اعتقادهم فان القلب يجزم والمحبة تلزم وليس للرجل ان يقود رجلا آخر انتسب الى شيخ آخر الى اعتقاده وجزمه انتهى ولاشك ان السيد الرفاعى رضى الله عنه أجل مشايخ الناظم سلمه الله تعالى فعلى هذا زال الاشكال وارتفع القيل والقال (ومعنى) البيت ظاهر وفيه من المحسنات التفسير وهو ان يأتى المتكلم أو الشاعر فى بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره اما فى البيت الآخر كبيت الناظم أو فى بقية البيت ان كان الكلام يحتاج الى التفسير فى أوله كقول محمد بن وهب فى المعتصم

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها • شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

ومثله فى الحسن قول محمد بن شمس الخلافة

شيئان حدث بالقساوة عنهما • قلب الذى يهواه قلبى والحجر
وثلاثة بالجود حدث عنهم • البحر والملك المعظم والمطر

وقال الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

ذكر الامام وابنيه بفسره • على والحسنان اكرم بذكرهم

ومن المعجز قوله تعالى يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا الآية أبهم سبيل الرشاد ثم فسرها فافتتح بذم الدنيا وتحقير شأنها ثم ثنى بنعيم الآخرة وتفخيم أمرها ثم ثلث بذكر الاعمال سيئها وحسنها كأنه قال سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا والاقبال الى الآخرة والامتناع من سيئ الاعمال والمسارعة الى صالحها وفائدة هذه الطريقة تفخيم أمر المبهم واعظامه للاجمال والتفصيل ومنه باب نعم وبئس ومن الامثلة قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا سأل ابن طاهر أحمد بن يحيى ما الهلع فما زاد على التلاوة (ثم) انه لا يخفى ان جعل البيت استئنافيا بيانيا ورفع قوله شيخنا على الخبر به لمحذوف أولى من جره على البدلية من امام لما فيه من الايجاز والسلامة من التضمين وهو تعليق البيت بما بعده فقد رآه غير واحد ومنهم الخليل من المعايب الشعرية على كثرة وروده فى الكلام والاخفش لا يرى ذلك قال الجد طيب الله ثراه وأنا وان كان ديدنى التدين بدين الخليل والاصحاب وبصرى ولله تعالى الحمد حديد لا اعتقد ذلك عيبا ولا أراه الا اذا كان كما فى قوله

وهم وردوا الجفار على تميم • وهم أصحاب يوم عكاظ انى

شهدت لهم مواطن صادقات • شهدت لهم بصدق الود منى

وأقول ان الخليل رحمه الله لا يرى أيضا مطلقه عيبا فقد قال السكاكى اعلم ان لك فى كثير من عيوب القافية ان تكسوها ما يبرزها فى معرض الحسن مثل ان تشرع فى اختلاف التوجيه فتضم ثم تكسر ثم تفتح أو أى وضع شئت غير ما ذكرت ثم تراعى ذلك الوضع الى آخر القصيدة أو فى اختلاف الاشباع أو غيرهما كما نقل الخليل قدس الله تعالى روحه بالتضمين حيث التزمه فانظر كيف ملح وذلك قوله

يا ذا الذى فى الحب يلحى أما • والله لو حملت منه لما

حملت من حب رخيم لما • لمت على الحب فدعنى وما

أطلب انى لست أدرى بما • أصبت الا انني بينما

أنا بباب القصر فى بعض ما • أطلب من قصرهم اذ رمى

شبه غزال بسهام فما • أخطأ سهماه ولكنما

عيناه سهمان له كلما • أراد قتلى بهما سلما

وكما اتفق التزامه فى اختلاف الوصل فى القطعة التى رويها الاصمعى عن اعرابى بالبادية كان يصلى ويقول

أنتم أولاد المجوس وقد عصوا • وتترك شيئا من صلاة تميم

فان تكسنى ربى قميصا وجبة • أصلى صلاتى كلها وأصوم

وان دام هذا العيش يارب • تركت صلاة الخمس غير ملوم

اما تستحى يارب قد قمت قائما • أناجيك عريانا وأنت كريم

فانصف كيف كسر شوكة العيب انتهى وقد بقى فى البيت من المحاسن البديعية والدقائق

الادبية

الادبية مالايخفى على الاديب والفطن الاريب تركناها خوف التطويل والله حسبنا ونعم الوكيل (قال الناظم) لازالت بده مستلم الانام وركن مجده شامخا الى مالاتدركه الاوهام

﴿لاثم الراحة الشريفة فى مشـ * ـهد مجده ما باشرف مرسل﴾

أقول (اللثم) التقبيل (والراحة) بطن الكف وتطلق على العرش والساحة وعلى الثوب وعدة مواضع (والشريفة) من الشرف وهو على مافى القاموس المجد ولا يكون الا بالآباء أو علو الحسب انتهى والظاهر أن المراد بالشريفة هنا المباركة لكثرة خيرها وزيادة برها والمراد من تقبيل الراحة تقبيل اليد من الكف أو باطنه والتعبير بها لايخفى وجهه وتقبيل اليد أمر مشروع فقد عقد أبو داود فى سننه لذلك بابا فقال باب ماجاء فى قبلة اليد عن زراع رضى الله تعالى عنه وكان فى وفد عبد القيس قال فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورجله وفيه أيضا عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال دنونا يعنى من النبى صلى الله عليه وسلم فقبلنا يده انتهى وذكر بعض الفقهاء ان تقبيل يد الغير ان كان لزهد وصلاح أو علم وشرف وصيانة أو نحو ذلك من الامور الدينية لم يكره بل يستحب كذا ذكره النووى فى الاذكار وعن بعضهم أنه يجوز تقبيل يد الحاكم العادل والعالم العامل وقال الجد طيب الله ثراه وفى تقبيل اليد ونحوها خلاف وفى حديث حسن انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن حنى الظهر فى السلام وعن التزام الغير وتقبيله وأمر بمصافحته نعم الصحيح أنه لا بأس بتقبيل نحو رأس أو يد أو رجل لنحو صلاح أو علم أو شرف بل صرح كثير بندب ذلك وصح أن أبا عبيدة قبل يد عمر رضى الله تعالى عنهما وروى أن ابن عباس أمسك الركاب لابى بن كعب فقال له ماهذا يا ابن عباس فقال هكذا أمرنا باكرام علمائنا فأطأطأ على يد ابن عباس فقبلها وقال هكذا أمرنا بتعظيم أهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وكذا لا بأس بتقبيل وجه طفل رحمة ومودة لخبر البخارى أنه عليه الصلاة والسلام قبل ابنه ابراهيم * وقال وقد قبل الحسن لمن قال لى عشرة من الاولاد ماقبلتهم من لا يرحم لا يرحم قال ويسن تقبيل قادم من سفر ومعانقته للاتباع الصحيح فى جعفر رضى الله تعالى عنه لما أقبل من الحبشة وتقبيل توابيت الاولياء قدس الله تعالى أسرارهم قال به بعض والاكثر لم يقبل ومايفعله الجهلة اليوم عند أعتابهم ومراقدهم نفعنا الله تعالى بعلومهم منكر لا أرضى به ولا أقدر أنا بل ولا غيرى على ازالته وأظنها مخبوءة للمهدى والامر لله عز وجل انتهى (والمشهد) محضر الناس (والمجد) الشرف الواسع وفسر أيضا بشرف الذات وحسن الفعل والمراد بمشهد المجد الذى عمه باشرف مرسل مرقد سيد الانام ومصباح الظلام عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام والروضة المقدسة التى صارت مهبطا للبركات ومصعدا للدعوات وموطنا للاجتماعات على الطاعات الى غير ذلك من أنواع الخيرات قال الجد طيب الله تعالى ثراه وقد حكى كثير من العلماء كابن عساكر والباجى والقاضى عياض الاجماع على أن الموضع الذى ضم أعضاءه الشريفة عليه الصلاة والسلام أفضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة بل نقل التاج السبكى عن ابن عقيل الحنبلى انها أفضل من العرش وقال الفاكهانى انها أفضل من بقاع السموات فقد جاء أن السموات شرفت بوطء قدميه

بل لو قال قائل ان جميع بقاع الارض أفضل من جميع بقاع السماء لشرفها بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو عندى الظاهر المتعين انتهى وحكاه بعضهم عن الاكثرين لخلق الانبياء منها ودفنهم فيها لكن قال النووى ان الجمهور على تفضيل السماء على الارض أى ما عدا ما ضم الاعضاء الشريفة واستشكل حكاية الاجماع على أفضلية ما ضم هاتيك الاعضاء المكرمة على جميع بقاع الارض بان الاماكن والازمان كلها متساوية و يفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قائمة بهما و يرجع ذلك بالاخرة الى أن الله تعالى يجود على عباده بمزيد أجر العاملين فيهما ومضاعفته وتعقبه الشيخ تقى الدين السبكى بان هذا لا ينبغى أن يكون التفضيل لامر آخر فيهما وان لم يكن عمل لان قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تنزل عليه الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله سبحانه من المحبة ولساكنه من القبول ما تقصر عن ادراكه العقول وليس ذلك لمكان غيره فكيف لا يكون أفضل وان لم يكن محل عمل لنا لانه ليس مسجدا ولا له حكمه بل هو مستحق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأيضا قد تكون الاعمال مضاعفة فيه باعتبار أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حى فيه كما قرره غير واحد وأعماله عليه الصلاة والسلام مضاعفة أكثر من كل أحد ولا يختص التضعيف بأعمال الناس ودون اثبات هذا الاختصاص الموت الاحمر وحقق أن تفضيل ذلك المكان باعتبارين أحدهما ما قيل من أن كل أحد يدفن فى الموضع الذى خلق منه وثانيهما تنزل الرحمة والبركات عليه واقبال الله تعالى اليه ولا نقول ان الفضل للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا ينافى ما قرره من حياته عليه الصلاة والسلام فى قبره خبر ما من أحد يسلم على الا رد الله تعالى على روحى حتى أرد عليه السلام لما قالوه من أنه ليس المراد برد الروح عودها بعد المفارقة بل المراد به الافاقة من الاشتغال باحوال الملكوت والاستغراق فى تجليات حضرة اللاهوت فانه عليه الصلاة والسلام مشغول فى البرزخ بذلك كما كان فى الدنيا حال تلقى الوحى ونظير هذا قولهم فيما ورد فى بعض أحاديث الاسراء من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستيقظت وأنا فى المسجد الحرام انه ليس المراد بالاستيقاظ الاستيقاظ من النوم فان الاسراء لم يكن مناما وانما المراد الافاقة مما اعتراه عليه الصلاة والسلام من مشاهدة العجائب والآيات العظام وقيل لان جملة رد الله تعالى الخ حالية بتقدير قد المصرح بها فى رواية البيهقى وحتى جارية مجرى الواو والمعنى ما من أحد يسلم على الا وقد رد الله تعالى على روحى قبل ذلك وأرد عليه وفيه تأمل وقيل لان لفظ الرد قد لا يدل على المفارقة بل يكنى به عن مطلق الصيرورة وحسن ذلك هنا مراعاة المناسبة اللفظية بينه و بين فأرد آخر الخبر وهو كما ترى وقال تاج الدين الفاكهانى ان المراد بالروح هنا النطق مجازا والعلاقة اللزوم فلا محذور وأنت تعلم أن المجاز يعتمد على القرينة وهى غير ظاهرة وأورد هذا على الاول أيضا وأجيب بانه كفى باخبار الحياة قرينة مانعة عن ارادة الحقيقة وقيل فى دفع المنافاة غير ذلك والله تعالى أعلم ولا يخفى أن تعظيم المقام لصاحبه واحترامه لحرمة من حل به وأشار الناظم سلمه الله تعالى بهذا البيت الى ما وقع للسيد أحمد رضى الله تعالى عنه من القصة العجيبة والحادثة الشريفة الغريبة التى تحلت بها سطور الطروس وهى قصة مد يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له عام حجه رضى الله تعالى عنه

وهي لهذا السيد الجليل والعلم الطويل درة القلادة وطوق السعادة والسيادة والمنقبة التي لا تقابل بمثيل ولا تشاكل بعديل كيف لا وهو اذا ذكر بين العرب والعجم يقال حائز شرف تقبيل يد النبي صلى الله عليه وسلم ولله در السيد سراج الدين الرفاعي البغدادي قدس سره فانه يقول في كتابه صحاح الاخبار عند ذكر هذه القصة

لقد مدح الغوث الرفاعي أمة ۝ وماذا عسى من بعد ان قبل اليدا
ومن شرف الارث الصريح لذاته ۝ متى ذكروه يذكرون محمدا

والقصة أشهر من أن تذكر وقد بلغت بين المسلمين مبلغ التواتر سار بذكرها الركبان واستفاض خبرها في البلدان وتلقاها الناس خلفا عن سلف ويخشى على منكرها سوء الحال والعياذ بالله كما صرح بذلك الامام العلامة الشيخ أحمد بن محمد الوتري في كتابه مناقب الصالحين والحافظ الامام تقي الدين الواسطي في كتابه ترياق المحبين في طبقات خرقة المشايخ العارفين والصفوري في نزهة المجالس والفاروثي قدس سره في النفحة المسكية وغيرهم وقد ذكر كل من هؤلاء الرجال خبر القصة المذكورة في كتبهم التي ذكرناها وأطال بذكرها الامام عبد الكريم الرافعي القزويني في مختصره سواد العينين وذكرها الامام الكبير السيد أحمد الصياد في الوظائف الاحمدية والشيخ الهمام الحافظ محمد بن قاسم الواسطي في كتابه البهجة الكبرى والشيخ العارف بالله علي أبو الحسن ابن الشيخ مقدام جمال الدين الخطيب الحدادي خطيب أونية الواسطي الشافعي في كتابه ربيع العاشقين والامام الحافظ قاسم بن أبي بكر بن الحاج الواسطي الشافعي في كتابه أم البراهين والامام الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه التنوير في كتابه الشرف المحتم والشيخ الكبير المناوي في كتابه طبقات الكواكب الدرية والشيخ العارف بالله العطار في التذكرة والشيخ الكبير أبو بكر العيدروس الحسيني في كتابه النجم الساعي والعلامة السيد أبو القاسم البرزنجي في اجابة الداعي والحبر الجليل العلامة الخفاجي في شرح الشفاء الشريف والامام الشعراني في مناقب الصالحين والشيخ الكبير العارف بالله الشيخ علي أبو الحسن الواسطي في خزانة الاكسير والعلامة الكبير ابن عماد الموصلي في تاريخه روضة الاعيان والعلامة العابد الصالح العارف الشيخ عبد المنعم العالي نزيل دمشق الشام في قاموس العاشقين وشيخ الجماعة الامام الكبير العارف بالله السيد سراج الدين الرفاعي المخزومي قدس الله روحه في صحاح الاخبار والعلامة الشيخ محمد بن جسوس المغربي في لوامع أنوار الكواكب الدرية والشيخ الاجل الشريف الكبير شرف الدين بن عبد السميع الهاشمي العباسي في مقدمة البرهان المؤيد وخلائق لا يحصون وملخص ما ذكره هؤلاء الائمة الاعلام في كتبهم أن هذا السيد الهمام والغطريف الضرغام انتهت له بعد خاله الشيخ منصور رآسة الطوائف العلية على الاطلاق وعلا بأذياله العارفون وانتفع به المسلمون وجدد أمر الشريعة الغراء وأعلى أركان الطريقة السمحاء وسارت الركبان بذكر خوارقه وجليل برهانه وعدوا مرتبته الغوثية آية من شانه ولما أراد الله افراده بعزية لا تنال ورفعة لا تطال وعز شامخ وشرف باذخ ومرتبة رفيعة ومنزلة منيعة وتدلت أسرار الغيوب لاعلان هذا الشان وانجلت بعد اختفائها للعيان كان كما شاع وذاع وملأ الاسماع وثبت بالتواتر القطعي الذي

لا يقبل الجمجمة ولا النزاع ولا يشتبه فيه الا من فى قلبه مرض أو زيغ أو ابتداع لتواتر صحة هذا الجزء الشريف عند الاولياء والحفاظ والاعيان الائمة وأكابر السلف الصالح الذين هم خلاصة الامة وذلك أن السيد الكبير المكرم والغوث الافضل المقدم سيدنا السيد أحمد الرفاعى المشار اليه صبت مجال رضوان الله عليه كان ذات يوم مع جماعة من أهل الله أرباب الوفا فقام وصاح صيحة دهشة وقال الله نوديت من العلا أن يا أحمد قم وزر جدك المصطفى فان هنالك أمانة يؤديها اليك فأنا عازم على الزيارة ماذا تقولون فى موافقة هذه الاشارة فقام بعض الرجال وأنشده معلنا بموافقة الحال

من كل أمر فانا لا نخالفه • وحد حداقانا عنده نقف

فقام رضى الله عنه من مكانه الذى صدرت له فيه الاشارة وانجلت له البشارة وباشر التهيئ للحجاز الشريف قاصدا التشرف بذلك الرحاب العطر المنيف وخرج بجماعة من أم عبيدة فغصت بالناس الطرقات من جميع الديار والجهات تشرفا بمعيته وتبركا بخدمته وكان فى القافلة المبرورة المذكورة من أكابر العصر جماعة كثيرون منهم الشيخ الجليل أحمد الزعفرانى والشيخ المعظم حيوة بن قيس الحرانى والشيخ الاكمل أحمد الزاهد بن الشيخ منصور البطائحى الربانى والشيخ المكرم عبد القادر الجيلانى والشيخ البركة التجى عقيل المعمرى المنبجى وغيرهم قال فى ربيع العاشقين لم يطعم السيد أحمد رضى الله عنه شيأ من الطعام منذ خرج من بيته الى أن دخل مدينة جده عليه الصلاة والسلام وقد ظهر له فى ذلك السفر من الكرامات الخارقة والاحوال الصادقة والاشارات البارقة ما لا يعد ولا يحصى ولا يحد ولا يستقصى ولا زال سائرا الى أن من الله عليه بالوصول الى دار محبوبه ورحاب بغيته ومطلوبه وقد قيل

وأعظم ما يكون الوجد يوما • اذا دنت الخيام من الخيام

فلما تراءت له القباب ولمعت له بوارق القبول من ذلك الرحاب ترجل عن مطيته وخلع خفه ومشى حافيا اعظاما لجليل مكانة هذه المقابلة النورانية واعزازا لجانب تلك الساحة المصطفوية فلما دخل الحرم المحترم ومس المبارك عتبة ذلك الباب المعظم وقف تجاه قبر جده سيد الوجود ومعدن الكرم والفضل والاحسان والجود وقال السلام عليك يا جدى فظهر صوت من القبر الاشرف يقول وعليك السلام يا ولدى سمع ذلك كل من حضر فى ذلك الروض الاعطر وقد زادت القافلة المدنية فى ذلك العام عن تسعين ألفا ووقف الناس وراءه ظهر السيد المشار اليه رضى الله عنه وهو فى حضور جده الاعظم صفا صفا وكان اليوم يوم الخميس والوقت بين العصر والمغرب وقد عم السرور والنور أكناف المشرق والمغرب فلما سمع الجواب من جده حبيب الملك الوهاب أن وحن وجثى على ركبتيه غائبا عن نفسه حاضرا مع أنسه ثم تداركته عناية جده بالرفق واللطف والانعام وأنشد أمامه عليه أكمل الصلاة وأفضل السلام

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها • تقبل الارض عنى وهى نائبتى

وهذه دولة الاشباح قد حضرت • فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فلما أتم البيتين الشريفين والركنين المعمورين ارتفع الستر المسدول وأسدلت ستائر

القبول

القبول وعمت الدهشة الابصار والقلوب وفتحت أبواب الغيوب وهمعت سحب المواهب القدوسية وانشق تابوت الحضرة النبوية وظهر لهذا الغوث الاعظم من الشرف المكنون ما كان مطويا فى منشور الكاف والنون ومد له جده صلى الله عليه وسلم يده الطاهرة فخرجت بيضاء سوية ذات كف طويلة الاصابع كالصقيل اليمانى تلمع نورا غشى الحرم فقبلها رضى الله عنه والناس جميعا ينظرون ولما قدم رضى الله عنه من الحجاز الى أم عبيدة هنأه بهذه النعمة السعيدة أعيان العصر بقصائد عظيمة منها هذه القصيدة السعيدة

أى سر جاءت به الانباء • وحديث رواته الاولياء
سلسلته السادات أهل المعالى • وحكته الائمة الاتقياء
فروى نشره الصدر بن ريا • وأضاءت بنوره البطحاء
مد طه يمينه للرفاعى • فانجلت عندها له الاشياء
بالهامن يمين قدس زكيه • يشتهى شم عطرها الانبياء
قد تجلى الله المهيمن لما • ظهرت وازدهت لذاك السماء
وأحاطت بالقبر أجنحة الامـ • ـلاك والشهب مسها الحصباء
شرف باذخ وشأن عظيم • أعظمته الغبراء والخضراء
ومقام مؤيد الشأن عال • غبطته الاكفاء والبعداء
فالندى حول بابه مستزام • والوفا الجم والسنا والسناء
صانك الله لو رأيت المعالى • يوم سرت بشبلها الزهراء
يوم دقت جلاجل السعد والجد وطابت لصوتها الاـلاء
يوم قامت للمصطفى بينات • قصرت عن ارادها الاحياء
يوم أبدى من الحياة رموزا • خرست عند ذكرها الاعداء
يوم ألوان جاحدى الحق غيظا • سربلتها بطورها الحرباء
يوم تتلى فى حالة الجد قربا • من ضريح فى ذيله الجوزاء
حضرة ذات حشمة ووقار • ضمنها الارض والسماء سواء
نال فيها الغوث الرفاعى مجدا • أسسته له بها الآباء
رب وقت يدنو الحفيد من الجد به ثم تنتهى الابناء •
لا تقل كيف تم هذا وأيقن • بفعل الله ربنا ما يشاء
واهجر المارقين واعذر اذا ما • أنكر الشمس مقلة عمياء
أيكون النبى ميتا وفى القبر • آن احياء ربها الشهداء
وعند اليمين لابن الرفاعى • حجة فى مقامها سمحاء
شهدتها المساء آلاف قوم • ورآها الاقران والاكفاء
صار ذاك المساء صباحا فيا أعـ • ـجب يوما فيه الصباح المساء
فرح الدين والهدى وطريق الحق بل والشريعة الغراء
وتعالى شأن النبى المفدى • وتلاشت بطبعها الاهواء

رضى الله عنك يا أحمد القو • م الذى طاب باسمه الفقراء
انما الاولياء فى كل أرض • لهم من فيوضك استجداء
أنت غوث البلاد شرقا وغربا • بك تسقى بقاعها الانواء
أنت شمس العرفان لولاك فى السلاك أضحا نهجهم ظلماء
أنت باب الرجا لكل مريد • وملاذ تحمى به الضعفاء
قد خلفت الرضا وجعفر والكثار فالبئر واحد والماء
آل بيت النبى لازال منكم • فى البرايا عن جدكم أوصياء
أنتم الصالحون وارثو أرض الله والعارفون والنجباء
أنتم حجة الاله على النا • س أجل والحجة البيضاء
نوركم كان والعوالم فى الطمس دخان والحادثات هباء
صلوات الله العظيم عليكم • ماتوالى الضراء والسراء
وبهم الرضا عبيد اضعافا • بكم استمسكوا وتم الرجاء

قال الحافظ الواسطى فى ترياقه مامن شيخ بعد السيد أبى الوفاء والسيد منصور رضى الله عنهما الاوللسيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه عليه بيعة المشيخة مرة أومرتين أوثلاثا وقد بايعوه على المشيخة فى الحرم النبوى حين مدت له يد النبى صلى الله عليه وسلم نقل ذلك عن الشيخ عز الدين أحمد الفاروثى قدس سره وذكر ان الفاروثى قال له قد رأيت جماعة من أهل تلك الحضرة المباركة يعنى من الذين شهدوا امتداد اليد الشريفة قال الفاروثى فى نفسه رأيت خمسة رجال من الذين تشرفوا بذلك المحضر الكريم قال الواسطى قال لنا الشيخ الصالح الثقة عبد الرحمن بن بدران بن يعقوب بن كراز حدثنى أبى عن أبيه الشيخ العارف بالله يعقوب بن كراز خادم سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعى رضى الله عنه انه قال خدمت سيدى السيد أحمد رضى الله عنه ثلاثين سنة فوالله مارأت عينى ولا سمعت أذنى شيخا أكمل منه ولا أكثر ذلا وانكسارا ولا أقوى شكيمة فى دين الله ولا أزهد ولا أسخى ولا أزيد تواضعا ولا أعظم تحملا ومارأيته أكثر ذلا وانكسارا من اليوم الذى مدت له فيه يد النبى صلى الله عليه وسلم فوالله ماظننت الا انه يموت من شدة الحياء وكان يمرغ وجهه الزكى وشيبته المباركة على تراب الحرم ويقول

سمح الاحبة فوق قدر عبيدهم • بعناية نشروا بها أعلامه
ماضر لوجعل الصحيفة جلده • لمديحهم وعظامه أقلامه

قال الناظم سلمه الله فى كتابه ضوء الشمس فى قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس مانصه ولا يخفى ان كثيرا من الاولياء يرونه صلى الله تعالى عليه وسلم ويسمعون خطابه الكريم الذى ورد فيه الحديث وعليه جماهير الامة سلفا وخلفا انه يرد على من يسلم عليه السلام والفرق بين الولى وغيره سماع خطابه المبارك وعدمه ومن هنا يستدل أيضا على ماأيد الله تعالى به مولانا السيد أحمد الكبير الرفاعى رضى الله تعالى عنه وميزه به عن أوليائه من القرب المحمدى فان الاولياء الكرام يرونه صلى الله تعالى عليه وسلم ولمثلهم ان يراه لان الحجب الثقيلة كالتراب ونحوه لاتمنع حذق أبصارهم التى طهرها الله تعالى من الاغيار

الا ان السيد الكبير السيد أحمد قدس سره عند خروج اليد المحمدية له ورآها حينئذ كل من كان في الحرم الشريف النبوي من مقرب ومحجوب وتواترت بها الاخبار وسارت بها الركبان في الامصار وتعطرت بذكرها محافل السادات والاكابر وامتلأت بنقلها بطون الدفاتر فما أعظم هذه المزية والرتبة العلية (وحسن ان نذكر هنا بعض من منّ الله عليه برؤيا سيد الوجود وخطابه الشريف من الاولياء والزهاد والصلحاء قال الامام السيوطي في التنوير روى في معجم الشيخ برهان الدين البقاعي قال حدثني الامام أبو الفضل بن أبي الفضل النويري ان السيد نور الدين الايجي والد الشريف عفيف الدين لما ورد الى الروضة الشريفة وقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته سمع من كان بحضرته قائلا من القبر يقول وعليك السلام يا ولدي وقال الحافظ محب الدين بن النجار في تاريخه أخبرني أبو أحمد داود بن علي بن محمد بن هبة الله بن المسلمة أخبرنا أبو الفرج المبارك بن عبد الله بن محمد بن النقود قال حكى شيخنا أبو نصر عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن أبي سعد الصوفي الكرخي قال حججت وزرت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فبينا أنا جالس عند الحجرة اذ دخل الشيخ أبو بكر الدياربكري ووقف بازاء وجه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا رسول الله فسمعت صوتا من داخل الحجرة وعليك السلام يا أبابكر وسمعه من حضر وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام عن شمس الدين بن محمد بن موسى بن النعمان قال سمعت يوسف بن علي الزناني يحكي عن امرأة هاشمية كانت مجاورة بالمدينة وكان بعض الخدام يؤذيها قالت فاستغثت بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعت قائلا من الروضة يقول أما لك في أسوة فاصبري كما صبرت أو نحو هذا قالت فزال عني ما كنت فيه ومات الخدام الثلاثة الذين كانوا يؤذونني انتهى وفي الفتوحات الاحدية شرح الهمزية للعلامة الشيخ سليمان تغمده الله تعالى بالرحمة والغفران عند الكلام على قول ناظم الهمزية الشيخ البوصيري رحمه الله

ليته خصني برؤية وجه • زال عن كل من رآه الشقاء

أي ليتني أراه في يقظتي بناء على امكان ذلك وهو ما حكاه ابن أبي جمرة وكثيرون عن جماعة من التابعين ومن بعدهم أنهم رأوه في اليقظة وسألوه عن أشياء قال ابن أبي جمرة وهذه من جملة كرامات الاولياء وعن الغزالي ان أرباب القلوب في يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويستفيدون منهم فوائد ومما يؤيد هذا انه لا يبعد أن من أكرم برؤيته يزيل الله الحجب بينه وبينه وهو بحاله في قبره ويخلق الله تعالى في الرائي قوة في بصره فيراه ولو مع بعد المسافة ويحادثه ويسمع كل كلام الآخر انتهى وقد رجح هذا على وجوه يحتملها البيت قال والقرينة ذلك انه يعني البوصيري تلميذ القطب أبي العباس المرسي فهو الذي حلت عليه بركته حتى وصل الى هذا المقام والقطب المذكور وارث القطب الاكبر أبي الحسن الشاذلي وكل منهما حفظت عنه رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقظة بل قال الشاذلي لو حجب عني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي مسلما وممن حفظت عنه رؤية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقظة مرارا العارف بالله تعالى سيدي علي وفا ابن القطب الكامل سيدي محمد وفا وكان

سيدى على يرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا عند قبر والده بالقرافة الى آخر ما قال عليه رحمة المتعال وقال ابن الحاج فى المدخل رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى اليقظة باب ضيق وقل من يقع له ذلك الا من كان على صفة عز وجودها فى هذا الزمان بل عدمت غالبا مع انا لا ننكر على من يقع له هذا من الاكابر الذين حفظهم الله تعالى فى ظواهرهم وبواطنهم قال وقد أنكر بعض علماء الظاهرية رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى اليقظة وعلل ذلك بان قال العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى دار البقاء والرائى فى دار الفناء وقد كان سيدى أبو محمد بن أبى جمرة يحل هذا الاشكال ويرده بان المؤمن اذا مات يرى الله تعالى وهو لا يموت والواحد منهم يموت فى كل يوم سبعين مرة انتهى وقال القاضى شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البارزى فى كتابه توثيق عرى الايمان قال البيهقى فى كتاب الاعتقاد الانبياء بعد ما قبضوا ردت اليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء وقد رأى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج جماعة منهم وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه وان الله تعالى حرم على الارض أن تأكل لحوم الانبياء قال البارزى وقد سمع من جماعة من الاولياء فى زماننا وقبله أنهم رأوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى اليقظة حيا بعد وفاته قال وقد ذكر الشيخ الامام شيخ الاسلام أبو البيان بناء بن محمد بن محفوظ الدمشقى فى نظمته انتهى وقال الشيخ أكمل الدين البابرتى الحنفى فى شرح المشارق فى حديث من رآنى الخ الاجتماع بالشخص يقظة ومناما لحصول ما به الاتحاد وله خمسة أصول كلية الاشتراك فى الذات أو فى صفة فصاعدا أو فى الافعال أو فى المراتب وكل ما يتعقل من المناسبة بين شيئين أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة وبحسب قوته على ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع ويقل وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان وقد يكون بالعكس ومن حصل الاصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء وقال الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فى رسالته والشيخ عفيف الدين اليافعى فى روض الرياحين قال الشيخ الكبير قدوة الشيوخ العارفين وبركة أهل زمانه أبو عبد الله القرشى لما جاء الغلاء الكبير الى ديار مصر توجهت لان أدعو فقيل لى لا تدع فما يسمع لاحد منكم فى هذا الامر دعاء فسافرت الى الشأم فلما وصلت الى قريب ضريح الخليل عليه السلام تلقانى الخليل فقلت يا رسول الله اجعل ضيافتى عندك الدعاء لاهل مصر فدعا لهم ففرج الله عنهم وقال اليافعى وقوله تلقانى الخليل قول حق لا ينكره الا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الاحوال التى يشاهدون فيها ملكوت السماء والارض وينظرون الانبياء أحياء غير أموات كما نظر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى موسى عليه الصلاة والسلام فى الارض ونظره أيضا هو وجماعة من الانبياء فى السموات وسمع منهم مخاطبات وقد ذكر الامام السيد أبو بكر العيدروس فى كتابه النجم الساعى ان القطب الامام محيى الدين السيد أبا اسحق ابراهيم الاعزب سبط سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعى رضى الله عنهما كان يصف الخليل ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم فأنكر بعض الفقهاء من الحاضرين عليه ذلك فالتفت نحو الفقيه وأشار الى جهة فأمعن الفقيه النظر وصاح وخر مغشيا عليه فلما أفاق

سألوه عن القصة فقال رأيت الخليل صلاة الله عليه وسلامه وهو كما وصفه لكم السيد ابراهيم رضي الله عنه وقد تقرر أن ما جاز للانبياء معجزة جاز للاولياء كرامة بشرط عدم التحدي وذكر الشيخ سراج الدين بن الملقن في طبقات الاولياء ما ملخصه ان الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره النوراني رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الظهر وقال له تكلم على الناس وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ومثل هذا شهير وما ذكرناه قليل من كثير وبقي أمور لا بد من التنبيه عليها كما ذكره السيوطي الاول أكثر ما تقع رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في اليقظة بالقلب ثم يترقى الى أن يرى بالبصر قال القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه قانون التأويل ذهبت الصوفية الى أنه اذا حصل للانسان طهارة النفس وتزكية القلب وقطع العلائق وحسم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس والاقبال على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا كشفت له القلوب ورأى الملائكة وسمع أقوالهم واطلع على أرواح الانبياء وسمع كلامهم ثم قال ورؤية الانبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامة وللكافر عقوبة انتهى ولكن ليست الرؤية البصرية كالرؤية المتعارفة عند الناس من رؤية بعضهم لبعض وانما هي جمعية حالية وحالة برزخية وأمر وجداني لا يدرك حقيقته الا من باشره كما روى عن الشيخ عبد الله الدلاصي انه قال فلما أحرم الامام وأحرمت أخذتني أخذة فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاشار بقوله أخذة الى هذه الحالة الثاني هل الرؤية لذات المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم بجسمه وروحه أو لمثاله قال السيوطي الذين رأيتهم من أرباب الاحوال يقولون بالثاني وبه صرح الغزالي فقال ليس المراد انه يرى جسمه وبدنه بل مثالا له صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسه قال والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق قال ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام فان ذاته منزهة عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره ويكون ذلك المثال حقا في كونه واسطة في التعريف فيقول الرائي رأيت الله تعالى في المنام لا يعني انه رأى ذات الله كما يقول في حق غيره انتهى وفصل القاضي أبو بكر بن العربي فقال رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بصفته المعلومة ادراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته ادراك للمثال وهذا الذي قاله في غاية الحسن الثالث سئل بعضهم كيف يراه الراؤن المتعددون في أقطار متباعدة فأنشد

كالشمس في كبد السماء وضوؤها • يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

الرابع ان قال قائل يلزم على هذا ان تثبت الصحبة لمن رآه فالجواب أن ذلك ليس بلازم أما ان قلنا ان المرئي مثال فواضح لان الصحبة انما تثبت برؤية ذاته الشريفة جسدا وروحا وان قلنا المرئي الذات فشرط الصحبة أن يراه وهو في عالم الملك وهذه رؤية وهو في عالم الملكوت وهذه الرؤية لا تثبت الصحبة ويؤيد ذلك أن الاحاديث وردت بان جميع أمته عرضوا عليه فرآهم ورأوه ولم تثبت الصحبة للجميع لانها رؤية في عالم الملكوت فلا تفيد صحبة هذا وفي البيت أنواع من البديع منها التلميح بتقديم اللام على الميم وهو أن يضمن المتكلم كلامه

كلمة أو كلمات من آية أو بيت أو فقرة من خبر أو مثل سائر أو معنى مجرد من كلام أو حكمة فان كون الشيخ رضي الله تعالى عنه لاثم البيد الشريفة كلام مشهور وهو بعض القصة ومن أمثلة التلميح قول أبي تمام

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظي • أرق وأحفى منك في ساعة الكرب

فقد ضمن كلامه كلمات من البيت المشهور وهو قوله

المستجير بعمرو عند كربته • كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقوله لحقنا بأخراهم وقد حوم الهوى • قلوبا عهدنا طيرها وهي وقع

فردت علينا الشمس والليل راغم • بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

نضى ضوؤها صبغ الدجنة وانطوى • لبهجتها ثوب السماء المجزع

فوالله ما أدري أأحلام نائم • ألمت بنا أم كان في القوم يوشع

فانه أشار الى قصة يوشع عليه السلام مع الجبارين وهي كالشمس في رابعة النهار وروي أن المنصور وعد الهذلي بجائزة ونسي وجاءمعا الى المدينة على بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الاحوص • يا بيت عاتكة الذي أتعزل • فأنكر عليه لانه تكلم من غير أن يسأل فلما رجع أمر القصيدة على قلبه فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم • مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فذكر المواعيد وأنجزله واعتذر اليه ومنه قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قال جار الله قوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيل محمد صلوات الله عليه وانه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في الزبور قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون (قال الناظم) لازال أصلا للفضائل مسلسل المحاسن والشمائل

﴿فرع ذاك الاصل الاصيل سليل النسب الطاهر الشريف المسلسل﴾

أقول ﴿الفرع﴾ هو ما يبنى على غيره كفرع الشجرة وفي القاموس الفرع من كل شئ أعلاه ومن القوم شريفهم ٢ ﴿وذاك﴾ ذا اسم اشارة موضوع للمفرد المذكر وضع الذي له واذا أشير به الى البعيد الحقت كاف الخطاب حرفا يدل على حال المخاطب غالبا واذا أريد التنبيه على زيادة البعد قرن باللام فقيل ذلك والاكثرون على ان المقرون بالكاف دون اللام للمتوسط والمقرون بها للبعيد ورد بان الفراء حكى ان اخلاء اسم الاشارة عن اللام لغة تميم ولا شك في انهم كانوا يشيرون الى البعيد على ان البعد غير مضبوط ليكون هناك وسط بينه وبين القريب وقد ينزل بعد المرتبة في الشرف منزلة بعد المسافة وذلك عند قصد التعظيم كما في ذلك الكتاب وكذا ينزل بعد المرتبة في الخسة منزلة بعد المسافة عند قصد التحقير كما في فذلك الذي يدع اليتيم وقد يؤتى بما يشير الى البعد اذا كان المشار اليه معنى غير مصرح به في الكلام كالمصدر الذي في ضمن القول نحو ضرب زيد عمرا فأعجبني ذلك تعني الضرب المدلول عليه بضرب وتمام الكلام في هذا المقام يطلب في كتب العربية ولعلنا نتكلم اذا عدنا المثله بيد أني أقول انه قصد ههنا من ذاك التعظيم ﴿والاصل﴾ ما يبنى عليه غيره ثم نقل في العرف الى عام آخر مثل الراجح والقاعدة الكلية والدليل وكلها تناسب

٢ وفرع كمنع بمعنى صعد ويستعمل بمعنى نزل فهو من الاضداد ويقال فرع زيد القوم فرعا اذا علاهم بالشرف أو الجمال اهمؤلف

المعنى

المعنى اللغوى فان المرجوح كالمجاز مثلا له نوع ابتناء على الراجح كالحقيقة وكذا الفروع الجزئية والمدلول بالقياس الى القاعدة والدليل ﴿والاصيل﴾ هنا مأخوذ من الاصل للتأكيد كقولهم دهر الداهر ﴿والسليل﴾ الولد كالسلالة ﴿والنسب﴾ القرابة أو فى الآباء خاصة وفسر بالاشتراك من جهة أحد الابوين وهو ضربان نسب بالطول كالاشتراك بين الآباء والابناء ونسب بالعرض كالنسبة بين بنى الاخوة وبنى الاعمام ولعل الاظهر هنا الاول ﴿والطاهر﴾ هنا الذى لم يدنس بنقص ﴿والمسلسل﴾ المتصل وفيه اشارة الى ماثبت عنه عليه الصلاة والسلام من بقاء هذا النسب المبارك وعدم انقطاعه ويحتمل ان يراد بالاتصال تناسب أولئك الآباء بالشرف والسودد وعدم انقطاعه بمن لم يسلك فى سبيلهم ولم يجر على منوالهم

ورث المكارم كابرا عن كابر • كالرمح أنبوبا على أنبوب

ومن هذا المعنى أخذ الاصوليون معنى الخبر المسلسل وكون السيد رضى الله تعالى عنه فرع الاصل الاصيل وسليل النسب الطاهر الجليل مما لا يحتاج الى برهان ولا يفتقر الى بيان وليس يصح فى الاعيان شئ • اذا احتاج النهار الى دليل

فانه على ماسيجئ ان شاء الله تعالى ينتهى نسبه الى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه بواسطة ريحانة الرسول وقرة عين البتول الامام الحسين رضى الله تعالى عنه وقد صح مرفوعا ان الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم واختار بنى آدم فاختار منهم العرب واختار العرب فاختار منهم قريشا واختار قريشا فاختار منهم بنى هاشم الحديث كيف لا وواسطة هذا العقد شمس العوالم ونورها وحور عين رياض الكائنات ونورها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى استخلصه الله تعالى من أطيب المناكح وحماه من دنس الفواحش ونقله من أصلاب طاهرة الى أرحام منزهة وقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تأويل قول الله تعالى وتقلبك فى الساجدين أى تقلبك فى أصلاب طاهرة من أب بعد أب الى ان جعلك نبيا فهو سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل ولا مغموز مستذل بل كلهم سادة قادة وكل فرد منهم واسطة قلادة وما أحسن قول البوصيرى قدس سره فى هذا النسب

نسب تحسب العلى بحلاه • قلدته نجومها الجوزاء
حبذا عقد سودد وفخار • أنت فيه اليتيمة العصماء

ومع كون هذا السيد الجليل رضى الله تعالى عنه قد استخلصه مولاه من اكرم العناصر وأمده سبحانه بأوكد الاواصر قد الحق البنوة بالابوة وأضاف درجة الفضيلة الى محتد النبوة حتى قيل فيه ما أقرب الشبه على بعد عهده وهذا ماء الورد بعد ذهاب ورده فاذا اجتمعا له كان مقابلا من طرفيه وكملت له أبهة شرفيه فان المرء كثير بفضله لا بأهله ومنظور اليه بكرم أخلاقه لا بكرم أصله وان شرف الانساب أصدقه ما كان الدهر به شهيدا وأجده ما كان قديما وأخلقه ما كان جديدا ولا يخفى ما فى البيت من أنواع البديع منها الطباق وقد مر بيانه وحلا ومنها الجناس الزائد وهو أقسام لانه اما ان يزاد حرف فى الاول كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق أو فى الثانى كقولك

وجدى جهدى أوفى الثالث ويسمى تذييلا قال أبو تمام

يمدون من أيد عواص عواصم • تصول بأسياف قواض قواضب

وقد يزاد أكثر من حرف كقول الشاعر

فيا لك من حزم وعزم طواهما • جديد البلى تحت الصفا والصفائح

ومنها غير ذلك مما يطول بيانه والفطن تكفيه الاشارة (قال الناظم) لازال منصورا وعدوه مقهورا

﴿ناصر السنة السنية شيخ القوم أنداهم يمينا وأطول﴾

أقول ﴿الناصر﴾ المعين وله معان أخر ﴿والسنة﴾ فى أصل اللغة الطريقة وفى اصطلاح الاصوليين والمحدثين ماجاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من أقواله وأفعاله وتقريره وماهم بفعله وفى اصطلاح بعض الفقهاء مارادف المستحب والسنة على الاصطلاح الاول هى المرادة مما يكون عليه الجماعة التى ذكرت فى الحديث الذى رواه أبو داود فى كتاب السنة قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة وفى رواية وهى ما أنا عليه اليوم وأصحابى وهذه الفرقة الناجية أخذت الدين من الكتاب والسنة والنقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف خلاف أهل البدع والاهواء فانهم أخذوا الدين عن عقولهم فأورثهم التفرق والاختلاف ﴿والسنية﴾ كعلية لفظا ومعنى ﴿وشيخ القوم﴾ مرشدهم وقدم أول الكتاب مايتعلق به والقوم الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه قال زهير

وما أدرى وسوف اخال أدرى • أقوم آل حصن أم نساء

وقال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نساء من نساء وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع لان قوم كل نبى رجال ونساء وجمع القوم أقوام وجمعه أقاوم قال أبو صخر

فان يعذر القلب المعيشة والصبا • فؤادك لا يعذرك فيه الاقاوم

عنى بالقلب العقل قال ابن السكيت يقال أقائم وأقاوم والقوم يذكر ويؤنث لان أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها اذا كانت للآدميين تذكر وتؤنث مثل رهط ونفر وقوم قال الله تعالى وكذب به قومك فذكر وقال كذبت قوم نوح فأنث فان صغرت لم تدخل الهاء وقلت قويم ورهيط ونفير وانما يلحق التأنيث فعله وتدخل الهاء فيما يكون فيه لغير الادميين مثل الابل والغنم لان التأنيث لازم له وأما جمع التكسير مثل جمال ومساجد فان ذكر وأنث فانما تريد الجمع اذا ذكرت وتريد الجماعة اذا أنثت انتهى وقوم الرجل اقرباؤه والذين يجتمعون معه فى جد واحد وقد يطلق على الاجانب توسعا ومنه قوله تعالى ياقوم اتبعوا المرسلين على ان القائل كان مقيما بين أولئك ولم يكونوا ذوى قرابته

وكانه انما سمى القوم قوما لقيامهم بالعظائم والمهمات وأل هنا للعهد والمراد بهم الذين تولى الله أمرهم وحفظ سرهم فقاموا باوامر الحق ونهضوا بحقوق الخلق وهؤلاء المؤمنون المتقون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكون السيد رضى الله تعالى عنه شيخهم أى أعظمهم فى زمنه ومقتداهم فى وقته وأكثرهم أتباعا وأشياعا مما لا شبهة فيه

ولا

ولامرية تعتريه وحسن مانقله الامام البقاعي فى كتابه عنوان الزمان من الشيخ الامام زين الدين الغراوي بقرية مصر من قصيدة له تخلص بها لمدح الامام الرفاعي وأتباعه رضي الله عنهم منها

لعمرك كم يرى لابن الرفاعي • رجال بالهدى ملؤا الشعابا

وبالحقيقة فقد أحسن الله اليه بالقبول حتى انتمى اليه اعيان عصره قال الحافظ الذهبي فى تاريخه ما ملخصه من دون زيادة أحمد بن أبي الحسن على بن يحيي الزاهد الكبير سلطان العارفين فى زمانه أبو العباس الرفاعي المغربي سكن أبوه بالبطائح بقرية أم عبيدة وتزوج بأخت الشيخ منصور الزاهد ورزق منها أولادا منهم صاحب الترجمة مات أبوه ورباه خاله وأدبه ومن كلامه سلكت كل الطرق الموصلة فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الافتقار والذل والانكسار فقيل له ياسيدى فكيف ذلك يكون قال تعظم أمر الله وتشفق على خلق الله وتقتدى بسنة رسول الله وأطنب الذهبي عدا نحه وقال العلامة محمد المعروف بابن حماد فى تاريخه روضة الاعيان عند ذكره وقد كان حكيم الاولياء وورعهم وصاحب القدم الثابت على اتباع النبى صلى الله عليه وسلم ومناقبه ومآثره لاتحصى وقد أفرد لترجمته ومناقبه أكابر الحفاظ وأشياخ الزمان كتبا مخصوصة لما من الله تعالى عليه به من الاخلاق الحميدة والخصال السعيدة وقد جدد أمر الدين وناب عن سيد المرسلين وأنقذ الله به من ظلمة الجهل وورطة سوء الاخلاق خلقا لايحصى عددهم وبلغ عدد خلفائه العارفين وخلفائهم الكاملين الى مائة وثمانين ألفا حال حياته الى آخر ماقال رحمه الله ومن هوذلك فلاريب هو شيخ القوم (ومما) يجب التنبيه عليه ان ماشاع على الالسن ان من لاشيخ له فشيخه الشيطان ليس المراد به كل شيخ كيفما كان بل المراد به الشيخ الكامل المتبع لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام لكن كان قولهم فشيخه الشيطان اذ غير المتبع لذلك متبع للشيطان لامحالة غاية مافى الباب ان اتباع الشيطان متفاوت المراتب حتى ان بعض المتبعين له من هو أشد ضررا منه بل قد يكون شيخه فى بعض الامور التى تصدر عنه نعوذ بالله تعالى من شر الشيطان من الانس والجان وحيل المتشيخين على اختلاف طبقاتهم لاتخفى حتى على ابليس وهى رأس مالهم الذى أثروا به حتى أوثروا على أرباب التدريس وتلك علة قديمة ومصيبة والعياذ بالله تعالى عظيمة وقد ساعد على بقائها فى العالم عدم سماع كلام العالم فيهم حيث توهم جهلة العوام ان ذلك ليس الا حسدا لهم فيما بأيديهم ومن أولئك من يحمله على غرض نفسانى غير ذلك ومنهم من يزعم ان انكار العلماء الاكابر لكون أولئك من أهل الباطن وهؤلاء من أهل الظاهر وما دروا ان كل باطن يخالف الظاهر فهو كما قال غير واحد من العارفين باطل ومن تنكبه خاسر وأكثر الجهلة اليوم مجتمعون على كلاب دنيا لايخطر لهم الزهد والورع ببال وقد رأس أهل الطريقة أقوام هم فى الحقيقة بالنسبة الى أهل الشريعة أخس من نعال أقدام فلكل متشيخ اليوم اعتبار ولو انه حمار أوحمار ولمعرفة الشيخ الحق من غيره موازين ذكرها حجة الاسلام الغزالى فى بعض كتبه يطول الكلام بذكرها منها ان لايتعدى جادة الشريعة باطنها وظاهرها ومن وقف على سيرة السيد رضى الله تعالى عنه علم انه عذيقها المرجب وجذيلها المحكك (وأنداهم يمينا

وأطول) كناية عن مزيد كرمه واشارة الى مزيد فضله وعلمه وذلك من المسلمات والقضايا الضروريات فهو فى الاحسان والندى يفيك ابن مامة وابن سعدى وفى الفضل والعرفان هو الوارث لعلوم سيد ولد عدنان كيف لا وهو من خواص أهل البيت وهم بحور درر العرفان التى لا تجرى فيها سفن لوان وعسى وليت (ولا يخفى) ان كون السيد رضى الله تعالى عنه ناصر السنة اما لانه كان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر قامعا للمبتدعين بما أمر ونهى ووعظ وزجر وبذلك تشرق أنوار الشريعة الغراء وينسلخ ليل البدع والاهواء وهذه نصرة وأى نصرة واظهار للدين الذى أتم الله نوره واما لانه جدد رباع العلوم بعد تضعضع أساسها وأحيى ميت الفضائل بعد اندراسها يدلك على ذلك تآليفه المفيده وتصانيفه السديده هذا البرهان المؤيد يدلك على شامخ فضله المشيد بل هو أعدل شاهد على ما قلناه وأوضح حجة على ما تلوناه واما لما هدى الله به من سلك طريقته العليه ودخل فى حمى حمايته القدسيه وفاز ببركته الباهره وأنفاسه الطاهره فقد وصل به الى الله تعالى من الاكابر من تنقطع دونهم سلسلة الاحصاء ونال به من نال من القرب حتى انحطت دونه كواكب الجوزاء وما زالوا ولا يزالون ما دامت الارض والسماء

نجوم سماء كلما انقض كوكب • بدا كوكب تأوى اليه كواكبه

ومرادنا بالانفصال الذى تقدم منع الخلو بالمعنى الاخص لا بالمعنى الاعم يعلم ذلك من يعلم ولا يفتح فيه الفم (وفى البيت) من محاسن البديع ما يزيد على ثلاثة أنواع وبيانه مما يضيق عنه نطاق الاتساع حيث طال الكلام وان لم نستوف المرام (قال الناظم لا زال على الهمه موفور النعمه

﴿صاحب الهمة التى قام منها • فوق عرش الكمال للفضل هيكل﴾

أقول (الصاحب) المعاشر والمراد هنا المتصف فان من اتصف بشئ صاحبه (والهمة) قال فى الصحاح واحدة الهمم يقال فلان بعيد الهمة والهمة أيضا بالفتح وتطلق الهمة عند القوم بازاء تجريد القلب للمنى وتطلق بازاء أول صدق المريد وتسمى هذه همة الارادة وتطلق بازاء جمع الهم بصفاء الالهام وهذه الهمة تسمى الهمة الخفية وهى همة المكمل من أهل الله تعالى قال بعضهم الهمة ثلاثة أقسام همة الافاقة وهى أول درجات الهمة وهى الرغبة على طلب الباقى وترك الفانى وهمة الانفة وهى الدرجة الثانية وهى التى تورث صاحبها الانفة من طلب الاجر على العمل حتى يأنف قلبه أن يشتغل بتوقع ما وعده الله تعالى من الثواب على العمل والهمة العالية وهى الدرجة الثالثة وهى التى لا تعلق الا بالحق ولا تلتفت الى غيره فهى أعلى الهمم حيث لا ترضى بالاحوال والمقامات وبالوقوف مع الاسماء والصفات ولا تقصد الا الذات انتهى ومن وقف على سير الممدوح رضى الله تعالى عنه تبين لديه ان مراد الناظم سلمه الله تعالى هو القسم الثالث الذى هو أرفع الاقسام حيث لم يلتفت قدس سره فى سيره لسوى الملك العلام ولا يخفى على العارفين ان ليس بين الكلامين كثير فرق (والتى) موصول اسمى موضوع للمفردة المؤنثة بالوضع العام للموضوع له الخاص عند العضد والآخذ بيده واحتج لعموم الوضع مع القول الاصح بان الواضع هو الله تعالى العالم بالمتناهى وغير المتناهى باطلاقه والكليات والجزئيات الغير المادية والمادية بوجه جزئى على

الصحيح أوكلى أتم من الجزئى فبناعلى رأى رجح ارشاد الله الخلق على طريق الحكمة فيما يفعلون ويذرون ونظير ذلك خلق السموات والارض فى ستة أيام مع القدرة على خلقها فى آن واحد وبالوضع العام الموضوع له كذلك عند السعد والمستفى بانواره واستعماله فى الخاص من حيث وجود العام فى ضمنه كما قيل فى استعمال الانسان فى زيد مثلا فى قولك رأيت انسانا وأنت تريده فلا يلزم مجازات لاحقائق لها على ماحققه السيلكوتى فالمعرفة ماوضع ليستعمل فى معين دون ماوضع لمعين وقد يعم على سبيل البدل وشاع فيه مستترا كما فى لو ترى واعلم أوائل المباحث المهمة وكذا نداء الخطاب كما فى لئن أشركت على رأى (وفوق) ظرف نقيض تحت ويستعمل على اضرب الاول باعتبار العلو كرفعنا فوقكم الطور الثانى باعتبار الصعود والحدور كاذجاؤكم من فوقكم الثالث فى العدد نحو فان كن نساء فوق اثنتين الرابع فى الصغر والكبر كمثلا ما بعوضة فما فوقها وأشير بما فوقها فيه الى العنكبوت المذكور فى وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت ومآل المعنى وأعظم منها واليه ذهب الفراء وجماعة وقيل ما فوقها أى فى الصغر وكانه مراد أبى عبيدة فى قوله فمادونها وقال الراغب تصور بعض أهل اللغة ان فوق تستعمل بمعنى دون فاخرج ذلك مخرج ماصنفه من الاضداد وهو توهم منه الخامس باعتبار الفضيلة الدنيوية أو الاخروية كرفعنا بعضهم فوق بعض درجات والذين آمنوا فوقهم يوم القيامة السادس باعتبار القهر والغلبة نحو وهو القاهر فوق عباده وللسلف فيه رأى فوق ذلك والانسب بالمقام هنا هو المعنى الخامس (والعرش) فى الاصل شئ مسقف وجمعه عروش وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى به عن العز والسلطان والمملكة ويطلق على سرير الميت قيل ومنه اهتزاز العرش لموت سعد ورواية اهتز عرش الرحمن لموت سعد تأبى هذا وهو فى لسان الشرع جسم نورانى علوى محيط بجميع الاجسام على مانص عليه اللقانى وقال بعد وليس العرش كرويا كما زعمه أهل الهيئة بل هو قبة ذات قوائم تحمله فى الدنيا أربعة أملاك وفى الآخرة ثمانية وليس لنا قطع بتعيين حقيقته وهو أول المخلوقات فى قول وغير الكرسى خلافا للحسن البصرى بل ذاك جسم آخر نورانى يسع السموات والارض وهو بين يدى العرش متصل به نسبته اليه على سعته نسبة الحلقة الى الفلاة ولا قطع لنا أيضا بتعيين حقيقته وحملته أربعة وبينهم وبين حملة العرش سبعون حجابا من ظلمة وسبعون حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترقوا من نور حملة العرش والظاهر ان العرش افضل منه وتعدد العرش لم نجد أحدا من السلف قال به نعم قال به البونى وأظن ان له سلفا من الصوفية فى ذلك ومن الصوفية من يقول فى العرش ماهو أبعد عن اذهان العامة من السماء وتمام الكلام فى هذا المقام فى تفسير الجد طيب الله ثراه فقد أورد فيه ماتحلى به المسامع وتلذ به الافواه (والكمال) التمام والمراد هنا تمام على الشريعة والحقيقة وجمع مراسم العرفان والطريقة وفى فعله ثلاث لغات أردأها الكسر كما فى الصحاح واضافة العرش الى الكمال من قبيل بيت العزة فيكون من باب التشبيه البليغ كصم بكم ويحتمل أن يكون من قبيل قول الشاعر

والريح تعبث بالغصون وقد جرى • ذهب الاصيل على لجين الماء

(والفضل) تقدم (والهيكل) الصورة والتمثال (وحاصل) معنى البيت أن هذا الشيخ رضى

الله تعالى عنه له همة تعلو الهمم وصبر في السير الى الله تنشق من ذكره مرارة القلم ولم يوم سوى الله ولم يقصد غير مولاه فاستوت همته على عرش الكمال وقام منها في محافل الفضل عثال فلا يأفل من سماء الفضائل نورها ولا يذبل في رياض الكمالات نورها تتناقل الرواة تواريخ أخبارها وتستلذ الافواه منافقة أسمارها قد لبس الزمان منها ثوب جمال كما لبس زاد جدة وتحلت منها الايام بجميل ذكر كلما مضت عليه الايام طال مدة وفي البيت تجريد كما في قولهم رأيت من زيد أسدا على معنى أنه قد بلغ في الشجاعة بحيث يجرد وينتزع منه أسد وكذلك يقال هنا ان الهمة بلغت مبلغا بحيث ينتزع منها همة أخرى مماثلة لها فمن في منها يحتمل أن تكون سببية مثلها في قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا ويحتمل أن تكون ابتدائية والمبدئية مجازية والتجريد من محاسن كلام البلغاء ومطارح أنظار الادباء وهو في الكلام كثير لا يسعه نطاق التحرير وفيه أيضا الاغراق وهو أحد أنواع المبالغة وفسروها بان يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا لئلا يظن انه غير متناه فيه فان كان المدعى ممكنا عقلا وعادة فتبليغ وان كان ممكنا عقلا لا عادة فاغراق وان لم يكن ممكنا لا عقلا ولا عادة فغلو ومن شواهد الاغراق قول المجنون

ولو أنني في القبر ثم دعوتني • وقد أصبحت مني العظام رميما
للبيت مشتاقا اليك مسارعا • وهيجت لي تحت التراب غيوما
أحبك حبا لا يزال عذابه • بقلبي الى يوم الحساب مقيما

(ومثله قول توبة)

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت • على ودوني جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقى • اليها صدى من جانب القبر صائح

(ومن المبالغة قول أبي الشبص)

لولا التمنطق والسوار معا • والحجل والدملوج في العضد
لتزايلت من كل ناحية • لكن جعلن لها على عمد

(وقول ابن حمديس في وصف جواد)

يجري فلمع البرق في آثاره • من كثرة الكبوات غير مفيق
ويكاد يخرج سرعة من ظله • لو كان يرغب في فراق رفيق

(ومثله قول شمس الدولة بن عبدان)

أبت الحوافر أن تمس بها الثرى • فكأنه في جريه متعلق
وكأن أربعه تراهن طرفه • فتكاد تسبقه الى ما يرمق

(وبديع قول الصلاح الصفدي)

يا حسنه من أشقر قصرت • عنه بروق الجو في الركض
لا تستطيع الشمس من جريه • ترسمه ظلا على الارض

(وقول السراج الوراق)

أغنتهم تلك القدود عن القنا • ونضوا عن البيض الصفاح الاعينا
وحموا طروق الحي حتى لم يكن • سير الخيال اليه أمرا ممكنا

(وقول

(وقول كشاجم)

ومازال يبرى أعظم الجسم حبها ٭ وينقصها حتى لطفن عن النقص
فقد ذبت حتى صرت ان أنا زرتها ٭ أمنت عليها ان يرى اهلها شخصى

(ولطيف قول بعضهم)

صيرنى هدفا فلوسق الحيا ٭ جدثى لا نبت ترب بنبال

(وقول جمال الدين بن مطروح من أبيات)

وجاد الزمان بليلة ٭ وعما جرى بيننا لا تسل
فاغفلت قامته بالعناق ٭ واذبلت مرشفه بالقبل
وكم همت فى غور خصره ٭ وأشرفت من مجد ذاك الكفل
وها أثر المسك فى راحتى ٭ وهذا فى فيه طعم العسل

(ولسيف الدولة بن حمدون)

قد جرى فى دمعه دمه ٭ فالى كم أنت تظلمه
رد عنه الطرف منك فقد ٭ جرحته منك أسهمه
كيف يسطيع التجلد من ٭ خطرات الوهم تؤلمه

(ولابن خفاجة الاندلسى)

وأهيف قام يسعى ٭ والسكر يعطف قده
وقد ترنح غصنا ٭ واحمرت الكاس ورده
وألهب السكر خدا ٭ أورى به الوجد زنده
فكاد يشرب روحى ٭ وكدت أشرب خده

ومن العلماء من لا يجعل المبالغة جنسا للاغراق ويسمى التبليغ مبالغة ولا مشاحة فى الاصطلاح

﴿قال الناظم لازال فلك الفخر وبهجة للدهر﴾

﴿فلك الفخر بهجة الدهر معنى ٭ دولة الاولياء فى كل محفل﴾

أقول ﴿الفلك﴾ على ماقاله الراغب مجرى الكواكب قيل سمى بذلك لاستدارته ويقال لكل مستدير فلك ويجمع على أفلاك كسبب وأسباب وقد يجمع على فلك كأسد وأسد ولعل المراد بكونه مجرى الكواكب أعم من ان يكون مجرى حقيقة أو مجازيا أو نحو ذلك لاطلاقهم الفلك على الاطلس مع انه لا كوكب فيه على ما يقوله الفلاسفة والافلاك عندهم تسعة وهى فلك الافلاك ويسمى الفلك الاطلس وهو المحرك بالحركة اليومية سائر الافلاك التى تحته . وفلك الثوابت وفلك زحل وفلك المشترى وفلك المريخ وفلك الشمس وفلك الزهرة وفلك عطارد وفلك القمر وهذا أصح ماقيل فى ترتيبها ولا قاطع لهم على الحصر فى ذلك بل يجوز ان تكون أقل كما يجوز أن تكون أكثر بكثير ونهاية ماقيل فى نفى الاكثر انه لا فضل فى الفلكيات وهو لعمرى من الخطابيات وكما يسمون الفلك التاسع بفلك الافلاك يسمونه بمحدد الجهات فليس وراءه جهة ولا خلا ولا ملا فى زعمهم وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى قريبا وزعم بعض علماء الاسلام ان ذلك هو المسمى بلسان الشرع بالعرش

والسلف يأبون ذلك لما انه لم يثبت فى خبر قوى أو ضعيف ان العرش يتحرك على الاستدارة
ويحرك ماتحته بالحركة اليومية بل قد ثبت فى أخبار صحيحة ان له قوائم وهذا ظاهره يأبى
ان يكون الفلك الذى يصفونه بما يصفونه ولا يأبى ماصح من انه مقبب كالخيمة كما لا يخفى
ومثل اباء السلف ذلك اباؤهم كون الفلك الثامن هو الكرسى وكون الافلاك السبعة
الباقية هى السموات السبع التى نطق بها الكتاب لانه لم يصح عندهم خبر فى انها متحركة
وفرقوا بين السماء والفلك كما أوضح ذلك الجد طيب الله تعالى ثراه فى تفسيره روح المعانى
ثم انهم يزعمون ان الفلك جسم صلب شفاف لا لون له ولا يقبل الخرق والالتئام وان له نفسا
بل يزعمون ان كل ما فى العالم العلوى من الاجرام حى الى أمور كثيرة لم يأت فيها كتاب ولا سنة
وللفلاسفة الافرنج مخالفة لاكثرها والفلك فى السعة لا يعلمه الا الله وجاء فى خبر ان الارض
بالنسبة الى سماء الدنيا كحلقة فى فلاة وهكذا سماء الدنيا بالنسبة الى السماء الثانية
والثانية بالنسبة الى الثالثة وهكذا والكل من الكرسى وما تحته بالنسبة الى العرش كحلقة
فى فلاة وقد قيل فى سعته انه لو جعت مياه الدنيا فى مقعره لنفدت قبل ان يستوعبه
المسح فسبحان من وسعت قدرته كل شئ وتلاشى فى جنب عظمته كل شئ (واعلم) انه يرد
على قول الفلاسفة ان ماوراء محدد الجهات لا خلا ولا ملا انه لو فرض ثاقب للمحدد فاما
ان لا يصادف مانعا فيخرج واما ان يصادف ذلك فلا يخرج وعلى الاول يلزم الخلا وعلى
الثانى يلزم الملا وقد اختاروا فى الجواب الشق الاول ومنعوا لزوم الملا بجواز ان المانع
فى المحدب نفسه وهو السطح الاعلى للمحدد قال الجد طيب الله تعالى ثراه فى كتابه غرائب
الاغتراب ونحو هذا ما قيل فى الاعتراض انه لو فرض شخص عند منتهى العالم فاراد ان يمد يده
مثلا فاما ان تمتد فيلزم الخلاء واما ان لا تمتد لمانع يصادمها فيلزم الملا وما قيل فى الجواب
من اختيار عدم الامتداد والتزام انه لفقد الشرط لا لوجود المانع المصادم وان من الناس
من اعترض على قولهم ذلك بانه يلزم عليه عجزه سبحانه وتعالى عن توسيع هذا العالم أو خلق
عالم مثله مع بقائه وهو باطل فلابد من القول بان وراء هذا العالم بعدا غير متناه يصلح لان يوسع
العالم فيه أو يخلق عز وجل فيه ما لا يتناهى من العوالم لكن على نحو عدم تناهى مراتب
الاعداد الذى لا يأباه برهان التطبيق وغيره من البراهين المقامة على امتناع وجود ما لا
يتناهى بالفعل وهذا الخلاء من حيث الصلاحية للخلق فيه نحو الخلاء والبعد الذى خلق فيه
هذا العالم وأجيب بانه قد قام الدليل على امتناع الخلاء وذلك على تقدير عدم الخلاء محال
وهو لا يصلح متعلقا للقدرة لئلا يلزم العجز ومثل ذلك خلق عالم فيما شغله هذا العالم بل خلق
بعوضة فى هذا العالم مع بقاء جميع أجزائه على حالها فانه أيضا محال للزوم تداخل الجواهر
المبرهن على محاليته فلا تتعلق به قدرته عز وجل ولا يلزم من ذلك عجزه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا والحاصل ان ما ذكره المعترض من لزوم عجزه تعالى ممنوع ثم قال عليه الرحمة وبعد
هذا كله لا أرى محذورا فى القول بان وراء العالم مثل ما العالم فيه الا انه خالفه فى سعته وعدم
تناهيه وأدلة استحالة الخلاء مدخولة عند محققى العلماء بل لا يبعد وقوعه فى هذا العالم اذ
وضع جسم ذو سطح صقيل مستو استواء حقيقيا على آخر مثله بحيث لا يتخللهما هواء ثم رفع
الفوقانى دفعة فان الوسط يبقى خاليا الى ان يصل اليه الهواء من الجوانب تدريجا حسب

ما تقتضيه الحركة وكلما كان الجسمان المذكوران متسعين كانت مدة بقاء الخلاء أطول لطول زمن الوصول الى الوسط وبلغني ان بعض الطبيعيين من الفلاسفة المحدثين يخرجون الهواء من بعض الظروف كقارورة كبيرة ببعض الآلات بحيث اذا ألقوا فيه رصاصة وريشة مثلا يصلان معا الى المقر في آن واحد وهو ظاهر في الخلاء دون بقاء هواء تلطف وانتشر حتى ملأ الظرف والا لعاق الريشة عوقا ما فلم يتصادفا في الوصول وان لم يسلم شيء من ذلك كفانا ان أدلة استحالة الخلاء أوهن من بيت عنكبوت في خلاء فتأمل ﴿والفخر﴾ بالسكون ما يفتخر به كالمفخرة بفتح العين وضمها وفي القاموس الفخر ويحرك والفخار والفخارة بفتح الفاء فيهما والفخيرى كخليفى وعد القدح بالخصال كالافتخار والمعنى الاول هو الظاهر هنا وكون السيد رضي الله عنه فلك الفخر مبني على التشبيه البليغ بمعنى انه قدس سره أعلى ما يفتخر به من محاسن الزمان وقد غدا ذكره تاجا على رؤس الايام وبها الوجوه الاعوام وقد دل الشرع على ان افتخار نفس الانسان بسعادته الحقيقية غير مذموم فيجوز للانسان ان يفتخر بطاعاته وحسن أخلاقه اذا كان يظن ان غيره يقتدي به وأفخر بيت قالته العرب قول امرئ القيس

ما ينكر الناس منا حين نملكهم ٭ كانوا عبيدا وكنا نحن أربابا

وقال دعبل أفخر الشعر قول كعب بن مالك

وببئر بدر حين رد وجوههم ٭ جبريل تحت لوائنا ومحمد

وقيل غير ذلك ومن جيد الافتخار قول بكر بن النطاح الحنفي

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ٭ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

ونحن وصفنا دون كل قبيلة ٭ ببأس شديد في الكتاب المنزل

وانا لنلهو بالحروب كما لهت ٭ فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

يعني قول الله عز وجل قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد فدعوا في خلافة الصديق رضي الله تعالى عنه الى قتال أهل الردة من بني حنيفة وبسبب هذا الشعر واشباهه طلبه الرشيد أشد طلب وقال كيف تفتخر على مضر وفيهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذي هو خير البشر وهذا افتخار بالشجاعة خاصة وممن افتخر بالكثرة أوس بن مغراء فقال

ما تطلع الشمس الا عند أولنا ٭ ولا تغيب الا عند آخرنا

وقال السيد أبو الحسن يفخر بقومه بني شيبان

يا آل شيبان لا غارت نجومكم ٭ ولا خبت ناركم من بعد توقيد

أنتم دعائم أهل الملك قد ركضت ٭ قبل الخيول لابرام وتوكيد

المنعمون اذا ما أزمة أزمت ٭ والواهبون عقيبات المذاويد

سيوفكم اقعدت كسرى مرازبه ٭ في يوم ذي قار انجازا لموعود

وهذا هو الفخر الحلال غير المدعى فيه ولا المنتحل ﴿والبهجة﴾ الحسن من بهج ككرم بهاجة فهو بهيج ﴿والدهر﴾ بفتح الدال وسكون الهاء وفتحها لغة وجوز ذلك بعضهم في كل حرف حلق وقع وسطا وهو في الاصل اسم لمدة العالم الدنيوي ثم يعبر به عن كل مدة كثيرة

فهو خلاف الزمان لانه يقع على المدة القليلة والكثيرة وقال بهمينار الدهر وعاء الزمان وخصه بعضهم بألف سنة وذكر الفقهاء ان من حلف لا يفعل كذا دهرا أو الدهر فهو حيث لا نية على ستة أشهر من وقت الحلف وكذا الحين والزمان معرفين ومنكرين وان كان فى كل نية اعتبرت وهو قول محمد وأبى يوسف رحمهما الله تعالى وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه لا أدرى ما الدهر أى معرفا ومنكرا ولا ينافى ذلك الاجتهاد كما قرر فى موضعه وهو أحد الامور التى توقف فيها وقد نظمها الشيخ محمد تاج العارفين فقال

شك الامام توقفا فى سبعة • تفضيل مطلق الانبياء على الملك
ومحل طفل الشرك والخنثى اذا • بان السيلان البلوغ ما درك
ومتى يصير معلما كلب كذا • سؤر الحمار لدى الطهارة فيه شك
ومتى يطيب اللحم من جلالة • والدهر كن ممن طريقته سلك

وفى السريع انه رضى الله تعالى عنه توقف فى أربع عشرة مسئلة وقال ابن أبى شريف

جمل الامام أبا حنيفة دينه • ان قال لا أدرى لتسعة أسئله
أطفال أهل الشرك أين محلهم • وهل الملائكة الكرام مفضله
أم أنبياء الله ثم اللحم من • جلالة أنى يطيب الاكل له
والدهر مع وقت الختان وكلبهم • وصف المعلم أى وقت حصله
والحكم فى الخنثى اذا ما بال من • فرجيه مع سؤر الحمار استشكله
وأجاز نقش الجدار لمسجد • من وقفه أم لم يجز ان يفعله

وزاد فقيه عصره ابن عابدين رحمه الله تعالى بيتا فقال

وزاد عاشرة هل الجنى يثا • ب بطاعة كالانس يوم المسئله

وقد يعد فى الأسماء الحسنى (١) على ما فى القاموس ولعل ذلك لما صح من قوله عليه الصلاة والسلام لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله واختلف فى تأويله فقيل المراد فان الله تعالى هو جالب الحوادث ومنزلها فوضع الدهر موضع جالب الحوادث لاشتهار الدهر عندهم (٢) بذلك وقيل الدهر الثانى فيه مصدر بمعنى الفاعل والمعنى فان الله تعالى هو الدهر أى المصرف المدبر الفاعل لما يحدث والاول أظهر وحكم سبه الكفر ان أريد به الله عز وجل قيل والكراهة ان أريد به الزمان والحرمة ان أطلق ولم يعين المراد منه وقيل الكراهة على هذا أيضا وهو الارفق بالناس فتأمل وفى الزواجر ما ينفع فى البحث فليراجع وأمر الاحتياط لا يخفى (والمعنى) قال السيد السند قدس سره الصورة الذهنية من حيث انه وضع بازائها الالفاظ والصورة الحاصلة فى العقل من حيث انها تقصد باللفظ تسمى معنى ومن حيث انها تحصل من اللفظ فى العقل تسمى مفهوما ومن حيث تقال فى جواب ما هو تسمى ماهية ومن حيث ثبوتها فى الخارج تسمى حقيقة ومن حيث امتيازها عن الاغيار تسمى هوية وتمام الكلام فى محله وقد يطلق المعنى على ما يقابل الذات (والدولة) على ما فى القاموس انقلاب الزمان والعقبة فى المال ويضم أو الضم فيه والفتح فى الحرب أو هما سواء أو الضم فى الآخرة والفتح فى الدنيا جمعه دول مثلثة ولا يخفى أن هذه المعانى لا تناسب المقام وكأنه

(١) وقد أنكر أبو داود ذلك وقد كان يروى خبر وأنا الدهر بفتح الراء ظرفا لاقلب أى وأنا أقلب الليل والنهار الدهر أى على طول الزمان وعمره وفيه ما فيه اه

(٢) فان العرب كان من شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند النوازل والحوادث ويقولون أبادهم الدهر وأصابهم قوارع الدهر وحوادثه ويكثرون ذكره بذلك فى أشعارهم وقد ذكر الله تعالى عنهم فى كتابه العزيز انهم قالوا وما يهلكنا الا الدهر فنهاهم عن ذم الدهر وسبه أى لا تسبوا فاعل هذه الاشياء فانكم اذا فعلتم ذلك وقع السب على الله تعالى وحاشاه لانه الفاعل لما يريد لا الدهر وقد ذكرت فى كتاب بلوغ الادب فى معرفة أحوال العرب ما يناسب هذا المقام مما تبتهج به القلوب وينشرح له الصدر اه

اراد

أراد السلطان مجازا والعلاقة ظاهرة والقرينة السياق والسباق فتدبر (والاولياء) جمع ولى وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد وقد وصفه المتكلمون بانه العارف بالله تعالى حسب ما يمكن من معرفة الذات والصفات المواظب على الطاعة المجتنب المعاصى والسيئات المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات المدبر عن الدنيا المقبل على العقبى المديم على ذكر المولى وقيل شرط الولى معرفته باصول الدين وعلمه باحكام الشريعة نقلا وفهما يوجد عنده ما يوجد عند علماء الارض فلو فرض موتهم لاقام الشريعة وقواعد الاسلام جميعها وتخلقه بالخلق المحمود شرعا وعقلا وملازمة الخوف أبدا سرمدا حتى لا يجد لنفسه طمأنينة ولعل هذا فى الكامل والا فأدنى درجاته ماذكرنا وقد ذكر الجد طيب الله تعالى ثراه فى موضع لا أتخطره من تفسيره ان الولى قد يكون أميا لا يعرف سوى الفرض العينى هذا وكرامات الاولياء ولو احياء ميت ووجود ابن من غير اب حق وكل من الرسالة والنبوة أفضل من الولاية ولا يبلغ ولى درجة نبى وحكى عن بعض الكرامية انه قد يبلغها بل أعلى وحكى عن الصوفية ان الولاية أفضل من النبوة وعن العز ابن عبد السلام ان ولاية النبى أفضل من نبوته والكل لا يعول عليه وما أنصف ما نقله الشعرانى عن الشيخ الاكبر قدس سره من قوله فتح لى من مقام النبوة قدر خرم ابرة تجليا لا دخولا فكدت احترق والحق ان الولاية ليست مكتسبة ان فسرت بمحبة الله تعالى العبد فافهم وقد اختلف فى ان الولى هل يعلم انه ولى أم لا فالرازى نقل عن ابن فورك عدم الجواز ونقل عن الاستاذ الدقاق والقشيرى الجواز واحتج المانعون بوجوه أوجبوا لاجلها القطع بأن الولى لا يعلم كونه وليا أما الذين قالوا ان الولى قد يعرف كونه وليا فقد احتجوا على صحة قولهم بان الولاية لها ركنان أحدهما كونه فى الظاهر منقادا للشريعة والثانى كونه فى الباطن مستغرقا فى نور الحقيقة فاذا حصل الامران وعرف الانسان حصولهما عرف لا محالة كونه وليا أما الانقياد للظاهر فى الشريعة فظاهر وأما استغراق الباطن فى نور الحقيقة فهو ان يكون فرحه بطاعة الله تعالى واستئناسه بذكر الله تعالى وأن لا يكون له استقرار مع شئ سوى الله تعالى قال الله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون فاذا من الله تعالى على العبد بالايمان والتقوى فقد ارتضاه وليا له بنص كلامه القديم ومتى ارتضاه فلا حاجر على كرمه ان يعلمه بانه اتخذه وليا له وهو يقول سبحانه وتعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ولا مانع ان يكون اعلام الله لعبده الولى من هذا الاجر واليه تعالى يرجع الامر ﴿والمحفل﴾ المجلس المجتمع وحاصل معنى البيت ان ذلك السيد الاجل والمرشد الاكمل رضى الله عنه هو أعلى ما يفتخر به وأحسن ما يتزين الدهر بحسبه ونسبه حيث كان فى نفس الامر فلك الفخر وفى الحقيقة بهجة الدهر بل وكان رئيس الاولياء فى كل محفل وناد وسلطان الاصفياء فى كل بلد من البلاد وكون السيد رضى الله تعالى عنه كذلك مبنى على ما أسلفناه عند الكلام على قول الناظم سلمه الله تعالى أعظم الصالحين حالا وأفضل * فلا تذهل وفى البيت من محاسن البديع ما لو ذكرناه أمللنا حيث بسطنا الكلام فى هذا المقام وأطلنا على ان ذلك غير خفى على الاديب والفطن اللبيب والله الهادى الى سواء السبيل وهو حسبى ونعم الوكيل قال

الناظم لازال فى ساحة الدلال مرفوع القدر بين ذوى الكمال

(ذل فى ساحة الدلال كمالا • وعجيب مدال يتذلل)

أقول ﴿الذل﴾ ضد العز يقال ذل يذل ذلا وذلالة بضمهما وذلة بالكسر ومذلة وذلالة اذا هان فهو ذليل وذلال بالضم وقال الراغب الذل بالضم ما كان عن قهر وبالكسر ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر ﴿والساحة﴾ كالعرصة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء وتكون بمعنى الناحية والجمع ساح وسوح وساحات ﴿والدلال﴾ اظهار جرأة فى تغنج وتشكل ودلال المرأة على زوجها اراءته ذلك كانها تخالفه ومابها خلاف وفى الدلال هنا استعارة بالكناية واضافة الساحة اليه استعارة تخييلية وفى بيانهما طول يطلب من محله ﴿والكمال﴾ التمام كما سبق وهو تمييز مفسر لنسبة ذل الى فاعله ﴿والعجيب﴾ من العجب محركة وهو انكار ما يرد عليك وجمعه أعجاب وجمع عجيب عجائب ثم اعلم ان فى البيت اشارة الى مزيد تواضع الممدوح رضى الله تعالى عنه وذله وانكساره اليه سبحانه كما دل عليه قوله فى كتابه البرهان المؤيد يافقير اقتد بالقرآن المجيد اتبع آثار السلف أى شئ أنا حتى أدعولك ما مثلى الا كمثل ناموسة على الحائط لاقدر لها حشرت مع فرعون وهامان وقارون وأخذنى ما أخذهم ان كان خطر لى فى سرى انى شيخ هذا الجمع أو مقدمهم أو من يحكم عليهم أو ثبت عندى انى فقير منهم وكيف تدعوه نفسه الى ذلك من هو لاشئ ولا يصلح لشئ ولا يعد بشئ انتهى لفظه القدسى وكلامه النورانى وفى ذلك الكتاب كثير مما هو من هذا الباب فما كان أكثر تواضعا واستكانة وما أرسخ قدمه فى الزهد والديانة فرضى الله تعالى عنه وأرضاه وأحله فى مقعد صدق من رضاه ولا يخفاك أن هذا من دأب كمل الرجال ومحايا المقربين عند الملك المتعال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فان الذين امتلأت صدورهم وصفت أرواحهم فاخذت بقسطها من صفوة الانبياء ورفعت عن قلوبهم الحجب فلاحظوا العز والجلال والكبرياء والكمال طأطؤا رؤسهم لجبروت مولاهم وخضعوا لعظمة من أصفاهم واصطفاهم ولا يضرهم ماهم عليه من المهابة فى أعين الخلائق وما وقفوا عليه من الاسرار والحقائق لموت شهواتهم وحياة قلوبهم بالله تعالى هذا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وهو أجل أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول ويل لعمر ان لم يغفر له هذا مع انهما كانا من المبشرين بالجنة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ويروى عن الامام السجاد رضى الله تعالى عنه انه كان يقول فى دعائه الهى وعزتك وجلالك لوانى منذ ابدعت فطرتى من أول الدهر عبدتك دوام خلود ربوبيتك لكل شعرة فى طرفة عين سرمد الابد بتحميد الخلائق وشكرهم أجمعين لكنت مقصرا فى بلوغ شكر أخفى نعمة من نعمك ولوانى كربت معادن حديد الدنيا بانيابى وحرثت أرضها باشفار عينى وبكيت من خشيتك مثل بحور السموات والارضين دما وصديدا لكان ذلك قليلا من كثير ما يجب من حقك على ولوانك الهى عذبتنى بعد ذلك بعذاب الخلائق أجمعين وعظمت للنار خلقى وجسمى وملأت جهنم وأطباقها منى حتى لا يكون فى النار معذب غيرى ولا يكون لجهنم حطب سواي لكان هذا لك على قليلا من كثير ما استوجبت

من

من عقوبتك وهذا هو الخلق المحمدى والنهج النبوى كما يدلك على ذلك جوامع كلمه ومعجزاد عينه وحكمه وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم كثير التواضع للناس وهم اتباع وخفض الجناح لهم وهو مطاع يمشى فى الاسواق ويجلس على التراب ويمتزج باصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم الا باطراقه وحيائه فصار بالتواضع متميزا وبالتذلل متعززا ولقد دخل عليه بعض الاعراب فارتاع من هيبته ودهش لجلالته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم خفض عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تاكل القديد بمكة وهذا من شرف اخلاقه وكريم شيمه وطيب اعراقه فهل مثل هذا التواضع تواضعا وهل مثل هذا التذلل تذللا هيهات هيهات وأين الارض من السموات (ومراد الناظم) سلمه الله تعالى بالدلال الذى أثبته للشيخ رضى الله تعالى عنه لازمه وهو كونه محبوبا اليه جل شانه لمكان الذل والعبودية التى تنافى ارادة حقيقة معناه على ان الامام الشعرانى قدس سره قال ان مقام الادلال ليس بمقام عال وما توفى الشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنه حتى ترقى عنه الى ما هو أعلى منه وقد اعترضه بعضهم بان الادلال من آثار المحبوبية والعبودية من آثار المحبة وان المحبوبية أعلى من المحبية نعم كلام القوم طافح بتفوق العبودية وان رتبتها هى رتبة المحبوبية وجعلوا أعلى مراتبها ما يشير اليه عبد مضافا الى ضميره تعالى كما فى قوله سبحانه سبحان الذى أسرى بعبده وفى ميدان دعواها تركض الناس ومن ذلك قول الشيخ أحمد الغزالى

يهون على اللوم فى جنب حبها • وقول الاعادى انه لخليع
أصم اذا نوديت باسمى واننى • اذا قيل لى يا عبدها لسميع

وقال آخر

لا تدعنى الا بيا عبدها • فانه أشرف أسمائى

وقال آخر

بالله ان سألوك عنى قل لهم • عبدى وملك يدى وما أعتقته

وقال عمر بن الفارض قدس سره

عبد رق ما رق يوما لعتق • لو تخليت عنه ما خلاكا

الى غير ذلك (ولم) نسمع عن السيد الرفاعى قدس سره العالى انه صدر منه ما يقتضى الدلال كما صدر من غيره بل لم يزل رضى الله تعالى عنه قائما على ساق العبودية والذل مع كمال الادب الذى هو مبنى الطريق الموصل الى الرب بل ولا نقل عنه الشطح فانه عندهم عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى يفصح بها العارف من غير اذن الهى وهو من زلات المحققين (وحاصل) معنى البيت ان هذا الشيخ الذى هو شيخ الشيوخ ومعدن الحقيقة والرسوخ كان ذليلا الى الله خاضعا لجبروت مولاه لما حواه من الكمال الذى لم يحوه غيره من كمل الرجال مع كونه فى مقام المحبوبية ملحوظا بعين العناية الربانية وهذا من العجب العجيب والامر النادر الغريب وانه معنى لا تدركه العقول ومقام يحجم عنه الابطال والفحول حيث جمع بين الضدين وألف بين المتخالفين (وفى البيت) من أنواع البديع الطباق وقدم بيانه وفيه الطرفة وهى ان ياتى الشاعر بمعنى يستغرب اما لقلة استعماله أو لزيادة لم تقع فيه لغيره يصير بها المعنى المشهور غريبا ولا يخفى ما بين ذل وتذلل

والدلال والمدال مما هو ملحق بالجناس وفيه غير ذلك والله ولى الهداية والتوفيق قال الناظم لازال متمكنا فى المحل الاسمى يتدفق كمالا وفهما وعلما

﴿حل من حضرة التمكن رحبا • عز أن ينتهى اليه مكمل﴾

أقول (حل) من الحلول وهو النزول يقال حل المكان وبه يحل حلا وحلولا وحللا محركة نادر اذا نزل به والحلول عند المتكلمين قسمان أحدهما الحلول السريانى وهو ان يحل كل جزء مقدارى من أجزاء الحال فى كل جزء مقدارى من أجزاء المحل حتى يلزم من الاشارة الى أحدهما الاشارة الى الآخر كسريان ماء الورد فى الورد الثانى الحلول الجوارى وهو ان يتعلق الحال بالمحل كحلول النقطة فى الخط وحلول الخط فى السطح وغير ذلك وما نحن فيه من قبيل الثانى على ما لا يخفى وفى الحلول السريانى يستلزم انقسام كل واحد من الحال والمحل انقسام الآخر ويستلزم عدم انقسام كل واحد منهما عدم انقسام الآخر والحلول الجوارى ليس كذلك (ومن) فى مثل هذا المقام تسمى اتصالية لانه يفهم منه اتصال شئ بمجرورها وهى ابتدائية الا ان الابتداء ههنا باعتبار الاتصال كذا فى حواشى شرح المفتاح الشريفى يعنى ان مجرورها ليس مبدأ ومنشأ لنفس ما قبلها بل لاتصاله بشئ فاما ان يقدر متعلقها فعلا خاصا كما قال الشيخ الطيبى فى شرح المشكاة فى بيان قوله عليه الصلاة والسلام أنت منى بمنزلة هرون من موسى ان قوله منى خبر للمبتدا ومن اتصالية ومتعلق الخبر خاص والباء زائدة يعنى أنت متصل بى ونازل منى منزلة هرون من موسى واما ان يقدر فعلا عاما كما ذهب اليه السيد الشريف قدس سره حيث قال فى حواشى شرح المفتاح أى بمنزلة كائنة وناشئة منى كمنزلة هرون من موسى فالتقدير ههنا حل رحبا متصلا ونازلا من حضرة التمكن أو رحبا كائنا من حضرة التمكن (والحضرة) بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة أراد بها المكان والمحل ويقال كلمته بحضرة فلان وحضرته بضم الحاء أى بحضوره وتطلق الحضرة على الرجل الكبير كانه لعظمه ومزيد تصوره فى القلب حاضر فى كل مكان والحضرات الخمس الالهية هى حضرة الغيب المطلق وعالمها عالم الاعيان الثابتة فى الحضرة العلمية وفى مقابلتها حضرة الشهادة المطلقة وعالمها عالم الملك وحضرة الغيب المضاف وهى تنقسم الى ما يكون أقرب من الغيب المطلق وعالمه عالم الارواح الجبروتية والملكوتية أعنى عالم العقول والنفوس المجردة والى ما يكون أقرب من الشهادة المطلقة وعالمه عالم المثال ويسمى بعالم الملكوت والخامسة الحضرة الجامعة للاربعة المذكورة وعالمها عالم الانسان الجامع لجميع العوالم وما فيها فعالم الملك مظهر عالم الملكوت وهو العالم المثالى المطلق وهو مظهر عالم الجبروت أى عالم المجردات وهو مظهر عالم الاعيان الثابتة وهو مظهر الاسماء الالهية والحضرة الواحدية وهى مظهر الحضرة الاحدية (والتمكن) التثبت وأراد به اليقين الذى لا يتغير بعواصف الشبه ولا يتزعزع بزعازع الوساوس (والرحب) المكان الواسع ومنه رحب به ترحيبا دعاه الى الرحب ومرحبا وسهلا أى صادفت سعة ورحبة المكان وتسكن ساحته ومتسعه (وعز) هنا بمعنى قل والمضارع يعز بالكسر والضم والفتح فى غير موضع وقد نظم تفصيل ذلك الامام السيوطى رحمه الله تعالى بقوله

يا قارئا كتب الاداب كن يقظا • وحرر الفرق فى الافعال تحريرا

عـز المضاعف يأتي في مضارعـه • تثليث عين بفرق جاء مشهورا
فما كفل وضد الذل مع عظم • كذا كرمت علينا جاء مكسورا
وما كعز علينا الحال أى صعبت • فافتح مضارعه ان كنت نحريرا
وهـذه الخمـسة الافعال لازمـة • واضمم مضارع فعل ليس مقصورا
عززت زيدا بمعنى قد غلبت كـذا • أعنتـه فكلا ذا جاء مأثورا
وقل اذا كنت في ذكر القنوت ولا • يعـز يارب من عاديت مكسـورا
واشكر لاهل علوم الشرع اذ شرحوا • لك الصواب وأبدوا فيه تذكيرا

(والانتهاء) الوصول (والمكمل) الذى جمع بين الفضائل والفواضل ولم ترو عنه نقيصة بين الاماثل (وحاصـل) معنى البيت ان جناب الممـدوح رضى الله تعالى عنـه ذو مكانة ومكان وارتفاع قدر وعلو شان فقد حـل المحل الذى لا يدرك والمقام الذى لا يطاول فيه ولا يشارك كيف لا وهو رحب متصـل من حضرة التمكن واليقين وهو الذى لا يصـل اليـه الا بعض المكمـل من العارفين حيث انحطت دونه المقامات وانخفضت له أعلى الدرجات فهو السابق الذى لا يشق له غبار والفائق الذى لا تدرك شأوه الافكار

حلف الزمان ليأتين بمثـله • حنثت يمينك يازمان فكفر

(واعلم) ان اليقين في اللغـة العلم الذى لا شك معـه من يقن الماء في الحوض اذا دام واستقر وفى الاصـطلاح اعتقاد الشيء انه كذا مع اعتقاد انه لا يكون الا كذا مطابقا للواقع لا يمكن زواله وعند أهل الحقيقة رؤية العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان وقيـل مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب وملاحظـة الاسرار بمحافظـة الافكار وقيـل هو طمأنينة القلب على حقيقة الشيء وقالوا في عين اليقين هو ما أعطته المشاهدة والكشف ووراء ذلك عنـدهم حق اليقين وفسر بفناء العبـد في الحق والبقاء به علما وشهودا وحالا لا علما فقط وبالجملة علم اليقين وحق اليقين وعين اليقـين أمور متفاوتة في مراتب القوة فعلم كل عاقل الموت علم اليقين فاذا عاين الملائكة فهو عين اليقين فاذا ذاق الموت فهو حق اليقين وقيـل علم اليقين ظاهر الشريعة وعين اليقين الاخلاص فيها وحق اليقين المشاهدة فيها (ثم) اعلم ان المقامات في المشهور قيل ثلاثة وقيل سبعة وقيل عشرة وقد شاع ذلك وذاع وملأ الاسماع وطبق البقاع وقد أشبع الكلام فيه أبو القاسم الخافى في كتابه السير والسلوك الى ملك الملوك وفى البيت من المحاسن الاغراق وقد سبق قال الناظم لا زال علم الاعلام ومقتدى الانام

(فلهـذا أضحى امام البرايا • وعليه فى العارفين المعوّل)

أقول قد تقدم بعض الكلام على اسم الاشارة ومعنى الفاء واللام يعرفه المبتدئون (واضحى) بمعنى صار (والامام) تقـدم (والبرايا) جمع برية من البرء بمعـنى الخلق فعيـلة بمعنى مفعولة وأصلها البريئة بوزن الخطيئة أبدلت الهمزة ياء وأدغمت الاولى فى الثانية وقرئ بالوجهين فى أولئك خـير البرية وهى اسم لجميع المخـلوقات فجمع الناظم لها باعتبار الانواع كما فى العالمين ولا بد من حمل أل هنا على العهد أو الاستغراق العرفى وقد سبق ما ينفع فى هذا المقام فلا تغفل والصحيح المعول عليه عنـد متكلمى أهل السنة ان خواص الملائكة كجبريل أفضـل من عوامنا وهم الصلحاء وهؤلاء أفضـل من عوامهـم والبرهان فى كتب الكلام والمسئلة

طويلة الذيل والتفصيل لا يسعه مثل هذه الرسالة (والعارفين) جمع عارف بمعنى عالم وهو عند القوم من شهد الله تعالى فى مظهر جامع بين الظاهر والباطن (١) والمقصود من هذا الشهود التصديق بوجوده تعالى ووجوبه وصفاته الكمالية الثبوتية والسلبية بقدر الطاقة البشرية اذ معرفته تعالى بالكنه غير واقعة عند المحققين بل منهم من قال بامتناعها كحجة الاسلام وامام الحرمين والصوفية والفلاسفة قال الجلال الدوانى ولم أطلع على دليل منهم على ذلك سوى ما قال ارسطو فى عيون المسائل كما تعترى العين عند التحديق فى جرم الشمس ظلمة وكدورة تمنعها عن تمام الابصار كذلك تعترى العقل عند ارادة اكتناه ذاته حيرة ودهشة تمنعه عن اكتناهه تعالى وهو كما ترى كلام خطابى بل شعرى وقد يستدل على امتناعها بان حقيقته ليست بديهية والرسم لا يفيد الكنه والحد ممتنع لانه بسيط ووجه ضعفه ظاهر لان البساطة العقلية محتاجة الى البرهان وعدم افادة الرسم الكنه ليس كليا اذ لا دليل على امتناع افادته الكنه فى شئ من المواد وعدم البداهة بالنسبة الى جميع الاشخاص يحتاج الى دليل فربما تحصل البداهة بعد تهذيب النفس بالشرائع الحقة وتجريدها عن الكدورات البشرية والعوائق الجسمانية والاحاديث الدالة على عدم حصولها كثيرة مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وتفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذاته فانكم لن تقدروا قدره وقال الصديق رضى الله تعالى عنه العجز عن درك الادراك ادراك ونظمه على ما قيل على المرتضى كرم الله تعالى وجهه فقال

العجز عن درك الادراك ادراك • فالبحث عن كنه ذات الله اشراك

انتهى كلامه قال الجد طيب الله تعالى ثراه والحق عندى الامتناع فهو سبحانه القاهر فوق عباده انتهى وتحقيق هذا المقام يطلب من كتب الكلام وفى كتاب أبكار الافكار ما يتبين به الليل من النهار وما أحسن قول ابن أبى الحديد من قصيدة (٢) بليغة فى التوحيد

تالله لا موسى ولا • عيسى المسيح ولا محمد
علموا ولا جبريل وهو الى محل القدس يصعد
عن كنه ذاتك غير انك أوحدى الذات سرمد
وجدوا علامات وسلبا والحقيقة ليس توجد
فليخسأ الحكماء عن • حرم به الاملاك مجد
من انت يا رسطو ومن • أفلاط قبلك يا مبلد
ومن ابن سينا حين أسس ما بناه لكم وشيد
• ما أنتم الا الفرا • ش رأى السراج وقد توقد
فدنا فاحرق نفسه • ولو اهتدى رشد الابعد

وقال مناجيا من أبيات

فيك يا أعجوبة الفكر • غدا الفكر كليلا
كلما أقبل فكرى • فيك شبرا فر ميلا

الى غير ذلك مما هو مذكور فى ديوانه وشرحه على نهج البلاغة (والمعول) من التعويل يقال عول عليه اتكل واعتمد (وحاصل) معنى البيت ان الممدوح رضى الله تعالى عنه لما

كان

(١) وقيل هو من أشهده الله تعالى ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله فالمعرفة حال تحدث عن شهود والعالم عندهم من أطلعه الله تعالى على ذلك لا عن شهود بل عن يقين وقيل غير ذلك فهم يفرقون بين العلم والمعرفة وعندنا قولان عدم التفرقة والتفرقة بان المعرفة مخصوصة بالجزئيات أو البسائط أو ما تكون بعد الجهل والعلم ليس كذلك وفى جواز اطلاق العارف عليه تعالى قولان وصحح الشهاب الخفاجى فى حواشيه على تفسير البيضاوى الجواز وذكر انه وقع فى بعض خطب أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وهو باب مدينة العلم ولا خلاف فى اسناد يعلم بمعنى يعرف اليه سبحانه ومن الغريب ما ذكره الراغب فى مفرداته من أنه لا يجوز اسناد الدراية اليه تعالى فلا يقال الله تعالى يدرى أن الامر كذا لما أن الدراية علم يتوصل اليه بنوع حيلة قال الجد رحمه الله تعالى ولم أقف عليه لغيره ومجاز الاطلاق والتقييد شائع فلا تغفل اه منه

تاه الانام بسكرهم • فلذاك صاحى القوم عربد
فخفافى من الشرك الكثيف مجرد العزمات مفرد
يا بادع الاكوان لست المكنون أجهد

كان موصوفا بما ذكرنا من الصفات منطويا على ما أشرنا اليه من العرفان والفضائل والكمالات صار امام الاولياء ومقتدى أجلة الاصفياء أمره لديهم ممتثل وقوله عندهم عليه المعول كيف لا وقد شرب من عين الحقيقة وارتوى من عذب غير أسرار الشريعة والطريقة وهو العالم الذى شهدت بفضله العوالم

أيها المادح الذى رام عدّا • لمزايا سموت فضلا ومجدا •
ومعان اذا بدت قلت فيها • كست البدر والغزالة بردا
هى بيض لها العبادة منه • اذن تجعل التعادة خلدا
أرضع الفضل والنجابة طفلا • وسعى للعلوم والزهد ولدا
ترك المال والحطام وأمسى • جاعلا ذكره على القلب وردا
عوّد القلب كل صهبا وذكر • من يذق صرفها تعوّد رشدا
رق فى الذكر مشربا فترى النا • س سكارى منذ احتسوا منه شهدا
مشرب لم يشب بأقذاء دنيا • وطريق تهدى الى الله جندا
نبذوا النفس واستكانوا البلواء • اكرم الخلق فى القيامة وفدا
من يرد موردا لهم صار مولى • يبصر الكون باللواحظ عبدا
هم أناس لهم شؤون أرتنا • حكما غلا البسيطة عدّا
حرسوا الدين بالنفوس اللواتى • قد أماتوا الحصر زوا ما أعدّا
لا تحل غير طرقهم لك تنجى • من لظى واقف ما نحوه مجدّا
ان عدلت بالنفائس منهم • ترق من فضلهم بقاعا ونجدا
فاذا رمت للاله وصولا • فاقفون أحمد الترزقى خلدا
ألف العلم والعبادة حتى • صار فى حلية الولاية عقدا
حسدوا فضله فزاد سموا • وقلوه فزاد فى الله ودّا
ان يروموا من سره كتم شئ • فهو كالنور ان كتمت تبدى

وفى البيت ما عده بعضهم من جملة أنواع البديع وهو ما يسمى بالتعليل وفسره بأن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه كقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقول البحترى

ولو لم تكن ساخطا لم أكن • أذم الزمان وأشكو الخطوبا

وقد يقدم المعلول كبيت القصيدة وكقول ابن رشيق وما أرشقه

سألت الارض لم جعلت مصلى • ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لانى • حويت لكل انسان حبيبا

ومن المسلم حسنه عند الشيوخ فى هذا الباب قول مسلم بن الوليد

يا واشيا حسنت فينا اساءته • نجى حذارك انسانى من الغرق

نعم ذكروا ان التعليل لا يعد من المحسنات الا ان يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقى ويجب ان لا يكون ما اعتبر علة للوصف علة له فى الواقع والا لما كان من محسنات الكلام لعدم تصرف فيه كما تقول قتل فلان أعاديه لدفع ضررهم وذلك كقوله

لولم تكن نية الجوزاء خدمته • لما رأيت عليها عقد منتطق

وأما عرق قول التهامي

لولم يكن اقحوانا ثغر مبسمها • ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

وما أقيس قول مجير الدين بن تميم في مليح وقاد

لا مواعلى الوقاد في حسنه • وحبه باللوم يزداد
لولم يكن في حسنه كوكبا • ما كان أمسى وهو وقاد

وما أغرب قول ابراهيم الغرناطي

لعمرك ما ثغره باسم • ولكنه حبب لاعب
ولولم يكن ريقه مسكرا • لما دار من حوله الشارب

وهو في الكلام كثير وما ذكرناه يسير والله ميسر كل عسير قال الناظم لا زال في الفضل جبلا راسخا وفي العرفان طودا شامخا

﴿جبل راسخ أبان سلوكا • عن طريق الرسول لا يتحوّل﴾

أقول (الجبل) محركة قال في القاموس كل وتد للارض عظم وطال فان انفرد فأكمة أو قنة جمعه أجبال وأجبل وجبال وسيد القوم وعالمهم انتهى فالكلام حينئذ اما على التشبيه البليغ أو الحقيقة ورجح الاول وصف الجبل بالرسوخ وفي ترتيب ما ارتفع عن الارض الى ان يبلغ الجبل العظيم الطويل قال الائمة أصغر ما ارتفع من الارض النبكة ثم الرابية أعلى منها ثم الاكمة ثم الزبية ثم النجوة ثم الريع ثم القف ثم الهضبة وهي الجبل المنبسط على الارض ثم القرن وهو الجبل الصغير ثم الال وهو الجبل الذليل ثم الضلع وهو الجبيل ليس بالطويل ثم النيق وهو الجبل الطويل ثم الطود ثم الباذخ والشامخ ثم الشاهق ثم المشمخر ثم الاقود والاخشب ثم الايهم ثم القهب وهو العظيم مع الطول ثم الخشام كذا ذكره الثعالبي وغيره ولله لغة العرب ما أوسعها وما أعذب ألسنتهم وما أفصحها ولسانهم أتم الالسنة بيانا وتمييزا للمعاني جمعا وفرقا يجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل اذا شاء المتكلم الجمع ثم يميز بين كل شيئين مشتبهين بلفظ آخر مميز مختصر كما تجده من لغتهم في جنس الحيوان فانهم مثلا يعبرون عن القدر المشترك بين الحيوان بعبارات جامعة ثم يميزون بين أنواعه في أسماء كل أمر من أموره من الاصوات والاولاد والمساكن والاظفار الى غير ذلك من خصائص اللسان العربي التي لا استرابة فيها وقد ذكرت في كتاب بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب ما يناسب المقام وتلتذ به المسامع والافهام • ثم ان السبب في تكون الجبال ما ذكره بعض الاجلة أن الحر الشديد يعقد الطين اللزج حجرا وتحققه التجربة وما يرى من أنموذج له في كير الخزافين ثم بتواتر السيول الحادثة من الامطار وتواتر الرياح العواصف تحفر الاجزاء الرخوة فيظهر الحجر قليلا قليلا ويتزايد الانحفار من جوانبه شيأ فشيأ حتى يصير جبلا شامخا قال الامام الرازي الاشبه أن هذه المعمورة كانت في سالف الزمان مغمورة في البحار فحصل فيها طين لزج كثير فتحجر بعد الانكشاف وحصل الشهوق بحفر السيول والرياح ولذلك كثرت فيها الجبال ومما يؤيد هذا الظن انا نجد في كثير من الاحجار اذا كسرناها أجزاء الحيوانات المائية كالاصداف والحيتان ولا يخفى

أن اختصاص بعض من أجزاء الارض بالصلابة و بعض آخر منها بالرخاوة مع استواء النسبة الى الفلكيات التى زعموا أنها المعدات لها قطعا للمجاورة والملاصقة الحاصلة بين الاجزاء الصلبة والرخوة يستدعى سببا مخصصا وعنده يقف العقل و يحيله على سبب من خارج وهو الفاعل المختار فليت شعرى لم لا نفعل ذلك أولا نعم لا يبعد أن يكون ذلك بارادة الله تعالى عند من يقول من المليين وغيرهم بالوسائط لا عندنا اذ الكل مستند اليه ابتداء فلا يتصور واسطة حقيقية على رأينا ولولا ضيق المقام لاشبعنا الكلام على أن لكل مقام مقالا ولكل موضع حالا (والرسوخ) الثبوت فى المحل غالبا وقد يعرض له ما يحركه من الابخرة التى تحتبس فى الارض وربما تحرك حركة ظاهرة وأما قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب فذلك قرب قيام الساعة يسلط الله تعالى عليها ريحا فتنسفها وتذريها ولشدة تراكم هبائها مع الرياح السارية يتخيل للناظر أنها أنفسها تسير وذلك صنع الله الذى أتقن كل شئ (والسلوك) الدخول فى الحضرة القدسية والسالك فى لسان القوم من مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره فكان العلم الحاصل له فى مسافة ترقيه عينا يأبى ورود الشبهة المضلة له ويطلق على المتلبس بالسير الى الله تعالى وله مقامات سبعة الاول مقام ظلمات الاغيار وتسمى النفس فيه بالامارة والثانى مقام الانوار وتسمى النفس فيه باللوامة والثالث مقام الاسرار وتسمى النفس فيه بالملهمة والرابع مقام الكمال وتسمى النفس فيه بالمطمئنة والخامس مقام الوصال وتسمى النفس فيه بالراضية والسادس مقام تجليات الافعال وتسمى النفس فيه بالمرضية والسابع مقام تجليات الصفات والاسماء وتسمى النفس فيه بالكاملة وكل من كان فى مقام من هذه فهو محجوب عما بعده ومن كان بالسابع فهو محجوب بتجليات الاسماء والصفات عن تجلى الذات بل هو ممتنع على التحقيق وان وقع فى كلام البعض فهو مؤول وللنفس فى كل مقام عشرة حجب كل حجاب أكثف مما قبله وكذلك حجب كل نفس أكثف من حجب النفس التى بعدها وتفصيل ذلك يطلب من محله نسأل الله تعالى أن يجعلنا من ذوى الفيض وأهله (والطريق) معلوم (٢) والمراد به ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام من الهدى والدين والفرق بينه وبين الصراط العموم والخصوص المطلق قال الحافظ ابن القيم طيب الله ثراه فى بدائع الفوائد المشهور أن اشتقاق الصراط من صرطت الشئ أصرطه اذا بلعته بلعا سهلا فسمى الطريق صراطا لانه يسترط المارة فيه والصراط ما جمع خمسة أوصاف ان يكون طريقا مستقيما سهلا مسلوكا واسعا موصلا الى المقصود فلا تسمى العرب الطريق المعوج صراطا ولا الصعب المشق ولا المسدود غير الموصل ومن تأمل موارد الصراط فى لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك قال أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه ٭ صراط اذا اعوج الموارد مستقيم ٭ و بنوا الصراط على زنة فعال لانه مشتمل على سالكه اشتمال الحلق على الشئ المسروط وهذا الوزن كثير فى المشتملات على الاشياء كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش والكتاب الى سائر الباب وهذا الوزن يأتى لثلاثة معان أحدها المصدر كالقتال والضراب والثانى المفعول نحو الكتاب والبناء والفراش والثالث أن يقصد به قصد الآلة التى يحصل بها الفعل ويقع كالخمار والغطاء والسداد لما يخمر به و يغطى به و يسد به فهذا آلة محضة والمفعول هو الشئ

(٢) وهو غير الطريقة اذ هى فى اللغة تطلق على أطول ما يكون من النخل بلغة اليمامة والجمع طريق قال الاعشى

طريق وجبار رواء أصوله عليه أبابيل من الطير تنعب

وعلى نسيجة تنسج من صوف أو شعر فى عرض الذراع أو أقل وطولها على قدر البيت فتخاط فى ملتقى الشقاق من الكسر الى الكسر وعلى الاشراف من الرجال يقال هذا رجل طريقة قومه وهؤلاء طريقة قومهم وعلى المذهب يقال مازال فلان على طريقة واحدة أى مذهب واحد وحالة واحدة وفى مصطلح القوم هى السيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى من قطع المنازل والترقى فى المقامات وهى غير الطريق عندهم لانه عبارة عن رسم اسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التى لا رخصة فيها

المحمر والمغطى والمسدود ومن هذا القسم الثالث الذى بمعنى مألوه وأما ذكره بلفظ الطريق فى سورة الاحقاف خاصة فهذا حكاية الله تعالى لكلام مؤمنى الجن انهم قالوا لقومهم انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم وتعبيرهم عنه ههنا بالطريق فيه نكتة بديعة وهى انهم قد مهدوا قبله ذكر موسى وان الكتاب الذى سمعوه مصدقا لما بين يديه من كتاب موسى وغيره فكان فيه كالنيابة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله لقومه ما كنت بدعا من الرسل أى لم أكن أول رسول بعث الى أهل الارض بل قد تقدمت قبلى رسل من الله الى الامم وانما بعثت مصدقا لهم بمثل ما بعثوا به من التوحيد والايمان فقال مؤمنو الجن انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم أى الى سبيل مطروق قد مرت عليه الرسل قبله وانه ليس ببدع كما قال فى أول السورة نفسها فاقتضت البلاغة والاعجاز لفظ الطريق لانه فعيل بمعنى مفعول أى مطروق مشت عليه الرسل والانبياء قبل فحقيق على من صدق رسل الله وآمن بهم أن يؤمن به ويصدقه فذكر الطريق ههنا اذا أولى لانه أدخل فى باب الدعوة والتنبيه على تعين اتباعه والله أعلم ولعل الناظم سلمه الله تعالى راعى هذه النكتة فاختار الطريق (والرسول) المبعوث لتبليغ أحكام الحق الى الخلق على التفصيل المشهور ويجمع على رسل بضمتين أو بسكون السين وهم لما صح عند غير واحد ثلثمائة وخمسة عشر ويشير الى هذا العدد اسم محمد وجاء ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير وصح أيضا أن عدة الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ويشير اليها بوجه آخر ذلك الاسم الجليل وفى ذلك رمز دقيق لا يخفى على أرباب التحقيق والقول بانه لا ينبغى الخوض فى عددهم لقوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم مما لا ينبغى أن يعول عليه لان زعم عدم اطلاعه عليه الصلاة والسلام أبدا على عددهم لهذه الآية وهو الذى أعطى علم الاولين والآخرين جهل بالمعانى اللغوية لما فى الآية الكريمة من لم والقصص وقد أوضح ذلك الجد طيب الله تعالى ثراه فى غير موضع من كتبه والنبى أعم من الرسول لانه يشترط فيه البعثة والامر بالتبليغ وقيل بتساويهما وقد فصلت ذلك فى كتاب كنز السعادة فى شرح كلمتى الشهادة وسيجىء ان شاء الله تعالى تتمة لهذا الكلام (والتحول) الانتقال والتغير وفرق العلامة السعد بين التحويل والتغيير بما هو مذكور فى شرحه على مقدمة التصريف (وحاصل معنى البيت) ان السيد الممدوح رضى الله تعالى عنه جبل فى الفضل راسخ وطود فى العرفان شامخ لا يطاوله أحد فى علو كعبه ولا يدانيه أحد من صحبه بين طريق الرسول عليه الصلاة والسلام وبين الهدى المقبول لسائر الانام ولم ينحرف فى سيره الى الله تعالى عن الصراط المستقيم ولم يتحول عن الطريق القويم فلذا كان علم الاعلام ومرجع الخاص والعام

خير أمور الدين ما كان سنة * وشر الامور المحدثات البدائع

(واعلم) ان ما أشار اليه الناظم سلمه الله تعالى من كون الشيخ السيد أحمد رضى الله تعالى عنه كان على السنة النبوية والطريقة المحمدية حق لا شك فيه ولا شبهة تعتريه فان سلسلة طريقته قدس سره تنتهى الى سيد الطائفة أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه

وطريقه طريق مقوّم لانه خال من البدع ودائر على التسليم والتفويض والتبرى من النفس والتوحيد بالحق وفى كتاب معراج السالكين عند الكلام على ذكر آداب الطريقة الرفاعية العلية الادب الصحيح فى كل طريقة أدب الشرع فان من تأدب بأدب الشرع فهو ممن سلك الطريق ويرجى له الوصول ومن لم يتأدب بادب الشرع فقد ضل الطريق وركب طرق الوعر والجبال وغرق حاله ولا يصل الى مقصوده أبدا وان ما اختاره مشايخنا فى طريقتنا من آداب الشرع للسالك أوّلا الصحبة لتنقلب طباعه بمغناطيس الصحبة من الغفلة الى اليقظة ومن البخل الى السخاء ومن الحرص الى الزهد ومن سوء الخلق الى حسن الخلق ومن كل حال دنى الى كل حال زكى فتى أسست الصحبة أركان المحبة الخالصة لشيخه وانقلع من طبعه ألفة القواطع وطهرت نفسه يأمره الشيخ بالصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعدد كثير حتى يستغرق بكلينه حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث اذا تقهقه فى ضحكه وهو فى البر الاقفر وحده استحى من صاحب الشريعة عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام ثم يلحق له بعد الصلوات الاستغفار بعدد معلوم وبعد الاستغفار ذكر الله تعالى بشرط التجرد حال ذكر الله تعالى من المخلوقين عظيمهم وحقيرهم كبيرهم وصغيرهم وفى أثناء السير يعالجه طبيب روحه شيخه بالرياضة اذا مست الحاجة اليها وبالسياحة وبالتجرد وبالخلوة وبالسهر وبالتهجد وببذل ما فى اليد وبالخدمة الشاقة على النفس ومع ذلك يجعله مؤسس البنيان ممهد الاركان على المراتب الثلاثة المندرجة فيما قررناه وهى حب الشيخ بالانقطاع عن غيره وبذلك تصح الصحبة وتكمل طهارة النفس وتنقلع ألفة القواطع من طبع المريد واستغراق القلب واللسان بمحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليصح الاقتداء به عليه الصلاة والسلام والتمسك الصحيح بشريعته وأحكام سنته والتجرد عن الخلق بصحة الاخلاص فى عبادة الحق وعدم رؤيا الاغيار بالكلية وهذه المزية أدب من آداب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وشرط عظيم فى الطلب فاذا تمهدت هذه الاركان الثلاثة للمريد فقد أدرك المقصود باذن الله تعالى وقد شرط أهل هذه الطريقة الاستفاضة القلبية من قلب الشيخ علما بان هذا الفيض متدل من قلب صاحب الطريقة واليه من قلب روح العوالم صلى الله تعالى عليه وسلم وأدبها الجلوس على المصلى واستقبال القبلة والتفرغ من العلائق الخاطرية وأخذه الشيخ على البال وربط القلب بقلبه (١) والوقوف هناك ما دامت الروح مطيبة والنفس مطمئنة والخواطر مندفعة فاذا ضاق حال الروح وشبت النفس ولعبت الخواطر يفتح المريد عينيه ويستغفر الله تعالى ويختم مجلس الاستفاضة بالفاتحة ويباشر بعدها الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبعدها الاستغفار ثم الذكر كما تقرر أولا ومن رجال هذه الطريقة من شرط الاستفاضة بعد الورد المذكور وقال لان حلاوة الاستفاضة اذا بقى أثرها فى القلب يدخل من ذلك الاثر فى حالة الذكر حضيرة القلب ومن أدب الاخلاص ان لا يوجد للغير أثر وقال من شرط الاستفاضة قبل الوردان الاستفاضة باب يتوصل به المريد من شيخه الى صاحب طريقته الى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومتى وصل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد وصل الى الله تعالى بنص ان الذين يبايعونك الآية وبعد فتح الباب يباشر الورد متجردا عن الغيرية

(١) وهذا هو المسمى عند السادات النقشبندية بالرابطة

وهذا الاليق بمقام السير والذى أقوله ان هذا الشأن يدرك من حال المريد فان رأيناه اذا استفاض قبل الورد تنقلب عليه آثار الاستفاضة حالة الذكر نأمره بالاستفاضة بعد الورد وان لم تغلبه آثار الاستفاضة حالة الذكر نأمره بالاستفاضة قبل الورد وهذا هو الصحيح وعليه أهل العرفان كافة ومن أحكام هذه الطريقة الخلوة الاسبوعية فى كل عام وابتداء دخول الخلوة فى اليوم الثانى من عاشوراء يعنى اليوم الحادى عشر من محرم الحرام الى مساء اليوم الثامن عشر من المحرم وقد جعلوها شرطا على كل من انتسب الى هذه الطريقة العلية وطعامها خال من كل ذى روح وذكرها فى اليوم الاول لا اله الا الله بعدد معلوم وفى الثانى الله وفى اليوم الثالث وهاب وفى اليوم الرابع حى وفى اليوم الخامس مجيد وفى اليوم السادس معط وفى اليوم السابع قدوس وشرطوا فى الخلوة بعد كل صلاة تلاوة هذه الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مائة مرة وهى اللهم صل على سيدنا محمد النبى الامى الطاهر الزكى وعلى آله وصحبه وسلم وذكروا لهذه الخلوة من الفتوحات المحمدية والعنايات الاحمدية ما لا يحصى وكم شاهد والهام وبرهان عظيم وشأن كريم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انتهى وكثيرا ما ينقل عن حضرة الشيخ السيد أحمد رضى الله عنه برواية العدول الاثبات الحث على التمسك بالكتاب والسنة ويقول كما قال شيخ مشايخه الجنيد قدس سره الطرق كلها مسدودة الا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا العلم لان علمنا ومذهبنا مقيد بالكتاب والسنة وقال السرى السقطى التصرف اسم لثلاثة معان وهو أن لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم بسر باطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى وقال أيضا من ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم فهو غالط وقال أبو بكر الدقاق من ضيع حدود الامر والنهى فى الظاهر حرم مشاهدة القلب فى الباطن والحاصل ان ما كان عليه الشيخ السيد أحمد الرفاعى رضى الله تعالى عنه هو طريق الجنيد وأصحابه قدس الله تعالى أسرارهم وهو عين مذهب الفقهاء غير ان أولئك السادة يأخذون لانفسهم بالاحوط والاوثق فيما اختلف فيه مذاهب الفقهاء وهم مع الاجماع ومهما أمكنهم الخروج من الخلاف والاتيان بالمجمع عليه بين الفقهاء لم يعدلوا عنه والاخذ بالاحوط أشق على النفس وأقرب الى مخالفة هواها فكان أفضل لما روى فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما أفضل العبادة أحزها أى أشقها وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أجرك على قدر نصبك قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى فالعلم الظاهر على هذا هو الذى يتوصل به الى العلم الباطن الموافق للكتاب والسنة الذى لم يسطر فى الطروس ولم يحفظ فى الدروس وانما هو الهام وتلقين من الله تعالى بغير واسطة وهو العلم اللدنى المسمى بعلم المكاشفة وعلم الموهبة وعلم الاسرار والعلم المكنون وعلم الوراثة وعلم الحقيقة وهو الذى لا يخشى الله تعالى خشية تامة الا العلماء به لان علم الظاهر طريق الى العمل والعمل طريق الى العلم اللدنى والعلم اللدنى طريق الى المعرفة بالله تعالى والمعرفة بالله تعالى طريق الى الكشف والكشف طريق الى الخشية ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له فعلم أن علم الباطن

لا يخالف

لا يخالف العلم الظاهر بل هو مترتب عليه وحاصل به فهو ثمرة العلم الظاهر ونتيجته قال ابن حجر المكي رحمه الله في كتابه التعرف وما وقع في كتب جمع من متأخري الصوفية كابن عربي وأتباعه بحق وهم الأولون يجب تجنب ظواهره الموهمة لما لا يحل اعتقاده بل لما هو كفر في كثير منها لكنهم جارون على اصطلاحهم ستراله من دعاة الباطل والافهم على الحق المبرأ من وصمة الحلول والاتحاد وغيرهما من الاحتمالات التي نسبها اليهم من لم يحط بحقيقة حالهم أو التي يعتقدها عن حقيقة طريقهم فنسبها اليهم زعما منه انه متأس بهم حاشاهم الله تعالى من ذلك وما أحسن ما حققه بعض المحققين نصرة للاولين حيث قال ما حاصله مع ما فيه من عبارات غير مراد بها ظاهرها من انتهى في سلوكه الى الله تعالى وفيه استغرق في بحر التوحيد والعرفان فحينئذ تضمحل ذاته في ذاته وصفاته في صفاته ويغيب عنه كل ما سواه فلا يرى في الوجود الا الله تعالى وهذا هو الذي يسمونه الفناء في التوحيد واليه يشير الحديث القدسي لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فلئن سألني لاجيبنه الحديث وفي حديث آخر أيضا عنا يا يوم القيامة لبعضهم مرضت فلم تعدني جعت فلم تطعمني عطشت فلم تسقني فيقول كيف ذلك وأنت رب العالمين فيقول تعالى مرض عبدي فلان فلم تعده جاع عبدي فلان فلم تطعمه عطش عبدي فلان فلم تسقه وحينئذ فربما يصدر عن الولي عبارات تشعر بالحلول أو الاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف عنها بالمثال ونحن على ساحل التمني نغترف من بحر التوحيد بقدر الامكان ونعترف بان طريق الفناء فيه العيان دون البرهان انتهى وأقول لا ينبغي أن يلحق باولئك السادة بعض كلاب دنيا لبسوا جلابيب الحيل لنيل شهواتهم البهيمية ككثير من متشيخي زماننا الذين أظهروا للعوام زهدهم بمخالفة أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام وما كان عليه السلف وأئمة الفقهاء وجعلوا رأس مالهم مخالفة الشريعة الغراء والعمل بعلم الباطن وما أحق مثل هؤلاء أن يعدوا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن قال الحافظ العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ومن كيده ما ألقاه على جهال المتصوفة من الشطح والطامات وأبرزلهم في قالب الكشف من الخيالات فأوقعهم في أنواع الاباطيل والترهات وفتح لهم أبواب الدعاوي الهائلات وأوحى اليهم أن وراء العلم طريقا ان سلكوه أفضى بهم الى كشف العيان وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها وتصفية الاخلاق والتجافي عما عليه أهل الدنيا وأهل الرآسة والفقهاء وأرباب العلوم والعمل على تفريغ القلوب وخلوه من كل شئ حتى ينتقش فيه الحق بلا واسطة العلم فلما خلا من صورة العلم الذي جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نقش فيه الشيطان ما هو مستعدله من أنواع الاباطيل وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهدة كشفا وعيانا فاذا أنكره عليهم ورثة الرسل قالوا لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن ولكم ظاهر الشريعة ولنا باطن الحقيقة ولكم القشور ولنا اللباب فلما تمكن هذا في قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار كما ينسلخ الليل من النهار ثم أحالهم في شكوكهم على تلك الخيالات وأوهمهم أنها من الآيات البينات

وأنها من قبل الله سبحانه الهامات وتعريفات فلا تعرض على السنة والقرآن ولا تعامل الا بالقبول والاذعان فلغير الله سبحانه لا له ما يقصه عليهم الشيطان من الخيالات والشطحات والهذيان وكلما ازدادوا بعدا واعراضا عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم انتهى واذا عرفت ما ذكرناه وتبين لك ما تلوناه ظهر لك أن طريق السيد قدس سره هو الطريق المقبول حيث جعل مداره الكتاب وما أمر به الرسول فعليك أيها الاخ بلزوم طريقته وعدم الانحراف عن محجته وقد وردت أحاديث كثيرة بالحث على اتباع الكتاب والسنة اذ هما الامامان اللذان أمر بالاقتداء بهما من طلب النجاة والوصول الى الجنة فاشدد يديك عليهما ولا تنظر الى ما يخالفهما ولا يحصل كمال الاتباع الا بالاقتداء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع حالاته سكونه وحركاته وعاداته وعباداته ولئلا يطول الكلام على هذا البيت جدا أعرضنا عن ذكر ما فيه من المحاسن البديعة والله تعالى أعلم قال الناظم لا زال شريفا ونفار سودده منيفا

﴿شرف حط عن مداه السوارى • ونفار نصوصه البيض تنقل﴾

أقول الشرف كما فى القاموس محركة العلو والمكان العالى والمجد ولا يكون الا بالآباء أو علو الحسب انتهى واعلم أن اسم الشريف كان يطلق فى الصدر الاول على من كان من أهل البيت سواء كان حسنيا أو حسينيا أو علويا أو جعفريا أو عباسيا فلما ولى الخلفاء الفاطميون بمصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط واستمر ذلك الى الآن أفاده الامام السيوطى رحمه الله تعالى وفى باب الوصايا من شرح المنهاج للمحقق ابن حجر الشريف هو المنتسب من جهة الاب الى الحسن والحسين لان الشرف وان عم كل شريف الا أنه اختص باولاد فاطمة رضى الله تعالى عنها عرفا مطردا عند الاطلاق ﴿والحط﴾ هنا الحدر من علو الى سفل وله معان أخر ﴿والمدى﴾ كالفتى الغاية ﴿والسوارى﴾ جمع سارية قال فى القاموس هى السحاب يسرى ليلا ولعل مراد الناظم بالسوارى النجوم السيارات التى عبر عنها فى القرآن الكريم بالجوارى الكنس لاختفائها تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر وهى سبع عند متقدمى الفلاسفة يجمعها هذا البيت

زحل شرى مريخه من شمسه • فتزاهرت لعطارد الاقمار

ويزعمون أن الشمس فى وسط السموات ولذا سميت شمسا تشبيها لها بشمسة القلادة وهى الخرزة الكبيرة التى فى وسطها وهذا مبنى على المشهور من أقوال أهل الهيئة من أنها فى السماء الرابعة ولا يكاد المحدثون يسلمون ذلك فلعل الوجه فى تسميتها حينئذ انها لكبرها بالنسبة الى سائر النجوم تشبه تلك الخرزة التى فى وسط القلادة فانها أكبر ما فى القلادة فوجه الشبه الكبر لا التوسط وقد اختلف العلماء فى مقدارها والمشهور انها مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة والكواكب أصغرها مقدارا مثل جبل أحد وقيل مثل أعظم جبل فى الدنيا وقيل مثل الدنيا ثمان مرات وقدرة الله تعالى أعظم من ذلك والذى ذهب اليه أهل الهيئة اليوم من الافرنج ان الشمس فى وسط الكواكب التى تدور حولها وانها أعظم من الارض بألف ألف مرة وثلثمائة وثمانية وعشرين ألف مرة وان لها حركة على

نفسها وقد استنبط بعض علمائهم من تحول كلفها الذي يظهر على ظهرها ورجوعه في أزمنة مخصوصة انها تدور على نفسها في خمسة وعشرين يوما واثني عشرة ساعة وجزموا بأن ليس لها حركة حول الارض بل للارض حركة حولها وان الارض احدى السيارات وهي عندهم عطارد والزهرة والارض والمريخ ووسته وقد كشفها رجل منهم يقال له هاردنق في حدود سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين هجرية ويونون وقد كشفها رجل منهم يقال له هاردنق في حدود سنة ألف ومائتين وعشرين ومريس وقد كشفها رجل منهم يقال له بياظي في حدود سنة ألف ومائتين وست عشرة وبلاس وقد كشفها أولبوس أيضا في حدود سنة ألف ومائتين وسبع عشرة والمشتري وزحل وأورانوس وقد كشفها رجل منهم يقال له هرشيل في حدود سنة ألف ومائة وسبع وتسعين ولم يعدوا القمر من السيارات بل من سيارات السيارات لانه يدور حول الارض دورانها حول الشمس وهو عندهم دون عظم الارض بتسع وأربعين مرة وزعموا ان بعد الشمس عن الارض أربعة وثلاثون ألف ألف فرسخ فرنساوي وهو المقدر بمسافة ساعة وخمسمائة ألف فرسخ ومع هذا يصل نورها الينا في مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية وان البعد الابعد للقمر عنها احدو تسعون ألفا وأربعمائة وخمسون فرسخا والبعد الاقرب له ثمانون ألفا ومائة وخمسة فراسخ فيكون البعد الاوسط نحو ستة وثمانين ألف فرسخ وكانوا يزعمون من قبل ان ليس للشمس حركة على كوكب آخر وانما لها حركة على نفسها فقط ثم أدركوا على ما زعموا ان لها حركة على كوكب من كواكب الثريا وجوزوا ان يكون لذلك الكوكب حركة على كوكب آخر أبعد منه وهكذا الى ما لا يعلمه الا الله تعالى فان سعة الجو غير متناهية عندهم وفيها من الكواكب ما لا يتناهى أيضا وزعموا ان من هاتيك الكواكب ما لا يصل نوره الى الارض في مائة سنة بل أكثر مع شدة سرعة حركة الضوء كما أشير اليه آنفا في بيان حركة نور الشمس وهم في دعوى عدم تناهي الابعاد كشرذمة من فلاسفة الهند المتقدمين وقد أبطل ذلك في علم الكلام والحكمة واحذر كل الحذر من اعتقاد ما يصادم نصا من نصوص الشريعة الغراء وقد أبطل الوالد رحمه الله تعالى القول بأن مركز هذا العالم هو الشمس وان السيارات تدور عليها ومنها الارض بحركة على نفسها وحركة على مركزها بها تكون الفصول الاربعة قال من كلام طويل ليت شعري ما سبب عدم تحول الجدي عن محله وما سبب كون مطالع القمر ومغاربه في البروج وكذا سائر الكواكب كمطالع الشمس ومغاربها مع انه قد يكون كل في برج مضاد وبأي صورة تكون حركتها حتى يرى ان السائر في البروج هو الشمس وأي كوكب من السيارة أقرب اليها وكيف ترتيب ذلك وكم تقطع من الفراسخ في الساعة على نفسها وكم تقطع على مركزها وكذا كل سيارة كم فرسخ تقطع في الساعة قال وقالوا ان الارض جسم مظلم وكذا القمر فعلى هذا فيحتمل وجود أجسام مظلمة كثيرة لا ترى وقالوا أولا ان القمر فيه المواليد الثلاثة والماء ثم قالوا أخيرا ليس فيه ذلك وشكلوا له خارتات مختلفة وقالوا في الارض مرة انها من ذوات الاذناب وانه قد بقي من ذنبها شيء لم يجمد بعد ثم قالوا غير ذلك وقالوا في الشمس ان ضياءها من اشتعال معدن المغنيسيون الذي فيها وانهم وقفوا على ذلك بآلة جديدة قامت مقام الحل والتركيب وقالوا كل كوكب عالم

مستقل كالشمس وقالوا فى ذوات الاذناب أولا ان ذنبها صلب وكانوا يخشون من اصطدامها مع الارض ثم قالوا انه رخو من مادة الشهب فعادوا الى ما قال الاولون ولم يقولوا فى الشهب والتساقط قولا معتبرا

ليست برطب اذا عدت ولا يبس • وساوس وأقاويل مزخرفة

ولو قيل ان الارض تدور على نفسها حول الشمس بالحركة اليومية والشمس تدور عليها بالحركة السنوية لكان أقرب فقد ذهب جمع من الاوائل الى أنها هى التى تحرك هذه الحركة السريعة اليومية من المغرب الى المشرق وبسببها ترى الكواكب طالعة وغاربة لانها اذا تحركت كذلك وكانت الكواكب ساكنة أو متحركة الى تلك الجهة أيضا لكن بحركة أبطأ من حركتها ظهر لنا فى كل ساعة من الكواكب ما كانت محتجبة بحدبة الارض فى جانب المشرق واحتجبت عنا بحدبتها فى جانب المغرب ما كانت ظاهرة لنا بها فيتخيل ان الارض ساكنة وان الكواكب المتحركة بتلك الحركة السريعة الى خلاف جهة حركتها كما يتخيل ان السفينة الجارية فى الماء ساكنة مع كون الماء متحركا الى خلاف الجهة التى تحرك اليها السفينة وقد رد هذا القول أيضا بأن الارض ذات مبدأ ميل مستقيم طبعا كما يظهر من أجزائها المنفصلة فيمتنع ان تحرك على الاستدارة بالطبع فتدبر وحيث لم يكن مثل هذه المسائل مهما فى نظر الشرع لعدم ترتب احدى الفائدتين الدنيوية والاخروية لم يتعرض لبيانها ﴿والفخار﴾ كالفخر ما يتمدح به من الخصال المحمودة على ما مر ﴿والنصوص﴾ جمع نص وهو لغة الرفع يقال نص الحديث اليه رفعه وفى عرف الاصوليين قال الوالد رحمه الله عليه فى كتابه التعطف على التعرف فى الاصلين والتصوف النص يطلق على ما يقابل الظاهر ويطلق فى مقابلة القياس والاستنباط والاجماع فيراد به الدليل من الكتاب والسنة ويطلق فى كتب الفروع فى مقابلة القول المخرج فيراد به قول صاحب المذهب وسمى به لارتفاعه على غيره من الالفاظ فى الدلالة مأخوذ من قولهم نصت الظبية جيدها اذا رفعته ومنه منصة العروس انتهى والتفصيل ان يقال ان اللفظ اذا ظهر منه المراد فان لم يحتمل النسخ فمحكم كقوله عليه الصلاة والسلام الجهاد ماض الى يوم القيامة فان قوله الى يوم القيامة سد باب النسخ والا فان لم يحتمل التأويل فمفسر كقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة فان قوله كافة سد باب التخصيص لكنه يحتمل النسخ لكونه حكما شرعيا والا فان سيق لاجل ذلك المراد فنص كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فانه سيق لبيان العدد فهو نص فيه وظاهر فى حل النكاح لانه قد علم الحل من آية أخرى أعنى قوله تعالى وأحل لكم ما وراء ذلكم والا فظاهر كما سبق واذا خفى المراد فان خفى لعارض فخفى كقوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما فانه قد خفى فى النباش والطرار لاختصاصهما باسم آخر أو لنفسه فان أدرك عقلا فمشكل كقوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فانه وقع الاشكال فى الفم فانه باطن من وجه حتى لا يفسد الصوم بابتلاع الريق وظاهر من وجه حتى لا يفسد بدخول شئ فى الفم فاعتبرنا الوجهين فالحق بالظاهر فى الطهارة الكبرى حتى وجب غسله فى الجنابة وبالباطن فى الصغرى فلا يجب غسله فى الحدث الاصغر وهذا أولى من العكس لان قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا بالتشديد يدل على

التكليف والمبالغة أونقلا فمجمل كقوله تعالى وحرم الربا لان الربا فى اللغة الفضل وليس كل فضل حراما بالاجماع ولم يعلم ان المراد أى فضل ثم لما بين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالاشياء الستة احتيج بعد ذلك الى الطلب والتأمل ليعرف عليه ويحكم فى غير الاشياء الستة أولم يدرك أصلا فمتشابه كالمقطعات أوائل السور وكاليد والوجه ونحوهما وهذا بحث استطرادى لايخلو عن فائدة ﴿والبيض﴾ جمع أبيض وفى وصف النصوص بالبيض مالايخفى من البلاغة حيث شبهها بما فيه اشراق و بياض فحذف المشبه به وبقى المشبه على طريق الاستعارة بالكناية المعلوم فى محله مع كثرة الآراء فيه ووجه الشبه كما قيل فى مثله ليس موجودا فى المشبه الا على طريق التخييل وذلك انه لما كان ضد ما يحمد من كل مذموم كالبدعة وكل ماهو جهل يجعل صاحبه كمن يمشى فى الظلمة فلا يهتدى للطريق فلا يأمن من ان ينال مكروها شبه بالظلمة ولزم بطريق العكس ان يشبه كل ماهو محمود كالسنة وكل ماهو علم بالنور وشاع ذلك حتى تخيل ان الثانى مما له بياض واشراق نحو أتيتكم بالحنيفية البيضاء والاول على خلاف ذلك كقولك شاهدت سواد الكفر من جبين فلان ﴿وتنقل﴾ أى ترويها الثقات وحاصل معنى البيت ان ماذكر من الاوصاف الشريفة والخصال المنيفة هو الشرف الذى انحطت دونه السيارات واتضعت له الراسيات وهو الفخار الذى أشرقت أنوار نصوص أخباره على الغبراء وحدا بها الرواة ولهج بها العدول فى كافة الارجاء هذا اذا جعلنا الشرف خبرا لمبتدا محذوف هو ضمير يعود الى ماذكر من الاوصاف الجليلة وهاتيك المزايا الجميلة وقد نسبها الناظم لممدوحه رضى الله تعالى عنه ولاشك ان الاوصاف التى ذكرها الناظم مجتمعة بممدوحه أفاض الله علينا من فيوضات فتوحه وهى لاريب مما ينحط عنها قدر الاثير ويتضع دون قدرها الخطير حيث انها أعلى درجات العلم والعمل وغاية ماتصل اليه حبال الامل ولا بدع فانه كان مرشد السالكين ومربى المريدين ومرجع الاولياء وعمدة الاصفياء بل شيخهم الاكبر وبدرهم الانور فكم اهتدى بنوره ضال وكم وصل بسره الروحانى باذن الله تعالى منقطع الى حظائر القدس والجلال وفى الحديث لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وفى رواية خير لك من الدنيا ومافيها والله سبحانه وتعالى أعلم (قال الناظم) أعطاه الله تعالى مناه وأناله جل شأنه مايتمناه

﴿ليت شعرى وهل تساعد ليت • وأرانى برحبه أتملل﴾

أقول لما ذكر ماذكر من الثناء والمحامد التى تنحط دونها الجوزاء اشتاقت نفسه لهذا الممدوح الجليل القدر أشد اشتياق وتحركت فى قلبه دواعى الاقبال عليه ولم يطق الصبر على فراقه فان الصبر مر المذاق وحيث منعت الموانع عن الملاقات وحجبت الحجب عن المواصلات كان ذلك لديه بمنزلة المحال الذى لايدرك ولا ينال

ايا دارها بالخيف ان مزارها • قريب ولكن دون ذلك أهوال

أبرز مايتمناه بصورة مالا طمع له فى حصوله ولا أمل له فى نيل مقصوده ومأموله وكأنه ذكر ذلك على سبيل التوجع وقال ماقال من مزيد التفجع وهذا مما تراكضت فى ميدانه أشعار الشعراء وتسابقت فيه أفكار الادباء من ذلك قول أبى اسحق ابن خفاجة من

قصيده

سمعت وقد غنى الحمام فرجعا • وما كنت لولا ان تغنى فاسمعا
وأندب عهدا بالمشعر سالفا • وظل غمام للصبا قد تقشعا
ولم أدر ما أبكى أرسم شبيبة • عفا أم مصيفا من سليمى ومربعا
وأوجع توديع الاحبة فرقة • شباب على رغم الاحبة ودعا
وما كان أشهى ذلك الليل موقدا • وأندى محيا ذلك الصبح مطلعا
وأقصر ذلك العهد يوما وليلة • وأطيب ذاك العيش ظلا ومكرعا
زمان تقضى عند ذكر معاهد • تسوم حصاة القلب ان يتصدعا
تحولت عنه لا اختيارا وورعا • رجعت على طول التلاذ أخدعا
ومن لى برد الريح من أبرق الحمى • وريا الخزامى من أجارع لعلعا
وقد فات ذاك العهد الا تذكرا • لوانى على ظهر المطى توجعا
وكنت جليد القلب والشمل جامع • فما انفض حتى حار فارفض أدمعا
وبلت نجادى عبرة مستهلة • أكفكف عنها بالبنان تصنعا

فقول الناظم ليت شعرى الخ كالالتفات عند البيانيين فكان المرء اذا أخذ فى استحضار جنايات جان منتقلا فيها عن الاجمال الى التفصيل وجد من نفسه تفاوتا فى الحال بينا لا يكاد يشبه آخر حاله هنالك أولها أو ما تراك اذا كنت فى حديث مع انسان وقد حضر مجلسكما من له جنايات فى حقك كيف تصنع تحول عن الجانى وجهك وتأخذ عنه فى الشكاية الى صاحبك تبثه الشكوى معددا جناياته واحدة فواحدة وأنت فيما بين ذلك واجد من اجلك يحمى على تزايد تحرك حالة لك غضبية تدعوك الى ان تواثب ذلك الجانى وتشافهه بكل سوء وأنت لا تجيب الى ان تغلب فينقطع الحديث مع الصاحب ومباثتك اياه وترجع الى الجانى مشافها له بالله قل لى هل عامل أحد مثلى هذه المعاملة هل يتصور معاملة أسوأ مما فعلت أما كان لك حياء يمنعك أما كان لك مروءة تردعك عن هذا واذا كان الحاضر بمجلسكما ذا نعم عليك كثيرة فاذا أخذت فى تعديد نعمه عند صاحبك مستحضرا التفاصيلها أحسست من نفسك بحالة كأنها تطالبك بالاقبال على منعمك وتزين ذلك لك ولا تزال تتزايد ما دمت فى تعداد نعمه حتى تحملك من حيث لا تدرى على ان يحدك وأنت معه فى الكلام تثنى عليه وتدعو له وتقول بأى لسان أشكر صنائعك الروائع وبأيه عبارة أحصر عوارفك الذوارف وما جرى ذلك المجرى وهذا نظير لما نحن فيه لا تغفل كما لا يخفى على الفطن النبيل وليت حرف تمن يتعلق بالمستحيل غالبا كقوله

فياليت الشباب يعود يوما • فاخبره بما فعل المشيب

وبالممكن قليلا وحكمه ان ينصب الاسم ويرفع الخبر وقال الفراء وبعض أصحابه وقد ينصبهما كقوله • ياليت أيام الصبا رواجعا • وبنى على ذلك ابن المعتز قوله

مرت بنا سحرا طير فقلت لها • طوباك ياليتنى اياك طوباك

قال ابن هشام والاول عندنا محمول على حذف الخبر وتقديره أقبلت لا تكون خلافا للكسائى لعدم تقدم ان ولو الشرطيتين ويصح بيت ابن المعتز على انابة ضمير النصب عن

ضمير الرفع وتمام الكلام في الكتب المعدة لذلك ﴿وشعري﴾ اسم ليت وهو اما بمعنى مشعوري فتكون جملة الاستفهام خبرا والواو زائدة ولا حاجة الى رابط لان الجملة حينئذ نفس الاسم والمعنى عليه ليت مشعوري هل تساعد ليت وأراني الخ وحاصله ليت المعلوم لي جواب هذا الاستفهام واما ان لا يؤول بذلك فيكون الخبر محذوفا أي ليت شعري أي علمي بذلك موجود وقيل ان ليت لا خبر لها هنا اذ المعنى ليتني أشعر وهذه الوجوه تجري أيضا في قول الشاعر

يا ليت شعري والمنى لا تنفع • هل أغدون يوما وأمري مجمع

وليت الثانية فاعل تساعد على حد قوله

ليت وهل ينفع شيأ ليت • ليت شبابا بوع فاشتريت

فان جميع الكلمات متساوية الاقدام في الحكم عليها وبها اذا أريد لفظها كما فصل في موضعه ﴿وأراني﴾ من الافعال المختصة بجواز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين لشئ واحد مثل علمتني منطلقا وعلمتك منطلقا ولا يجوز ذلك في سائر الافعال فلا يقال ضربتني وشتمتني بل يقال ضربت نفسي وشتمت نفسي وذلك لان أصل الفاعل ان يكون مؤثرا والمفعول به متأثرا وأصل المؤثر أن يغاير المتأثر فان اتحدا معنى كره اتفاقهما لفظا فقصد مع اتحادهما معنى تغايرهما لفظا بقدر الامكان فمن ثمت قالوا ضربت نفسي ولم يقولوا ضربتني فان الفاعل والمفعول فيه ليسا بمتغايرين بقدر الامكان لاتفاقهما من حيث كون كل منهما ضميرا متصلا بخلاف ضربت نفسي فان النفس باضافتها الى ضمير المتكلم صارت كانها غيره لغلبة مغايرة المضاف للمضاف اليه فصار الفاعل والمفعول فيه متغايرين بقدر الامكان وأما افعال القلوب فان المفعول به فيها ليس المنصوب الاول في الحقيقة بل مضمون الجملة فجاز اتفاقهما لفظا لانهما ليسا في الحقيقة فاعلا ومفعولا به ومما أجرى مجرى افعال القلوب فقدتني وعدمتني لانهما نقيضا وجدتني فحملا عليه حمل النقيض على النقيض وكذلك أجرى رأى البصرية والحلمية على رأى القلبية فجوز فيهما ما جوز فيه من كون فاعلهما ومفعولهما ضميرين لشئ واحد كقول الشاعر

ولقد أراني للرماح دريئة • من عن يميني تارة وأمامي

وكقوله تعالى اني أراني أعصر خمرا ﴿والرحب﴾ المكان الواسع كما مر وأراد به الناظم هنا مشهد جده الاجل ومرقد ممدوحه المبجل يدل على ذلك قوله في البيت الآتي ذاك غاب فيه توسد ليث الخ وهو في قرية أم عبيدة على وزن سفينة من قرى البطائح وكانت في سالف الزمان عدة قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط البصرة وكان لها شهرة في العراق كم نشأ فيها امام ومشايخ عظام وهي اليوم والامر لله تعالى مما تحزن القلوب رؤيتها وتضيق الصدور رعرصاتها حيث اندرست هاتيك المعاهد رتداعت هاتيك المنازل والمشاهد فلذا كره المستوطن بها قراره وأحب الساكن فيها فراره قد خلت من الانيس وأقفرت من كل جليس وأوحشت ربوعها وتفرقت جموعها

أمست خلاء وأمسى أهلها ارتحلوا • أخنى عليها الذي أخنى على لبد

والسبب في ذلك انقطاع المياه عنها وتباعد دجلة منها لكن حضرة أمير المؤمنين وسلطان

المسلمين ظل الله تعالى الذى من ضل عنه هوى فى مهاوى الهلاك ومن استظل به عرج فى معارج العز حتى تبوّأ قنة الكمال ذى السطوات التى ضيقت على ذوى الشقاق المذاهب ورب المبرات التى وسعت لارباب الوفاق سبل الراحة فى المشارق والمغارب ناصر الدين والدولة ومؤيد الشريعة والملة سلطان سلاطين الدوران ﴿السلطان عبد الحميد خان﴾ كان الله تعالى متكفلا بنصره جاعلا رقاب الدول فى ربقة أمره قد أمر بايصال المياه الى هاتيك العرصات واحياء ميت رسومها بعد ان عفتها عواصف الحادثات خدمة لذلك السيد الجليل وطلبا لفيوضات ذلك المرشد النبيل فعما قليل ان شاء الله تعالى نرى هاتيك الفلوات روضة تسلسلت أنهارها من جميع الجهات وعادت قصورها وأشرقت بدورها ورق نسيمها وراق نعيمها وأزهرت رياضها وامتلأت حياضها وغنت أطيارها وصفقت أنهارها وترافصت بلابلها وسجعت حمائمها والتفت أشجارها وتشابكت أغصانها وفاح شيحها وخزامها وسرح آرامها وتفتحت أكمامها وزها شقيقها وطاب رحيقها وتتابع وابلها وانتشر طلها وشمخ نخيلها وارتوى آصالها وصدح مغردها وأنشد منشدها

وبهجة حسن لم تقابل بنضرة • كأن تنازعها جمالا شقائق
فكم صبغ من سلسال ماء فراتها • أساور أنهار لها ومناطق
اذا ماروت أنهارها من حديثه • مسلسل مدحته الحدائق
فمن ربوة تزهو بخضر برودها • ومن روضة تفتر منها الشقائق
ومن فنن نشوان من خمر مائه • يداعبه روح الصبا ويعانق
ومن عقد دمع للسقيط مفضض • يروق بخد من النور رائق
ومن نرجس يرنو بفاتر مقلة • تلاحظ نوار الربا وتسارق
ومن عرصة وشى حروف عذارها • باقلامه جرى من المتماشق
ومن اقحوان ضاحك الثغر باسم • يناغيه مرفض الندى ويناطق
ومن وجنة للروض تكلمها الصبا • فيرجها بالمسك من المزن وارق
ومن مربع للغصن فيه مع الهوا • عناق هوى يحمر منه العقائق
ومن نفس يرخى مطارف عرفه • فينشقه للجلنار المناشق
ويجذب اعطاف الغصون بكفه • فيرقص ريان ويبسم وارق
فما هى الا جنة قد تزخرفت • بغرتها بدر المحاسن شارق
فاعذبت بالانيل بجودها • من العارض الوسمى غاد وغارق
باجمل منها بهجة حين زينت • علاك مليك العصر منها المفارق

ولا بدع من ذلك ولا غرابة مما هنالك فكم للدولة العلية العثمانية أيدها الله تعالى بتأييداته الربانية من مآثر تحلت بها نحور الايام وتزينت بدررها تيجان الدهور والاعوام فهى وان كانت آخر الدول الاسلامية ظهورا أكثرها جمالا وأعظمها جلالا وأتمها نورا وكم من متأخر تقدم فضلا وعلا على الجوزاء محلا

أو ماترى ان النبى محمدا • فاق البرية وهو آخر مرسل

ولم تزل تزداد حسنا وتجلو عن قلب الملة المحمدية هما وحزنا وهي اليوم والحمد لله تعالى لا يحيط بوصف حسنها التحرير ولو أن كل نفس من أنفاسه كلام ولا يفي بعشار عشر حقها التحرير ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام فكم أذهبت عن هذه الاقطار الحزن وأزالت بنسائم مراحها عن سماء العراق سحائب المحن لازالت شموس سلطنتها ما دام الدوران مضيئة وأفلاك شوكتها ما كرّ الجديدان علية

آمين آمين لا أرضى بواحدة • حتى أزيد عليها ألف آمينا

وواسط بلد كان بين البصرة والكوفة أنشأه الحجاج كما سبق وتفصيل ذلك في كتاب معجم البلدان وكان معمورا كثير المزارع والخيرات والقرى وقد نشأ فيها علماء أعلام وأجلاء عظام لا يحصون وممن نسب اليها خلف بن محمد بن علي بن حمدون الواسطي الحافظ صاحب كتاب أطراف أحاديث صحيحي البخاري ومسلم حدث عن أحمد بن جعفر القطيعي والحسين بن أحمد المديني وأبي بكر الاسماعيلي وغيرهم روى عنه الحاكم أبو عبد الله وأبو القاسم وأبو نعيم الاصبهاني وغيرهما وما أعذب قول الناظم سلمه الله تعالى

تذكرت أقمارا بأبراج واسط • وعهد الا آبائي بتلك المعاهد
فسالت مصابا من عيون أبية • على ذكرهم واحدا بعد واحد
وأرسلت عين القلب تشهد حيهم • فسالت على أعيانه والمشاهد

وأنشد التنوخي لفضل الرقاشي فقال

ذكرت عيادتي ونسيت برى • وقدما كنت بي براحفيا
فما هذا التغافل يا ابن عيسى • أظنك صرت بعدي واسطيا

وأنشد أبو شجاع بن دواس القنا لنفسه فقال

يارب يوم مربي في واسط • جمع المسرة ليله ونهاره
مع أغيد خنث الدلال مهفهف • قد كاد يقطع خصره زناره
وقميص دجلة بالنسيم مفرك • سكر تحدر ذيوله أقطاره

وقال ابن الفتح المازني الواسطي

عرج على غربي واسط انني • داني الدواء بها وفرط سقامي
وطني وما قضيت فيه لبانتي • ورحلت عنه ما قضيت مرامي

وهذه البلدة اليوم بلاقع وتلول ورسوم وطلول تنعب فيها الغربان وتنغط فيها البوم على الجدران وتنوحها الحمام وتندبها الغيد والآرام

وأقوت عراص الانس منها كأنما • ألمت بها بعد الانيس الاوابد

والسبب في ذلك أيضا نهر دجلة فانه كان يمر على واسط وبمرور الازمان تباعد فانقطعت الانهار المتشعبة منه فهي اليوم لا تجري الا في جداول الطروس ولا تشرب منها الا أفواه الاخبار نعيم عافيه انطوى فهو ماترى • أحاديث تجلوها على السمع أفواه

ونهر دجلة لا تنكر فضله غير أن من يد قربه داء وبعده بلاء ومن الغريب ما نقل عن الامام أحمد رضي الله تعالى عنه انه كان يشرب من الآبار ولا يشرب من ماء دجلة ويقول انها تجور على أملاك الناس وتغصب أرضهم وكم غصبت أرض يتيم وروى عنه أيضا في

تعليل ذلك أن أهل الدوالى يجرون منها الماء لزروعهم بالدلاء فاذا صب بالحوض يقع منه ما يقع وهو باق على ملك صاحبه ويمتزج بالماء المباح فتقع الشبهة وهذا من التورع بمكان والقول الاول هو المشهور عنه ولقد صدق رضى الله عنه فكم استولت على أرض وكم خربت ديارا وقد استولت على مرقده الشريف أيضا فى المقبرة الشونيزية وعدة مراقد معه كمرقد الشيخ عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلى قدس سره وغيره وقد شاهدنا جورها مرارا وأعظم ما سمعناه من الثقات ما وقع سنة الف ومائتين وخمس وخمسين فان دجلة قد طغا ماؤها حتى تساوى من بغداد أرضها وسماؤها وغدت جدران بيوتها بين ساجد وراكع وخاضع وخاشع ومبطون أضرت به علة الاستسقاء ومحموم استلقى على ظهره يتفكر فى ملكوت السماء وباك قد استغرق بالبكاء ليله ونهاره وتفجرت منه العيون فتلاوات من الحجارة والملائكة تتيمم فى سمائها بغبار البيوت وتنادى يا أهل الارض عزاء فبيت العنكبوت كثير على من يموت وفى السنة الماضية قد اتفق ما هو قريب من ذلك نسأله تعالى أن يعصمنا وسائر الممالك ﴿والقلمل﴾ التقلب وأراد به مطلق الوجود فى ذلك المحل وحاصل معنى البيت أن ما ذكرت من جليل المزايا والفضائل وجميل السجايا والشمائل قد هيجت على أشجانى وأضرمت نيران الاشواق فى قلبى وجنانى وشوقتنى لاستنشاق ريا ذلك السيد الاجل وزيارة مرقد ذلك المولى الاكمل ولولا عوارض الزمان لعفرت خدودى باكسير ترابه وتمرغت بغبار على أعتابه وطرت اليه بجناح الاشواق ولم أبال بغصص الفراق فهل يا الهى تسعدنى بهذا المنى فأفوز بالسرور والهنا فانك على كل شئ قدير وبالاجابة جدير

ألا ليت شعرى هل تحنن ناقتى • ببيضاء نجد حيث كان مسيرها
فتلك بلاد حبب الله أهلها • الىّ وان لم يعط نصفا أميرها
بلاد بها أنضيت راحلة الصبا • ولانت لنا أيامها وشهورها
فقد نابها الهم المكدر شربه • ودار علينا بالنعيم سرورها

واعلم أن زيارة الاموات أمر ندب اليه الشرع والنهى عن زيارة القبور منسوخ فقد جاء كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة وكان ابن واسع يزور يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وصحح بعضهم أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وصحح بعضهم أن الموتى يعلمون بذلك كل وقت ولها آداب منها أن الزائر يقرب من القبر قربه من صاحبه لو كان حيا وأن يسلم عليه بما ورد وأن يدعو له وفى قراءته بشئ من القرآن له خلاف وورد فى بعض الآثار قراءة سورة الاخلاص تسعا وسورة الملك ونص حجة الاسلام الغزالى على أنه ينبغى أن لا يمس القبر ولا يقبله فان ذلك عادة النصارى ونص غير واحد أن الطواف بقبور الاولياء أيضا مما لا ينبغى فانه لم يؤثر عن السلف الصالح وفى شد الرحال للزيارة خلاف قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى شرح صحيح البخارى فى باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ما نصه واختلف فى شد الرحال الى غيرها أى المساجد الثلاثة كالذهاب الى زيارة الصالحين أحياء وأمواتا والى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها والصلاة فيها فقال الشيخ أبو محمد الجوينى يحرم شد الرحال الى غيرها عملا بظاهر قوله صلى

الله تعالى عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومسجد الاقصى وأشار القاضي حسين الى اختياره وبه قال عياض وطائفة ويدل عليه ما رواه أصحاب السنن من انكار نضرة الغفاري على أبي هريرة خروجه الى الطور وقال له لو أدركتك قبل أن تخرج ما خرجت واستدل بهذا الحديث فدل على أنه يرى حمل الحديث على عمومه ووافقه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه والصحيح عند امام الحرمين وغيره من الشافعية أنه لا يحرم وأجابوا عن الحديث باجوبة الى آخر ما قال مما يطول ذكره وقد كثر في هذه المسئلة التشاجر والتنازع والتخالف والتدافع مع أن المسئلة ليست من ضروريات الدين ولا هي من جملة عقائد المسلمين فكم مثلها في كتب الفروع فقد وقع من الفقهاء فيها المناقضات والمنوع ولم ينكر على من أخذ باحد الوجوه أو قلد أحد الاجلة وان كثر مخالفوه والله الموفق للسداد وعليه التوكل والاعتماد وحسبنا الله ونعم الوكيل وفي البيت من أنواع المحاسن ما هو من قبيل الاستطراد وهو أن يكون الناظم في غرض من أغراض الشعر يوهم انه مستمر فيه ثم يخرج منه الى غيره ثم يرجع الى الاول ويقطع الكلام فلا يكون المستطرد به آخر كلامه وهذا هو الفرق بينه وبين التخلص فان الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول وقطع الكلام بعد المستطرد به والامران معدومان في التخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر الى ما يتخلص اليه والشواهد كثيرة فلا حاجة الى التطويل (قال الناظم) لا زال كالود الودود تهابه ليوث الشرى والاسود

﴿ذاك غاب فيه توسد ليث • من علي ليث الاله تنسل﴾

أقول (ذاك) قدمت الاشارة اليه واختاره الناظم هنا لما فيه من التعظيم كما في ذلك الكتاب (والغاب) على ما في الصحاح الآجام وهي الشجر الملتف والغابة الاجمة وكثيرا ما يضاف اليها الاسد فيقال أسد غابة وهو على ما قيل أبلغ في المدح لان الاسد عند غابته أشجع منه عند غيرها أولما في الاضافة من الاشارة الى انه أسد لم يخنث كالحيوانات الاهلية بالحضارة فان بعض الآساد تربى في البلاد فتكون كنعامة فتخاء تخشى من صفير الهواء (والتوسد) الاتكاء والوسادة المخدة (والليث) اسم من أسماء الاسد الزائدة على ثلاثمائة اسم بكثير (وعلي) كرم الله تعالى وجهه هو رابع الخلفاء وقطب دائرة الاصفياء شفاء العلل والاسقام ومن لا تبلغ الى أدنى حضيض شامخ مجده هامات القلل ونهايات الاعلام تجاوز قدر المدح حتى كأنه • باحسن ما يثنى عليه يعاب

أسد الله تعالى الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه ووالى في الدارين من والاه وعادى من عاداه وشمائل هذا الامام وعلم الاعلام قد تعطرت الاكوان بنشر شذاها وتحلت المسامع والافواه بذكرها فهي حليها وحلواها ولا بد لنا أن نشرف هذا الكتاب بذكر نبذة من مزايا ذلك الجناب وأحسن ما رأيت مما اشتمل على شمائله ودرر محاسنه وفضائله قصيدة يقصر عن كعبها بردة المدح وتطول عن أن تنال أذيال حقائقها أيدي الشرح نظمها أديب عصره ونادرة دهره عبد الباقي أفندي العمري الموصلي أحله الله تعالى من الغفران بمقام علي وهي قوله مخاطبا له

أنت العلي الذي فوق العلى رفعا • ببطن مكة وسط البيت اذ وضعا

وأنت حيدرة الغاب الذى اسد البرج السماوى عنه خاسئاً رجعا
وأنت باب تعالى شأن حارسه • بغير راحة روح القدس ما قرعا
وأنت ذاك البطين الممتلى حكماً • معشارها فلك الافلاك ما وسعا
وأنت ذاك الهزبر الانزع البطل الذى بمخلبه للشرك قد نزعا
وأنت يعسوب نحل المؤمنين الى • أى الجهات انتحى يلقاهم تبعا
وأنت نقطة باء مع توحدها • بها جميع الذى فى الذكر قد جمعا
وأنت والحق يا أقضى الانام به • غدا على الحوض حقاً تحشران معا
وأنت صنو نبى غير شرعته • للانبياء اله العرش ما شرعا
وأنت زوج ابنة الهادى الى سنن • من حاد عنه عداه الرشد فانخزعا
وأنت بالطبع سيف تارة عطبا • يشق الثغور ويشفى مرة طبعا
وأنت غوث وغيث فى ردى وندى • لخائف وراج لاذ وانتجعا
وأنت ركن يجير المستجير به • وأنت حصن لمن من دهره فزعا
وأنت من بنداه عز من طمعا • وفى جدى من سواه ذل من قنعا
وأنت ذو منصل صل بنضنض فى • غمد كلغد لمكر الكفر قد بلعا
وأنت عين يقين لم يزده به • كشف الغطاء يقيناً أية قشعا
وأنت ذو حسب يعزى الى نسب • قد نيط فى سبب أوج العلى فرعا
وأنت ضنضئ مجد فى مدى أمد • قد فصل الدهر أوصالا وما انقطعا
وأنت من جت الاسلام وقرنه • ودرعت لبدتاه الدين فادرعا
وأنت من نجم الدين المبين به • ومن باولاده الاسلام قد نفعا
وأنت أنت الذى منه الوجود نضى • عمود صبح لياقوخ الدجى صدعا
وأنت أنت الذى حطت له قدم • فى موضع يده الرحمن قد وضعا
وأنت أنت الذى للقبلتين مع النبى أول من صلى ومن ركعا
وأنت أنت الذى فى نفس مضجعه • فى ليل هجرته قد بات مضطجعا
وأنت أنت الذى آثاره ارتفعت • على الاثير وعنها قدره اتضعا
وأنت أنت الذى آثاره صحت • هام الاثير وابدى رأسه الصلعا
وأنت أنت الذى يلقى الكتائب فى • ثبات جاش له ثهلان قد خضعا
وأنت أنت الذى لله ما فعلا • وأنت أنت الذى لله ما صنعا
وأنت أنت الذى لله ما وصلا • وأنت أنت الذى لله ما قطعا
حكمت فى الكفر سيفاً لو هويت به • يوماً على كتد الافلاك لانخلعا
محدب يتراءى فى مقعره • موج يكاد على الآفاق أن يقعا
أسلت من غمده ناراً مرقرقة • تجرع الكفر من راووقها جرعا
حكى الحمام حماماً من حسامك فى • لسان نار على هاماتهم مجعا
غليله طالما أوردته علقاً • يوم النهروان من نهر فما انتقعا
بذى فقارك عنا أى فاقرة • قصمتها ودفعت السوء فاندفعا

أرادسفك فى ليل العجاجة ان • يروى السنا عن لسان الصبح فاندلعا
عالجت بالبيض أمراض القلوب ولو • كان العلاج بغير البيض ما نجعا
والرعد قد ظن طرف البرق فيك كبا • لما أغرت على العليا فقال لعا
نبذت للشرك شلوا بالعراء اذا • عليه نسر من الخذلان قد وقعا
والليل لما تسمى كافرا بشبا • قرضاب بطشك قد غادرته قطعا
وباب خيبر لو كانت مسامره • كل الثوابت حتى القطب لانقلعا
يا رب شمس الضحى فى جنة بزغت • فى يوم بدر بزوغ البدر اذ سطعا
لله در فتى الفتيان منك فتى • ضرع الفواطم فى مهد الهدى رضعا
لقد ترعرعت فى حجر عليه لذى • حجر براهين تعظيم بها قطعا
ربيب طه حبيب الله أنت ومن • كان المربى له طه فقد برعا
رعاه مولاه من راع لامته • بجده وأبيك الحق فيك رعا
أخاك من عز قدرا أن يكون له • أخ سواك اذا داعى الاخاء دعا
حملك أملك بنت الليث حيدرة • أكرم بلبوة ليث أنجبت سبعا
لك الكساء مع الهادى وبضعته • وقرتى ناظريه ابنيك قد جمعا
لئن توجع فى يوم الطفوف لهم • فما سوى الله والله اشتكى الوجعا
قد خادعوا منك فى صفين ذا كرم • ان الكريم اذا خادعته انخدعا
نهج البلاغة نهج عنك بلغنا • رشدا به اجتث عرق الغى فانقمعا
بمدمغ لاهل البغى أدمغة • لنخوة الجهل قد كانت أشرعا
كم مصقع من خطاب قد صقعت به • فوق المنابر صقع الغدر فانصقعا
ما فرق الله شيأ فى خليقته • من الفضائل الا عندك اجتمعا
أبا الحسين أنا حسان مدحك لا • أنفك أظهر فى انشائه البدعا
وكل من راح للعلياء مبتكرا • جاء الثناء على علياه مخترعا
عذرا فقد ضقت ذرعا عن احاطته • وكلما ضقت عن تحديده اتسعا
وجوهر المدح فى علياك رونقه • بلبة الدهر فى لالائه نصعا
مدح لقد خضعت كل الحروف له • وكل صوت الى انشاده خشعا
به أساجل أقواما أجالسهم • فيذهبون بتهذيبى له شيعا
مستنبط من قليب القلب بنضحه • فكرو هل تنزح الافكار ما نبعا
أوراقه مرتع الاحداق كم نصر • فيه لذى نظر الشعر قد رتعا
ربع ربيع المعانى فى بطائحه • ترى لسائمة الافكار مرتبعا
فى كل بيت قصيد من مقاصده • باب بمصرعه التخييل قد صرعا
ما زاده فكر ذى حدس مطالعة • الا وزاد كافكارى به ولعا
وما تعلق فيه طرف رامقه • الا وشاهد برقا ومضه لمعا
وما وعت مهجة أقلا ذحذوته • الا ومقباسها أثناءها لذعا
وما بكت مقلة من فيه قد ذكروا • الا سقت ما به تذكارهم زرعا

وما امتطى لاحقا فى اثره أحد • الا وعن شأوه فى عدوه ضلعا
بسيط بحر له تغر بر شفه • لابحر السبع مأمون النجا كرعا
فاقبل فدتك نفوس العالمين ثنا • بمثله العالم العلوى ما سمعا
عليك أسنى سلام الله ما غربت • شمس وما قمر من أفقه طلعا
وآلك الغر ما ناحت مطوقة • من فوق غصن أسى فى حزنها ينعا

(والاله) من اله بأله الاهة عبد فالاله بمعنى المعبود مطلقا ثم خص بالمعبود الحق سبحانه وتعالى وقيل من اله أى تحير وتسميته تعالى بذلك لتحير العقول فى كنهه عز وجل ولهذا روى تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى ذاته فانكم لن تقدروا قدره وقيل أصله ولاه فابدل من الواو همزة وتسميته تعالى بذلك لكون كل مخلوق والها نحوه امابالتسخير وحده أو به وبالارادة معا وعلى هذا قول بعض الحكماء الله محبوب الاشياء كلها وقيل أصله من لاه يلوه ليها أى احتجب وتسميته عز وجل بذلك لاحتجابه سبحانه بحجاب الجلال عن ان يدرك على وجه الكمال وتمام الكلام فى تفسير الجد طيب ثراه وقد ذكرت فوائد جليلة تتعلق به أيضا فى كنز السعادة (والنسل) التولد وفى البيت الاستعارة كما يظهر بادنى تامل وفيه التشبيه البليغ وذلك فى قوله ذاك غاب وقوله من على ليث الاله الخ ولننبهك على فائدة فى هذا المقام وهى لعمرى مما يتنافس بها ذووا الافهام فنقول اعلم ان العلامة الثانى السعد التفتازانى قال فى التلويح انه ليس فى مثل زيد أسد استعارة بل الكلام على التشبيه وأنه يجب أن يحمل على حذف أداته لامتناع حمل زيد على الاسد انتهى وأقول ان أراد امتناع الحمل الحقيقى فسلم لكنه غير مفيد أو مطلقا فممنوع لجواز الحمل بناء على المبالغة قال ابن مالك فى شرح كافيته اذا أشرت الى رجل وقلت هذا أسد كان فيه ثلاثة أوجه أحدها تنزيله منزلة الاسد مبالغة دون التفات الى تشبيه كقول الشاعر

لسان الفتى سبع عليه شذاته • فان لم يزع من غربه فهو آكله

والثانى أن يقصد التشبيه فتقدر مثلا مضافا اليه فى هذين الوجهين لاضمير فى أسد والثالث أن تؤول لفظ أسد بصفة وافية بمعنى الاسدية كالشجاعة وتجريه مجرى ما أولته به فتحمله ضميرا وترفع به ظاهرا ان جرى على غير ما هو له انتهى فقد صرح بصحة الحمل دون تقدير أو تأويل ثم المستفاد من كلامه وهو الحق ان اطلاق القول فى نحو زيد أسد انه استعارة أو تشبيه غير صواب وانما الصواب التفصيل بان يقال ان هناك ثلاثة أوجه فعلى الاول لا استعارة ولا تشبيه وانما المجاز فى الحمل وهو مجاز عقلى وتخصيص البيانيين اياه باسناد فعل أو ما فى معناه مما لا دليل لهم عليه بل ينافيه قولهم فى الاستعارة التخييلية كما فى أظفار المنية ان المجاز فى الاثبات فتأمل وعلى الثانى هو تشبيه لان المقدر كالمذكور وان كان التشبيه مع الحذف أبلغ وعلى الثالث استعارة وفى دلائل الاعجاز للامام الشيخ عبد القاهر رحمه الله تعالى كلام بديع يتعلق بهذا المقام وما ذكرناه كاف لذوى الافهام فاحفظ ذلك والله تعالى يتولى هداك (وحاصل معنى البيت) ان ذلك المرقد المبارك الذى تمنيت زيارته من الله تعالى وتبارك هو من قد بطل الابطال وغاب الاسد الذى زع بمخلبه الشرك والضلال بل الغضنفر الذى يفر منه الاسد ويرى منه الموت الاحمر والاسود كيف لا وقد تنسل من

أسد الله تعالى الغالب ومظهر العجائب والغرائب والشبل فى الخبر مثل الاسد كما هو المعلوم لدى كل أحد وكون السيد أحمد رضى الله تعالى عنه قد تفرع من هذه الشجرة المباركة ثابت بعد الادلة القاطعة الشرعية بما من الله عليه به من السيرة المحمدية والاخلاق النبوية وقد يستلفتك الى طالع الصباح سناه ويدلك على الخزامى طيب ريحها وعلى المسك رياه وقيل كان رضى الله تعالى عنه محبوك الطرفين ولقد طابق شرفه فى نفسه شرف الجدين فلا بد أن نال بيد مجده الثريا وتفيأ فى الشرف مكانا عليا

من عذر من ضربت به أعراقه • حتى بلغن الى النبى محمد
أن لا يمد الى المكارم باعه • وينال غايات العلا والسودد
مترقيا حتى تكون ذيوله • أبد الزمان عمائما للفرقد

واعلم ان كلا من آبائه الكرام هو فى حلبة الفضل والعرفان امام

سراة يقر الحاسدون بفضلهم • كرام السجايا والعلا والمناسب
اذا جلسوا كانوا صدور مجالس • وان ركبوا كانوا صدور مواكب
أسود تغنت بالقنا عن عريسها • وبالبيض عن أنيابها والمخالب
يجودون للراجى بكل نفيسة • لديهم سوى أعراضهم والمناقب
اذا نزلوا بطن الوهاد لغامض • من القصد أذكوا نارهم بالمناكب
وان ذكروا غب الطعان رماحهم • رأيت رؤس الاسد فوق الثعالب

وفى البيت من المحاسن التشبيه البليغ والاستعارة وقد سبق ذكرهما وفيه أيضا شبه الاطراد فان الاطراد فى الاصطلاح أن يذكر الشاعر اسم الممدوح واسم من أمكنه من آبائه فى بيت واحد على الترتيب ولا يخرج عن طرق السهولة ومتى تكلف أو تعسف فى بناء بيته لم يعد اطرادا فان المقصود من هذا النوع أن يكون كلام الناظم فى سهولة جريانه واطراده كجريان الماء فى اطراده فمتى جاء كذلك دل على قوة الشاعر وتمكنه وحسن تصرفه فمن ذلك قول بعض الادباء مؤيد الدين أبو جعفر • محمد بن العلقمى الوزير وقول الآخر عبد العظيم الزكى ابن أبى الاصبع رب القريض والخطب الى غير ذلك مما هو مذكور فى محله وما ذكرنا كاف فى المراد والله أعلم قال الناظم لا زال قطبا تدور عليه رحى العرفان

﴿علم الشرق قطب دائرة الصد • ق منبع الحجى الامام المفضل﴾

أقول العلم يراد به هنا سيد القوم ويطلق أيضا على الفصل بين الارضين ومنصوب فى الطريق يهتدى به والجبل الطويل أو عام جمعه أعلام وعلام ورسم الثوب ورقمه والراية وما يعقد على الرمح ويصح أن يحمل هنا على بعض هذه المعانى غير انه يحتاج الى نوع عناية وقد يفرق بين العلم والراية بما هو مذكور فى بلوغ الارب وقد بسطت القول فيه هنالك فليراجع والشرق هنا أحد الجهات الست وهو معلوم وكونها ستا مبنى على ما هو المشهور وسبب الشهرة أمران عامى وخاصى أما العامى فهو أن الانسان يحيط به الجنبان عليهما اليدان وظهر وبطن ورأس وقدم فالجانب الذى هو الاقوى فى الغالب يسمى يمينا ومقابله يسارا وما يحاذى وجهه قداما ومقابله خلفا وما يلى رأسه بالطبع فوقا ومقابله تحتا ولما لم يكن عندهم سوى ما ذكرت وقفت أوهامهم على هذه الجهات الست واعتبروها فى سائر الحيوانات

أيضا لكنهم جعلوا الفوق ما يلي ظهورها بالطبع والتحت ما يقابله ثم عمموا اعتبارها في سائر الاجسام وان لم يكن لها أجزاء متمايزة على الوجه المذكور وأما الخاصي فهو ان الجسم يمكن أن يفرض فيه أبعاد ثلاثة متقاطعة على زوايا قوائم ولكل بعد منها طرفان فلكل جسم جهات ست الا أن امتياز بعضها عن بعض يتوقف على اعتبار الاجزاء المتميزة في الجسم فطرفا الامتداد الطولي يسميهما الانسان باعتبار طول قامته حين هو قائم بالفوق والتحت وطرفا الامتداد العرضي يسميهما باعتبار عرض قامته باليمين والشمال وطرفا الامتداد العمقي يسميهما باعتبار ثخن قامته بالقدام والخلف فالاعتبار الخاصي يشتمل على الاعتبار العامي مع زيادة هي تقاطع الابعاد على قوائم ولا شك أن العامة غافلون عنها وان أمكن تطبيق اعتبارهم عليها وأنت تعلم أن قيام بعض الامتدادات على بعض مما لا يجب في اعتبار الجهات واذا لم يعتبر كانت الجهات غير متناهية لامكان أن يفرض في جسم واحد بل بالقياس الى نقطة واحدة امتدادات غير متناهية انتهى وهذا بحث استطرادي اقتضاه كون الشرق يطلق عليه احدى الجهات والمشرق موضع شروق الشمس وطلوعها ويوحد فيراد به الجنس ويثنى فيراد به مشرق الصيف ومشرق الشتاء ويجمع فيراد به مشرق كل يوم وكذا المغرب وعلى هذه الانحاء الثلاثة ورد في القرآن وقد اعتبر علماء الهند مبدأ طول العمارة من موضع كنك دز وهو آخر العمارة في جهة الشرق على زعمهم وحكي أن أرصادهم كانت هنالك وذلك اما لقربه منهم واما ليكون ازدياد الطول في جهة الحركة الاولى وأما المعتبرون من أصحاب الصناعة وهم اليونانيون فقد اعتبروا المبدأ من المغرب اما لانه أقرب نهايتي العمارة اليهم وكان حالهم محققة عندهم واما ليكون ازدياد عدد الطول على توالي البروج وتابعهم الجمهور فيه الا أن بعضهم كالمتأخرين ومن تابعهم يأخذه من ساحل البحر المحيط الغربي المسمى عندهم أوقيانوس لكونه آخر العمارة في جهة الغرب في زمانهم وبعضهم كبطلميوس وغيره من المتقدمين وتابعيهم من جزائر ست مسماة بجزائر الخالدات وجزائر السعداء وبعدها عن موضع كنك دز مائة وثمانون درجة وقد كانت في القديم معمورة والآن مغمورة في الماء ولذلك تقيد الاطوال الموضوعة في الكتب بانها جزائرية أو ساحلية دفعا للالتباس وتختلف القسمة لان طولها تسعون درجة أبدا وتمام الكلام يطلب من محله وقد ذكرت في ترجمة رسالة القوشجي في الهيئة نبذة مفيدة من ذلك (والقطب) العمود الذي تدور عليه الرحى وفيه ثلاث لغات قطب وقطب وقطب بتثليث القاف ويقال فلان قطب بني فلان أي سيدهم الذي يدور عليه أمرهم وعند أهل الهيئة جزء من الفلك لا يتحرك اذا تحرك الفلك على نفسه وأنت تعلم أن الكرة اذا تحركت على نفسها لا تتحرك نقطتان منها أصلا وهاتان النقطتان هما قطباها فللفلك قطبان أحدهما شمالي والآخر جنوبي واشتهر القطب الشمالي بكوكب قريب جدا من هاتيك النقطة وهو آخر بنات نعش الصغرى ويقابله على ما قيل في جهة الجنوب كوكب آخر عند سهيل وهو أبدي الخفاء بالنسبة الى أكثر الآفاق المعمورة كما أن القطب الشمالي أبدي الظهور بالنسبة الى أكثرها أيضا وربما يكون فوق الرأس والقطب الجنوبي تحت القدم وذلك في عرض تسعين وهنالك الدور رحوي لا حمائلي كما في أكثر المعمورة ولا دولابي كما عند خط الاستواء وقطب

الدائرة كما قال السيد السند قدس سره الخط المستقيم الواصل من جانب الدائرة الى الجانب الآخر بحيث يكون وسطه واقعا على المركز والقطب عند السادة الصوفية هو الواحد الذى هو فى موضع نظر الله تعالى من العالم فى كل زمان وهو على قلب اسرافيل عليه السلام قد حصل له الكمال الانسانى والمقام الرحمانى وله خمسة أعمال ظاهرة يقوم الليل ويصوم ويفطر ويجاهد هواه ويأكل الحلال وستة باطنة الفناء والبقاء والمعرفة والتجريد والتحقيق والاحاطة وفى الفتح المكى

منزلة القطب والامامه • منزلة مالها علامه
علكها واحد تعالى • عن صفة السير والاقامه
يعلوه فى لونه اصفرار • فى أيمن الخدمنه شامه
حقيقة مالها نبوه • أيده الله بالسلامه

قيل لا يكون القطب فى كل زمان الا واحدا وهو الغوث (والدائرة) فى اللغة ما أحاط بالشئ وفى الاصطلاح سطح مستو يحيط به خط مستدير فى داخله نقطة تكون جميع الخطوط المستقيمة الخارجة منها اليه متساوية وذلك الخط محيطها وتلك النقطة مركزها والخطوط الخارجة من نقطة المركز الى المحيط أنصاف أقطارها والخط المستقيم الخارج منها الى المحيط فى الجهتين قطرها ثم انها قد تطلق ويراد بها الخط المستدير المحيط بالسطح المذكور تجوزا ثم اعلم أن الحساب لاحتياجهم الى تقدير الدوائر وأقطارها فى تعرف المطالب الفلكية وغيرها جرت عادتهم على تجزئة الدوائر بثلثمائة وستين جزأ لانه أقل عدد يصح منه ما عدا السبع من الكسور التسعة التى هى من النصف الى العشر المسماة بروس الكسور فيسهل بذلك الاعمال الحسابية وتجزئة القطر بمائة وعشرين جزأ وان كان الواجب تجزئته بمائة وأربعة عشر جزأ وكسر غير منطق بناء على ما بينه ارشميدس أن محيط كل دائرة ثلاثة أمثال قطره ومثل سبعة فنسبته اليه كنسبة اثنين وعشرين الى سبعة وانما فعلوا ذلك جبرا للكسر وتسهيلا للحساب ثم تجزئة كل جزء من أجزاء الدائرة وأجزاء قطرها الى ستين دقيقة وتجزئة كل دقيقة الى ستين ثانية وتجزئة كل ثانية الى ستين ثالثة وهكذا الى الروابع وغيرها مما يمكن اعتباره وحيث كان الدور كله ثلثمائة وستين جزأ يكون ربع الدور تسعين جزأ ويسمى قوسا تامة وكل قوس أقل منه كخمسين مثلا فتمامه ما بقى من الربع بعد نقصانها عنه كالاربعين فى مثالنا وكان المراد بها هنا أصحاب الصدق واخوان الصفاء الذين لم يعدهم الحق الاغر بل قد أحاطوا به احاطة الهالة بالقمر (والصدق) بالكسر والفتح ضد الكذب كالمصدوقة أو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفسروا الصدق بمطابقة النسبة للواقع والكذب بعدمها وقيل مطابقتها للاعتقاد وعدمها بدليل ان المنافقين لكاذبون ورد بان المعنى لكاذبون فى الشهادة أو فى تسميتها أو فى المشهود به على زعمهم أو من شأنهم الكذب وان لم يكن فى هذا الخبر أو غير ذلك وفى المطول وحواشيه مما يتعلق بهذا المقام ما يشفى العليل ويروى الغليل فعليك به (ومنيع الحمى) كناية عن العزة والسيادة وكان من عوائد العرب فى الجاهلية أن يتفرد العزيز منهم بالحمى لنفسه وهو محل يحمى أى يمنع من الوصول اليه لنبت الكلا ورعى المواشى كالذى كان يفعله كليب بن وائل فانه كان

يوافى بكلب على نشاز (١) من الارض ثم يستعديه ويحمى ما انتهى اليه عواؤه من كل الجهات ويشارك الناس فيما عداه حتى كان ذلك سبب قتله وفيه يقول العباس بن مرداس من قصيدة كما كان يبغيها كليب بظلمه • من العز حتى طاح وهو قتيلها

على وائل اذ يترك الكلب نابحا • واذ يمنع الافناء منها حلولها

وقد أبطل الشرع مثل ذلك وتمام الكلام فى كتابى بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب وحاصل معنى البيت أن ذلك الاسد والبطل الذى لا يقاومه أحد هو سيد أهل الشرق وشيخ أرباب الجمع والفرق اليه مرجعهم ومهيعهم ومنه موردهم ومصدرهم به تأتم الهداة واليه تنتهى المكرمات وعنه تروى الرواة قطب فلك الصدق ومركز دائرة الحق عليه تدور رحى العرفان وبه تشرق شموس أسرار حقائق الاكوان فالكل يدورون حوله ولا يصلون محله فهيهات أن يدرك شأواه وان يبلغ علاه اذ هو السابق الذى لا يشق له غبار والمحرز لقصبات السبق فى ذلك المضمار والامام المفضل والكامل المكمل رضى الله تعالى عنه وأرضاه ومتعنا يوم القيامة برؤياه وفى البيت من المحاسن البديعية مراعاة النظير وهو أن يجمع الناظم أو الناثر أمرا وما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة كقول البحترى كالقسى المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار فانه لما شبه الابل بالقسى وأراد أن يكرر التشبيه كان يمكنه أن يشبهها بالعراجين أو بنون الخط لان المعنى واحد فى الانحناء والرقة ولكنه قصد المناسبة بين الاسهم والاوتار لما تقدم ذكر القسى وما أظرف قول بعضهم فى وصف فرس

من جلنار ناضر خده • واذنه من ورق الآس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة ومثله قول بعضهم فى آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أنتم بنو طه ونون والضحى • وبنو تبارك فى الكتاب المحكم

وبنو الاباطح والمشاعر والصفا • والركن والبيت العتيق وزمزم

فقد أتى فى البيت الاول بحسن المناسبة بين أسماء السور وفى الثانى بحسن المناسبة بين الجهات الحجازية وما أحسن قول السلامى

والنقع ثوب بالسيوف مطرز • والارض فرش بالجياد مجمل

وسطور خيلك انما ألفاتها • سمر تنقط بالدما وتشكل

ومثله قول أبى العلاء المعرى

دع اليراع لقوم يفخرون بها • وبالطوال الردينيات فافتخر

فهن أقلامك اللاتى اذا كتبت • مجدا أتت بمداد من دم هدر

وغاية الغايات فى هذا الباب قول بديع الزمان الهمدانى من قصيدة يصف فيها طول السرى

لك الله من ليل أجوب جيوبه • كأنى فى عين الردى أبدا كحل

كأن السرى ساق كأن الكرى طلا • كأنا له شرب كأن المنى نقل

كأنا جياع والمطى لنا فم • كأن الفلا زاد كأن السرى أكل

كأن ينابيع الثرى ثدى مرضع • وفى حجرها منى ومن ناقتى طفل

كأنا على أرجوحة فى مسيرنا • لغور بنا تهدى ونجد بنا تعلو

(١) أى مكان مرتفع

ومنها

ومنها فى المديح ولم يخرج عما نحن فيه من حسن المناسبة

كأنى فى قوس لسانى له يد * مديحى له فرع به أملى نبل

كأن دواتى مطفل حبشية * بنانى لها بعل ونقشى لها نسل

كأن يدى فى الطرس غواص لجة * له كلمى در به قيمتى تغلو

الى امثال ذلك مما لا يسعه المقام من منثور بديع ورشيق نظام وفى البيت أيضا التورية وفيه غير ذلك وفيما ذكرنا الكفاية قال الناظم لا زال مفتحة له أبواب الوصال بسيد الانبياء وآله خير آل ﴿باب وصل بفضله لابيه * سيد الانبيا الاولى يتوصل﴾

أقول (الباب) أصله بوب وجاءت الالف من التحرك والفتح ويقال لمدخل الشئ وأصله مدخل الامكنة كباب المدينة والدار والبيت وجمعه أبواب وبيبان وأبوبة نادر وحسنته المشاكلة فى قوله هتاك أخبية ولاج أبوبة * يخالط البر منه الجد واللينا وقد يرتكب لها ما لا يحسن ارتكابه بدونه كما فى ارجعن مأزورات غير مأجورات وسلاسلا وأغلالا وقوله قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا وربما قيل هذا من بابة كذا أى مما يصلح له ويجمع على بابات وأبواب الجنة وأبواب النار عبارة عن فرج يدخل منها اليهما وزعم بعضهم ان المراد بها الاسباب التى يتوصل بها اليهما ولا داعى للعدول عن الظاهر مع امكانه واخبار الصادق به على ان فى الاخبار الصحيحة ما يأبى هذا التأويل واطلاق الباب على ما كان على الفرجة من المصنوع من خشب ونحوه حقيقة عرفية فاعرفه ومما ورد فى فضائل أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه ما روى من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا مدينة العلم وعلى بابها وهو حديث مشهور بين الناس حتى صار الباب لقباله رضى الله تعالى عنه كما يدل عليه فليأت الباب لكن قال فى تمييز الطيب من الخبيث انه رواه الحاكم فى المناقب من مستدركه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بهذا اللفظ مرفوعا والترمذى فى المناقب من جامعه عن على كرم الله تعالى وجهه بمعناه مرفوعا وقال انه منكر وكذا قال البخارى وقال انه ليس له وجه صحيح وقال ابن معين أى فيما حكاه الخطيب فى تاريخ بغداد انه كذب لا أصل له ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات ووافقه الذهبى وغيره على ذلك وقال ابن دقيق العيد هذا الحديث لم يثبتوه وقيل انه باطل انتهى قال الجد طيب الله تعالى ثراه متعقبا ان هذا الحديث قد أخرجه جماعة وسكتوا عليه منهم الطبرانى فى معجمه الكبير وأبو الشيخ بن حيان فى السنة له وغيرهما وكلهم من حديث أبى معاوية الضرير عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا بزيادة فمن أتى العلم فليأت الباب وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث على كرم الله تعالى وجهه عنه مرفوعا وذكر العلائى ان أبا معاوية فى سند الاولين ثقة حافظ محتج بافراده كابن عيينة وغيره ثم قال فمن حكم على الحديث مع ذلك بالكذب فقد أخطأ وليس هو من الالفاظ المنكرة التى تأباها العقول ثم ذكر ما يشهد له كحديث أبى ذر رضى الله تعالى عنه يرفعه على باب علمى الحديث وحديث ابن عباس يرفعه أيضا انا ميزان العلم وعلى كفتاه الحديث وهو حديث حسن كما قال السخاوى فى المقاصد الحسنة ثم أنت تعلم انه على تقدير عدم الثبوت أو كون على فيه وصفا لا علما كما زعم بعض النواصب لا ينقص من قدر الامير شئ لصحة ما لا يكاد ان يحصى من الاحاديث الدالة على فضله ومزيد علمه والعيان من أعظم الشهود على ذلك

وهبني قلت هذا الصبح ليل • أيعمى العالمون عن الضياء

انتهى بقي ههنا شيء وهو ان الروافض يزعمون ان هذا الحديث من جملة الادلة الدالة على كون الامير كرم الله تعالى وجهه الخليفة بلا فصل وأنت تعلم انه لا مساس له في ذلك وقد ذكرت ذلك مفصلا في مختصر التحفة الاثنى عشرية والسيوف المشرقة فلا حاجة الى التطويل في مثل هذا المقام واعلم ان الباب قد شاع في زماننا القبا لزعيم الفرقة البابية احدى فرق الروافض المستحدثة وما أحسن ما قيل

لا يفيد الثرى حروف الثريا • رفعة أو ينالها استعلاء

وأين المسيح الدجال من مسيح الهدى والكمال والباب عند هؤلاء الفرقة واحد الابواب وهم أحد الاقسام السبعة لمن لا بد منه في بناء المذهب الاول الامام الذي يصل اليه علم الغيب بلا واسطة الثاني الحجة الذي يقرر علم الامام على وفق مذاق المخاطبين وقدر عقولهم وفهومهم بالبرهان والخطابة الثالث ذو المصة الذي يمص العلم من ثدي الحجة الرابع الابواب ويقال لهم الدعاة ولهم مراتب وأكبرهم من يرفع درجات المؤمنين عند الامام والحجة وهذا الاكبر هو رابع السبعة الخامس الداعي المأذون الذي يأخذ العهود والمواثيق من الناس ويفتح للطالب باب العلم والمعرفة السادس المكلب الذي شأنه البحث والاحتجاج والترغيب في صحبة الداعي وليس له الاذن بالدعوة وسمي بذلك على التشبيه بالكلب المعلم السابع المؤمن المتبع الذي يؤمن بالامام وساعي المكلب وقد أظهر هذا الباب شنائع كثيرة منها زعم ارتفاع فرضية الصلوات الخمس وان سترفع فرضية الحج وانه يوحى اليه وألف كتابا زعم انه تفسير سورة يوسف مع انه ليس فيه تفسير شيء من آياتها وقد حشاه هذايانات وحرف فيه آيات وزعم التحدي به وذكر فيه انه يحرم كتابته بالحبر الاسود المعروف وانه يحرم مسه لغير متطهر الى أمور أخر شنيعة ينكرها عليه سائر الشيعة وقد أظهروا في العراق مفاسد كثيرة ففرقتهم أيادي الحكومة وشتت شملهم وقد بقي منهم اليوم بقايا طهر الله تعالى الارض منهم ومن هو على شاكلتهم من المبتدعين وتمام الكلام على هذه الفرقة وغيرها من الفرق المحدثة في مختصر التحفة ﴿والوصل﴾ كالوصال ضد الهجر ويطلق الوصال على عدم الفطر ليلا ولله در من قال

بليت به فقيها ذا جدال • يجادل بالدليل وبالدلال

طلبت وصاله والوصل حلو • فقال نهى النبي عن الوصال

ومثل هذا ما لبعضهم في مليح اسمه رمضان

رمضان قد جئته رمضانا • وهو بدر يفوق كل الحسان

قلت صلني فقال وهو مجيب • لا يجوز الوصال في رمضان

وعند السادة الصوفية قدس الله تعالى أسرارهم هو الرؤية والمشاهدة التي لا تحصل الا بمتابعة الصراط المستقيم والدين الحنيفي القويم وحمل القالب على المجاهدة والنفس على الرياضة والقلب على المراقبة والسر على السير والروح على طلب المحبوب الى ان يصل الى سر الروح وهو الخفاء ويصل الى علم الحقيقة فان الخفاء عالمها فاذا اطلع السر على الحقيقة اطلع النفس والقلب والعقل عليها بواسطة السر لان السر سراج النفس والقلب والعقل

به يبصرون الحقيقة وهذا فى مبادى الحال فاذا تمكن المريد من الحقيقة وترافع فى المراقى تقدم النفس على السر والروح والخفاء وصار أقوى وألطف من السر والروح فيكون النفس والقلب والعقل فى باطن البدن ويكون شعاعه فى أعلى عليين فى عالم الجبروت لا يصل اليه الملائكة المقربون (والفضل) تقدم (والاب) يقال فى تثنيته أبوان اذا أصله أبو بالتحريك وبعض العرب يقول أبان ويقال فى الجمع آباء وأبون وفى الفعل أبيت وأبوت أى صرت أبا وأبوته اباوة بالكسر اذا صرت له أبا وتأباه أى اتخذه أبا والاسم الابوة وهو من الاسماء الخمسة المعربة بالاحرف الثلاثة بالشروط المعروفة والعلة فى ذلك معروفة فى محلها وقد يلزم الالف كقوله

ان أباها وأبا أباها • قد بلغا فى المجد غايتاها

وقد تظهر الحركة فيه كقوله

بابه اقتدى عدى فى الكرم • ومن يشابه أبه فما ظلم

وقد يطلق الاب على العم ومنه قوله تعالى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقوله سبحانه واذ قال ابراهيم لابيه آزر على قول (والسيد) تقدم معناه (والانبياء) جمع نبى وقد سبق الفرق بينه وبين الرسول معنى وعدد الانبياء وهو من النبوة أى الرفعة لارتفاع قدره على من عداه ممن ليس نبيا أو من النبأ بالهمز وعدمه أى الخبر وهو اما مصدر المبنى للمفعول وهو ظاهر أو مصدر المبنى للفاعل وفيه نوع خفاء يزول بأدنى التفات وقد جوز الامران فيما قيل ومقتضى ما ذكر صحة نبى بالهمز وبذلك قرأه قالون حيث وقع الا فى موضعين من سورة الاحزاب فى قوله عز وجل لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم وقوله سبحانه وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان فانه أبدل الهمزة ياء فى الوصل وهمزها فى الوقف كما يفهم من كلام الشاطبى وصرح به غيره ووجه الابدال فى الوصل اجتماع همزتين وعدمه فى الوقف الرجوع الى الاصل لعدم السبب فيه وانما لم يسهلها كما سهل غيرها لانه لما رأى الابدال هنا جاريا على القياس رجحه لموافقته لغيره ولانه أفصح من التسهيل ولذلك أنكر على من قال يا نبىء الله ونظم ذلك الشهاب الخفاجى وادعى انه مما لا غبار عليه فقال

هو النبى لقالون كما نقلا • فى غير موضعى الاحزاب ان وصلا
لا الوقف اذ لم يكن فيه له سبب • يجمع همزين حتى يوجب البدلا
موافقا لسواه فهو أرجح من • تسهيلها ولهذا عنه قد عدلا

والمشهور ان حديث النهى عن ان يقال يا نبىء الله منسوخ ولم يكن ذلك للنقل ما يقتبس من كلام الشهاب بل لان النبى يستعمل بمعنى الطريق وقرر بعضهم ان القراءة مطلقا لا تحل الا بتوقيف والنبى الابراهيمى هو الامام فيها لا القواعد فالدعوى أشبه شىء بالزعم (والاولى) تأنيث الاول باعتبار الجماعة لتقدمهم بالزمان ظاهرا والصفة واقعية لا للاحتراز وحاصل معنى البيت ان هذا السيد السند المكرم والمرشد المبتهج بتقبيل يد جده صلى الله عليه وسلم هو واسطة نيل الآمال وباب حرم الوصال من سلك فى طريقه وصل ومن حاد عن منهجه ضل وبفضله يتوصل الى معرفة هدى جده سيد الانبياء وبعرفانه تدرك أسرار دقائق الشريعة الغراء فياله من شيخ ما أعظم قدره وما أدق سره وقد تحلى بحلىتى الفضل والفضيلة وتجمل بحلتى شرف النفس وعلو درجة الفضيلة وهكذا فلتكن الشيوخ وأهل الارشاد والرسوخ فعليك أيها الاخ بطريقته ولزوم جادته وسيرته

على نفسه فليبك من ضاع عمره • وليس له منها نصيب ولا سهم

واعلم ان ههنا أمرين يجب التنبيه عليهما (الاول) ان كون سيد الانبياء صلى الله تعالى عليه وسلم أبا لهذا الولي الجليل مبني على ما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم مشيرا الى الحسنين ان ابنيَّ هذين ريحانتاي من الدنيا وعن أبي نعيم في الحلية ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في ظهر علي بن أبي طالب أي أولاده من فاطمة دون غيرها فمن خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ان أولاد بناته ينتسبون اليه وأخرج الطبراني مثله وقد سبق ان نسب الممدوح المبارك ينتهي الى سيد الشهداء الامام الحسين رضي الله تعالى عنه وابن الابن ابن كما لا يخفى على الخبير ولا ينافي ما ذكر قوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين لكون الابوة المنفية الابوة الحقيقية وتحقيق الكلام في هذا المقام ما ذكره العلامة الجد طيب الله تعالى ثراه في تفسير هذه الآية الكريمة فقد قال هذا رد لما اخشينه صلى الله تعالى عليه وسلم الناس المعاتب عليها بقوله تعالى وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه وهو قولهم ان محمدا عليه الصلاة والسلام تزوج زوجة ابنه زيد بنفي كون زيد ابنه الذي يحرم نكاح زوجته عليه صلى الله تعالى عليه وسلم على أبلغ وجه كما ستعرفه قريبا ان شاء الله تعالى والرجال جمع رجل بضم الجيم كما هو المشهور وسكونه وهو على ما في القاموس الذكر اذا احتلم وشب أو هو رجل ساعة يولد وفي بعض ظواهر الآيات والاخبار ما هو مؤيد للثاني نحو قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وقوله سبحانه وان كان رجل يورث كلالة ونحو قوله عليه الصلاة والسلام فلاولى رجل ذكر والبحث الذي ذكره بعض أجلة المتأخرين فيما ذكر من الامثلة لا يدفع كون الظاهر منها ذلك عند المصنف وقد يذكر لتأييد الاول قوله تعالى والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان فان الرجال فيه للبالغين وفيه بحث نعم ظاهر كلام الزمخشري وهو امام له قدم راسخة في اللغة وغيرها من العلوم العربية يدل على ان الرجل هو الذكر البالغ وأيا ما كان فاضافة رجال الى ضمير المخاطبين باعتبار الولاد فان أريد بالرجال الذكور البالغون فالمعنى ما كان محمد ابا أحد من أبنائكم أيها الناس الذكور البالغين الذين ولدتموهم وان أريد بهم الذكور مطلقا فالمعنى ما كان محمد ابا أحد من أبنائكم الذين ولدتموهم مطلقا كبارا كانوا أو صغارا والاب حقيقة لغوية في الوالد على ما يفهم من كلام كثير من اللغويين والمراد بالابوة المنفية هنا الابوة الحقيقية الشرعية التي يترتب عليها أحكام الابوة الحقيقية اللغوية من الارث ووجوب النفقة وحرمة المصاهرة سواء كانت بالولادة أو بالرضاع أو بتبني من يولد مثله لمثله وهو مجهول النسب فحيث نفي كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أبا أحد من رجالهم بأي طريق كانت الابوة ومن المعلوم ان زيدا أحد من رجالهم تحقق نفي كونه عليه الصلاة والسلام أبا له مطلقا اما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس أبا له بالولادة فمما لا نزاع فيه ولم يتوهم أحد خلافه ومثله كونه عليه الصلاة والسلام ليس أبا له بالرضاع وأما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس أبا له بالتبني مع تحقق تبنيه عليه الصلاة والسلام فلان الابوة بالتبني التي نفيت انما هي الابوة الحقيقية الشرعية وما كان من التبني يستتبعها لتوقفها شرعا على شرائط منها كون المتبنى مجهول

النسب وذلك منتف فى زيد فقد كان معروف النسب فيما بينهم وانه ابن حارثة وتعميم نفى أبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من رجالهم بحيث يعم نفى الابوة بالولادة والابوة بالرضاع والابوة بالتبنى مع انه لا كلام فى انتفاء الاولين وانما الكلام فى انتفاء الاخيرة فقط اذ هى التى زعمها من يقول تزوج محمد عليه الصلاة والسلام زوجة ابنه للمبالغة فى نفى الابوة بالتبنى التى زعموا ترتب أحكام الابوة الحقيقية عليها بنظم ماننى فى سلك ما لا خفاء فيه أصلا ولعل هذا هو السر فى قوله سبحانه ما كان محمد أبا أحد من رجالكم دون ما كان محمد ابا أحد من الرجال أو ما كان محمد ابا أحد منكم ولعله لهذا أيضا صرح بنفى أبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من رجالهم له عليه الصلاة والسلام ولم يعكس الحال بان يصرح بنفى أبوة أحد من رجالهم له عليه الصلاة والسلام ليعلم نفى أبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من رجالهم ويؤتى بما بعد على وجه ينتظم مع ما قبل ويحمل الابوة المنفية على الابوة الحقيقية الشرعية يضل الاشكال فى الآية وهو ان سياقها لنفى أبوته عليه الصلاة والسلام لزيد ليرد به على من يعترض على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بتزوجه مطلقته فان أريد بالابوة الابوة الحقيقية اللغوية وهى ما يكون بالولادة لم يلائم السياق ولم يحصل بها الرد مع انه هو المقصود اذ لم يكن أحد يزعم و يتوهم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أبا زيد مجازا لتبنيه اياه ولم يزل زيد يدعى بابن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم فدعوه حينئذ بابن حارثة ووجه انحلاله بما ذكرنا من أن المراد بالابوة الابوة الحقيقية الشرعية ان هذه الابوة تكون بالولادة وبالرضاع وبالتبنى بشرطه وهى بانواعها غير متحققة فى زيد أما عدم تحققها بالنوعين الاولين فقط فظاهر وأما عدم تحققها بالنوع الاخير فلان التبنى وان وقع الا ان شرطه الذى يستتبع الابوة الحقيقية الشرعية مفقود كما علمت ويجعل اضافة الرجال الى ضمير المخاطبين باعتبار الولادة يندفع استشكال النفى المذكور بانه عليه الصلاة والسلام قد ولد له عدة ذكور فكيف يصح النفى لان من ولد له عليه الصلاة والسلام ليس مضافا للمخاطبين باعتبار الولادة بل هو مضاف اليه صلى الله تعالى عليه وسلم باعتباره ومن خص الرجال بالبالغين قال لا ينتقض العموم بذلك لان جميع من ولد له عليه الصلاة والسلام مات صغيرا ولم يبلغ مبلغ الرجال وقيل لا اشكال فى ذلك لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن له ابن يوم نزول الآية لان السورة مدنية نزلت على ما نقل عن ابن الاثير فى تاريخه الكامل السنة الخامسة من الهجرة وفيها تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب ومن ولد له صلى الله تعالى عليه وسلم من الذكور ممن عدا ابراهيم فانما ولد بمكة قبل الهجرة وتوفى فيها وابراهيم وان ولد بالمدينة لكن ولد السنة الثامنة من الهجرة فلم يكن مولودا يوم النزول بل بعده وهو كما ترى وكما استشكل النفى بما ذكر استشكل بالحسن والحسين فقد كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أبا لهما حقيقة شرعية ولم يرتض بعضهم هذا الجواب بخروجهما بالاضافة لان لهما نسبة الى المخاطبين باعتبار الولادة لدخول على كرم الله تعالى وجهه فيهم وهما ولداه وارتضاه آخرينا على ان الاضافة للاختصاص باعتبار الولادة ولا اختصاص للحسنين بعلى رضى الله تعالى عنهم باعتبار هالمانهم ولدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا لكن بالواسطة

فان قيل هذا فذاك والا فالجواب اما ما قيل من ان المراد بالرجال البالغون ولم يكونا
رضى الله تعالى عنهما يوم النزول كذلك فان الحسن ولد السنة الثالثة من الهجرة
والحسين رضى الله تعالى عنه ولد السنة الرابعة منها لخمس خلون من شعبان وقد علقت به
أمه رضى الله تعالى عنها عقب ولادة أخيه بخمسين ليلة أو أقل وكان النزول بعد ولادتهما
على ما سمعت آنفا وأما ما قيل من ان المراد بالاب فى الآية الاب الصلب ومعلوم انه
صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن أباهما كذلك فتدبر وقيل ليس المراد من الآية سوى نفى
أبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من الرجال بالتبنى كأبوته عليه الصلاة والسلام لزيد التى
زعمها المعترض كما يدل عليه سوق الآية الكريمة فكأنه قيل ما كان محمد أبا أحد من
رجالكم كما زعمتم حيث قلتم أبو زيد لتبنيه اياه وهى ساكتة عن نفى أبوته صلى الله تعالى عليه
وسلم لاحد بالولادة أو بالرضاع وعن اثباتها فلا سؤال عن ولد له صلى الله تعالى عليه وسلم
من الذكور ولا بالحسنين رضى الله تعالى عنهم ولا جواب والى اختيار هذا يميل كلام أبى
حيان والله تعالى أعلم واستدل بعض الشافعية بهذه الآية على انه لا يجوز ان يقال للنبى
عليه الصلاة والسلام أبو المؤمنين حكاه صاحب الروضة ثم قال ونص الشافعى عليه الرحمة
على انه يجوز ان يقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أبو المؤمنين أى فى الحرمة ونحوها وقال
الراغب بعد ان قال الاب الوالد ما نصه ويسمى كل من كان سببا فى ايجاد شئ أو اصلاحه أو
ظهوره أبا ولذلك سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أبا المؤمنين قال الله تعالى النبى أولى
بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وفى بعض القراآت وهو أب لهم وروى انه عليه
الصلاة والسلام قال لعلى كرم الله تعالى وجهه أنا وأنت أبوا هذه الامة والى هذا أشار صلى
الله تعالى عليه وسلم بقوله كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى انتهى فلا
تغفل وعلى جواز الاطلاق قالوا ان قوله تعالى ولكن رسول الله استدراك من نفى كونه عليه
الصلاة والسلام أبا أحد من رجالهم على وجه يقتضى حرمة المصاهرة ونحوها الى اثبات
كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أبا لكل واحد من الامة فيما يرجع الى وجوب التوقير
والتعظيم له صلى الله تعالى عليه وسلم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه الصلاة والسلام
فان كل رسول أب لامته فيما يرجع الى ذلك وحاصله انه استدراك من نفى الابوة الحقيقية
الشرعية التى يترتب عليها حرمة المصاهرة ونحوها الى اثبات الابوة المجازية اللغوية التى
هى من شأن الرسول عليه الصلاة والسلام وتقتضى التوقير من جانبهم والشفقة من جانبه
وقيل فى توجيه الاستدراك أيضا انه لما نفيت أبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من
رجالهم مع اشتهار ان كل رسول أب لامته ولذا قيل ان لوطا عليه السلام عنى بقوله هؤلاء
بناتى هن أطهر لكم المؤمنات من أمته يتوهم نفى رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على
توهم التلازم بين الابوة والرسالة فاستدرك باثبات الرسالة تنبيها على ان الابوة المنفية شئ
والمثبت للرسول شئ انتهى ولنفاسة هذا الكلام نقلناه بطوله وقلما تجد مثل هذا التحقيق
فى كتاب والله تعالى الهادى الى صوب الصواب ﴿الامر الثانى﴾ من الامرين ان ما أشار اليه
الناظم سلمه الله تعالى من كون نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم سيد الانبياء وتاج الاصفياء هو
مما لا خلاف فيه ولا شبهة تعتريه ومن وقف على سيرته ومعجزاته واطلع على صفته وباهر آياته

قوله أبو هذه الامة هكذا فى نسخة المؤلف بدون ألف تثنية بعد أبو وحرر الرواية

وعلم

وعلو درجته فى العلوم الربانية والاسرار الالهية التى كانت علوم أمته بالنسبة اليها كقطرة من بحر وذرة من جبل تبين لديه ان ماقلنا من البديهيات والقضايا الاوليات فهو أكمل المظاهر والمنبأ قبل العناصر أول ظافر بالكثرية وأسبق موصوف بالمهدية المتحلى بأحسن الصفات المتجلى بأعلى المقامات السارب فى أقصى ساحات القرب الشارب من أصفى راحات الحب المخصوص من الخلق برؤية الذات الغريق بمولاه سبحانه وان لاحظ آثار الصفات عروس الاكوان وتاج رأس الزمان واسطة سلسلة الامكان وانسان نوع الانسان جرثومة الوجود الحقيقى مرآة الوجود الحق رياض الملكوت بزهر جاله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة

كيف ترقى رقيك الانبياء • باسماء ماطاولتها سماء

لم يساووك فى علاك وقد حا • ل سنامنك دونهم وسناء

انما مثلوا صفاتك للنا • س كما مثل النجوم الماء

أنت مصباح كل فضل فما يصـ • ـدر الاعن ضوئك الاضواء

لك ذات العلوم من عالم الغيـ • ـب ومنها لآدم الاسماء

ولو كان المتكلم كله السنة تاليه والسامع كله آذانا واعيه مابلغ أقل ماحواه ولاوصل الى درجة من على محز اياه وقال الجد طيب الله تعالى ثراه ان كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء والمرسلين عليهم السلام مما يجب اعتقاده ومثله اعتقاد أنه عليه الصلاة والسلام أفضل المخلوقات على الاطلاق ولا يعارض هذا قوله عليه الصلاة والسلام لمن قال له ياخير البرية ذاك ابراهيم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتخيروني على موسى ولاقوله عليه الصلاة والسلام ماينبغى لعبد أن يقول انى خير من يونس بن متى امالانه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الاعلام بانه سيد الاولين والآخرين واما لان النهى انما هو عن تفضيل يؤدى الى نقص المفضول أو الى الخصومة والفتنة وقيل فى الاخير انه اشارة الى نفى المكان له تعالى فتأمله فانه دقيق وكما انه عليه الصلاة والسلام أفضل من الجميع أفضل من المجموع عند جمع وخبر من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه لا يأباه لجواز أن يكون ذكره تعالى لذلك الذاكر يوم القيامة فى ملا فيه جميع الانبياء حتى خاتمهم عليه وعليهم الصلاة والسلام وقيل يعتبر فى الملا الذين يذكر الذاكر فيهم الله عز وجل بضرب من التجوز ويدل على أفضليته عليه الصلاة والسلام على كل كنتم خير أمة أخرجت للناس وكذلك جعلناكم أمة وسطا وأنا سيد ولد آدم ولافخر وعلى المجموع كونه عليه الصلاة والسلام سبب الايجاد على ما اشتهر فيكتب له مثل ما يكتب لجميع المكلفين من الاعمال الصالحة ضميمة الى عمل نفسه وقد ذهب البعض الى ان جميع الشرائع المتقدمة على ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم شريعته عليه الصلاة والسلام والانبياء عليهم السلام من قبله نوابه فى التبليغ ووقوع النسخ فى هاتيك الشرائع كوقوعه فى شريعته عليه الصلاة والسلام التى ظهر بها وعلى هذا قول من قال

كل النبيين والرسل الكرام أتوا • نيابة عنه فى تبليغ دعواه

فهو الرسول الى كل الخلائق فى • كل الدهور ونابت عنه أفواه

وقد أشار الى هذه السببية ابن الفارض قدس سره بقوله على لسان الحقيقة المحمدية

واني وان كنت ابن آدم صورة • فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

وورا. هذا كلام تتعثر باذيال الخوف من ذكره الاقلام ولكني أقول

دع ما ادعته النصارى في نبيهم • واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ولا يخفى ما في البيت من المحاسن البديعية في باب وصل وما في الوصل والتوصل من الجناس وغير ذلك مما لا يخفى على الفطن النبيه (قال الناظم) لا زال عالي العرفان مشيد الاركان

﴿وبعالي عرفانه في المهما • ت الى الله ربنا يتوسل﴾

أقول (العالي) المرتفع من علا يعلو علوا والعلي الرفيع القدر واذا وصف به الله سبحانه وتعالى كما في انه العلي الكبير فمعناه ان يعلو عن أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين فأنى لعنكبوت الفكر أن يعرج بلعابه الى سماء قدسه ولخفاش الذهن أن يفتح عينه في أنوار شمسه

هيهات ان تصطاد عنقاء البقا • بلعابهن عناكب الافكار

والعرفان مصدر عرف وكذا المعرفة وهو عند القوم شهود الله في مظهر جامع بين الظاهر والباطن والمراد به هنا مطلق ما انطوى عليه من الاسرار الشريفة وما حواه من العلوم المنيفة واضافة العالي اليه من اضافة الصفة الى الموصوف (والمهمات) جمع مهمة وهي النازلة الحزنة التي توقع صاحبها في الهم أي الحزن وفي متعلقة بيتوسل (والله) علم على ذات الحق سبحانه لا يقبل التعدد لا ذهنا ولا خارجا وليس معناه كمعنى الاله والا لزم استثناء الشئ من نفسه في الكلمة الحافظة للمال والنفس ولزم عدم حصول التوحيد منها والاجماع على خلافه وفي المطول وحواشيه تحقيق لطيف يتعلق بهذا اللفظ الشريف وهو عند جماعة كالامام الشافعي وامام الحرمين وطائفة من الائمة مرتجل لا اشتقاق له أصلا وهو عربي لا معرب ولا سرياني وللمذهبين النقل والاشتقاق اختلاف كثير وتحقيق الحق بما تنبسط به الروح وترتاح في روح المعاني تفسير الجد طاب الله تعالى ثراه بيد أني أذكر لك ههنا فائدة بديعة ذكرها الحافظ ابن القيم عليه الرحمة في كتابه بدائع الفوائد حيث قال زعم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي ان اسم الله تعالى غير مشتق لان الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق ثم قال ولا ريب ان أريد بالاشتقاق هذا المعنى وانه مستمد من أصل آخر فهو باطل ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألم بقلوبهم وانما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهي الالهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير فان هذه الاسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الاسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه الله ثم الجواب عن الجميع انا لا نعني بالاشتقاق الا انها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا انها متولدة منها تولد الفرع من أصله وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه ان أحدهما تولد من الآخر وانما هو باعتبار ان أحدهما متضمن للآخر وزيادة وقول سيبويه ان الفعل امثلة أخذت من لفظ أحداث الاسماء هو بهذا الاعتبار لا ان العرب تكلموا بالاسماء أولا ثم اشتقوا منها الافعال فان التخاطب بالافعال ضروري كالتخاطب بالاسماء لا فرق بينهما فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مادي وانما هو اشتقاق تلازم سمي المتضمن فيه بالكسر مشتقا والمتضمن بالفتح مشتقا منه ولا محذور في

اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى انتهى ومن الغريب ما نقل عن بعض الصوفية ان اسم الذات الجليل هو الها. وحده وهو جار مع أنفاس الخلائق من حيث يشعرون ومن حيث لا وما ألطف قول بعضهم

ومن عجب اني أحن اليهم • واسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها • ويصبو لهم قلبي وهم بين أضلعي

وقد ذكروا مناسبات كثيرة لوضع الها. للذات الاقدس ان أردتها فارجع الى الفتوحات المكية للشيخ الاكبر قدس سره الانور (والرب) في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله بحسب استعداده الازلي شيأ فشيأ وكانها من ربي الصغير كعلا اذا نشا فعدي بالتضعيف ووصف به للمبالغة الحقيقية أو الصورية فالتجوز فيه اما عقلي من قبيل فانما هي اقبال وادبار أو لغوي كاسئل القرية وقيل هو صفة مشبهة وفي شرح التسهيل انه ممنوع والظاهر انه من مبالغة اسم الفاعل أو هو اسم فاعل وأصله راب فحذفت ألفه كما قالوا رجل بار وبر قاله أبو حيان ويؤيده اضافته للمفعول وقد ذكروا ان الصفة المشبهة تضاف الى الفاعل ويطلق على الخالق والسيد والملك والمنعم والمصلح والمعبود والصاحب الا ان المشهور كونه بمعنى التربية فلذا قال بعض المحققين انه حقيقة فيه ولان اللفظ اذا دار بين المجاز والاشتراك يحمل على المجاز ولا يطلق لغة على غيره تعالى اطلاقا مستفيضا الا مقيدا باضافة ونحوها مما يدل على ربوبية مخصوصة وقول ابن حلزة في المنذر بن ماء السماء

وهو الرب والشهيد على يو • م الحيارين والبلاء بلاء

نادر واستظهر الجلال السيوطي أن المراد نفي اطلاقه على غيره تعالى شرعا والشعر جاهلي وفي كلام الجوهري ما يؤيده وقال بعضهم لو كان بمعنى غير المالك جاز مع القرينة اطلاقه على غيره تعالى وجوز جمع اطلاقه منكرا كما في قول النابغة

تخب الى النعمان حتى تناله • فدى لك من رب طريفي وتالدي

وذكر آخرون اطلاقه مقيدا بالاضافة الى عاقل كرب العبد لايهام الاشتراك وفيه تأمل وروى الشيخان عن أبي هريرة لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك ولا يقل أحد ربي وليقل سيدي ومولاي وأجابوا عن قول الكريم ابن الكريم ابن الكريم ارجع الى ربك وانه ربي ونحوه بانه مثل السجود له المقاد بقوله تعالى وخروا له سجدا المخصوص جوازه بذلك الزمان ومن ادعى نسخ الحديث فعليه البيان ﴿والتوسل﴾ التقرب يقال وسل الى الله تعالى توسيلا عمل عملا تقرب به اليه كتوسل وحاصل معنى البيت ان ذلك الامام المرشد والمتهم في بيداء السلوك والمنجد قد حوى من الاسرار الالهية ما يتقرب المتقربون به الى الله وجمع من العلوم اللدنية ما هو أعظم وسيلة لمن أراد الفوز بمناه ببركته تنزاح الشدائد والمصائب وبعلومه وعرفانه تنقشع غياهب النوائب وان ما أشار اليه الناظم من التوسل الى الله تعالى بما ذكر هو مما اتفق المحققون على جوازه وأما الافراط الذي ينقل عن الوهابية من عدم جواز اتخاذ وسيلة الى الله تعالى أصلا فلا يخفى ان ذلك مخالف لنصوص الشريعة الغراء وما ذهب اليه السلف الصالح والتفريط وهو ما ذهب اليه بعض الجهلة من ان التوسل الى الله تعالى جائز بكل شيء حتى بالجماد والحيوان البهيم والكفار فهو نوع زيغ عن سبيل الحق وتفصيل الكلام ليس هذا محله فعليك أيها الاخ بالتمسك بما جاء به الكتاب والسنة ولا

تغتر بشبهات الاوهام فان المحنة فيها كل المحنة والله يحق الحق وهو يهدى السبيل (قال الناظم) لازال راجحا وفى أموره ناجحا

﴿وجدير بمن يراه ضراعا • ان يرى النجح فى الامور ويقبل﴾

أقول ﴿الجدير﴾ الحقيق ﴿ويراه﴾ بعلمه والضمير عائد على من وفاعل يرى ضمير مستتر فيه عائد الى الاسم الجليل واعلم ان الاصل توافق الضمائر فى المرجع حذرا لتشتت وقد يخالف بين الضمائر حذرا من التنافر وتفكيك الضمائر انما يكون مخلا بحسن النظام اذا كان كل منها راجعا الى غير ما يرجع اليه الباقى أو يرجع ما فى الوسط منها الى غير ما يرجع اليه ما فى الطرفين فلابد من صون الكلام الفصيح عنه واما التفكيك الذى لا يفضى اليه كما اذا رجع الاول أو الآخر منها الى غير ما يرجع اليه الباقى كالذى وقع فى آية الوصية وهى قوله تعالى فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه فلا يكون فيه شئ من الاخلال وقد نظم فيه أبو البقاء رحمه الله تعالى فقال

اذا كان تفكيك الضمائر مفضيا • الى ما يخل النظم فاحذر من الخلل
بان خالف الاطراف وسط بمرجع • كذا ما بقى منها بباق فقد اخل
واما اذا كان الخلاف لاول • بباق كذا للآخر اسمع فلا تخل
دليلك فى حسن النظام وصية • ألم تر أن الله قد بين العمل

﴿والضراع﴾ من ضرع اليه ويثلث ضرعا محركة وضراعة خضع وذل واستكان أو كفرح ومنع تذلل فهو ضارع والنجح بالضم والنجاح بالفتح الظفر بالشئ ﴿والامور﴾ جمع أمر وهو هنا الحادثة ويطلق على ضد النهى وللاصوليين فى تعريفه كلام طويل ليس هذا محل استقصائه ﴿ويقبل﴾ بالبناء للمفعول من القبول أى يكون مقبولا أى مرضيا عنه وقد يفسر بما ذكر مع ضم الاثابة ولكل مقام مقال وحاصل معنى البيت ان من يراه الله تعالى متوسلا بما أنعم سبحانه به على ذلك الولى الكامل من العرفان ومتذللا اليه جل شأنه بما أودعه فى ذلك المرشد الواصل من الاسرار العلية الشان حقيق ان ينجح فى أموره وجدير ان يظفر بمطلوبه ومرغوبه وان يكون من المقبولين عند الله والواصلين من رضائه سبحانه الى منتهاه كيف لا وهو باب الوصال وواسطة نيل أمانى أهل الحال والقال رافع العلمين ومقتدى الطائفتين وما أتم غير الله مدة عمره • وحاشا وما للغير فى السير عائد

مراحل لم يستقصها قط ناسك • سواه ولا يرقى لها قط زاهد
بصيرته القلبية استنهضت به • الى سبل للسير فيها من اصد
تقرب من قوس الصعود حتى فلا • يقاس به الا ه والله صاعد
وشاهد من شمس الحقيقة مشرقا • يذوب بسيماه الحصى والجلامد
أميرر ياضات النفوس وان من • أساطينها تلقى اليه المقالد
عليه رحى العرفان دارت لانه • هو القطب والابدال فيها فراقد
فتى قصده عرفان باريه هل ترى • تقوم به أبياتنا والقصائد

ولا يخفى ما فى البيت من الاغراء على محبته ولزوم طريقته ومحجته (قال الناظم) لازال فى عين الرضا وفى ساحة اللطف روضا

رضى

﴿رضى الله عنه ما افتر ثغر الروض لطفا فى ساحة رشها الطل﴾

أقول ﴿الرضاء﴾ ضد السخط وكذا الرضوان وبضمان ورضاء الله تعالى عن العبد ان يراه مؤتمرا بأمره ومنتهيا عن نهيه ورضاء العبد عن الله تعالى ان لا يكره ما يجرى به قضاؤه وقيل رضاء الله تعالى عن العبد قبول أعماله ورضاء العبد فرحه بما أعطاه سبحانه من أنواع الكرامة وقال الجنيد الرضاء يكون على قدر قوة العلم والرسوخ فى المعرفة والرضاء حال يصحب العبد فى الدنيا والآخرة وليس محله محل الخوف والرجاء والصبر والاشفاق وسائر الاحوال التى تزول عن العبد فى الآخرة بل العبد يتنعم فى الجنة بالرضاء ويسأل الله تعالى حتى يقول لهم برضائى أحلكم دارى أى برضائى عنكم وقال محمد بن الفضل الروح والراحة فى الرضا واليقين والرضا باب الله الاعظم ومحل استرواح العابدين وقال السنوسى فى شرح الوسطى رضاء الله تعالى اما صفة فعل بمعنى الانعام أو صفة ذات بمعنى ارادة الانعام ويتعين الاول فى مقام الدعاء لان الدعاء انما يكون بمستقبل غير حاصل فى الحال وارادة الله تعالى أزلية يستحيل تجددها حتى يتعلق بها الدعاء وفى الغنيمى عليه ولك ان تقول ولو على بعد تجوز ارادة الثانى نظرا لتعلق الارادة الحادثة وذلك لا يستحيل تجدده ﴿وما﴾ مصدرية زمانية كما فى قوله تعالى مادمت حيا فان أصله مدة دوامى حيا فحذف الظرف وخلفته ما وصلتها كما جاء فى المصدر الصريح جئتك صلاة العصر وآتيك قدوم الحاج والقول بانها تدل على الزمان بذاتها لا بالنيابة يستلزم ان تكون اسما لا مصدرية على ما قاله غير واحد ﴿وافتر﴾ تبسم كذا فسره المطرزى وهذا هو المناسب للثغر والمعانى التى ذكرت فى القاموس لا تناسب المقام ﴿والثغر﴾ الفم أو الاسنان أو مقدمها أو ما دامت فى منابتها أو ما بنى فى دار الحرب وموضع المخافة والمراد به ههنا الفم ﴿والروض﴾ قال فى القاموس من الرمل والعشب مستنقع الماء لاستراضة الماء فيها أى لاستنقاعه فيها وذكر الجوهرى مثل ذلك ﴿والساحة﴾ الفضاء بين دور الحى على ما سبق ﴿والرش﴾ معروف ﴿والطل﴾ المطر الضعيف أو اخف المطر وأضعفه أو الندى أو فوقه ودون المطر جمعه طلال وطلل كعنب ولاسماء المطر وأوصافه تفصيل ليس هذا محله ومعنى البيت ظاهر للعيان لا يحتاج الى كشف وبيان وحاصله طلب الرضوان من الله تعالى ما دامت السماء والارض وتفتحت الاكمام وأزهار الروض ولا يخفى ما فى تأبيد الترضى بما ذكر من المناسبة التى تعطرت بنفحاتها أرجاء قلوب العارفين وتفتقت برياها أزهار صدور الواصلين وهذا البيت وان كان لفظه لفظ الخبر اريد به الانشاء كما لا يخفى على أرباب النظر وتقييد الترضى بما ذكر يفيده جلالة على ما لم يقيد بذلك لا غير قال الجد طيب الله تعالى ثراه وأنا لا أرى مثل قول القائل اللهم صل على محمد ألف مرة فى الثواب كالصلاة عليه بالفعل ألف مرة وأبعد من ساوى بينهما حتى فى التضعيف على معنى انه تضاعف له الالف بمجرد قوله ألف مرة كما أتى بها بالفعل ودونه من قال يثبت له ثواب الالف غير مضاعفة نعم فضل الله تعالى واسع فيثيب عز وجل على القليل بالكثير نسأل الله تعالى من فضله واعلم انه لا بأس بالترضى على سائر صلحاء الامة كما وقع كثيرا فى عبارة غير واحد من الاجلة بل ولا مانع من ذلك لا عقلا ولا نقلا وان شاع خلاف ذلك بين الناس فقد قيل ان تعالى مخصوص بالله سبحانه ولا يقال ذلك لجليل

غيره عز شأنه وان كان له تعالى من وجه فلا يقال قال النبي تعالى وهذا كما لا يقال صلى الله تعالى عليه وسلم لغير الانبياء من البشر وغيرهم وان كان ذلك دعاء بالرحمة والسلامة فلا يقال قال علي مثلا صلى الله تعالى عليه وسلم بل هو مكروه عند الحنفية والشافعية الا تبعا للنبي عليه الصلاة والسلام مثل صلى الله وسلم على النبي وابن عمه علي ومثل ذلك عليه السلام وليت شعري هل يقال للمسلم عند الملاقاة السلام عليك وكذا اذا كتب له كتاب وكذا يقال عند قبره ما ورد ولا يقال مثل ذلك عند ذكره سيما اذا كان من أخيار الامة وأبرارها وقد جوزت الحنابلة ذلك بلا كراهة لحديث اللهم صل على آل أبي أوفى وأجاب عنه من أجاب بان المنع رعاية لحقه عليه الصلاة والسلام والقائل هنالك هو نفسه وأنت ترى ما فيه من الوهن ولعل الكراهة عند من يقول بها في عليه السلام أهون منها في صلى الله تعالى عليه وسلم أو عليه الصلاة السلام وكما لا يقال رضي الله تعالى عنه لغير صحابي عند جمع لكن ضعفه في المجموع والحاصل ان المشهور ان تعالى ونحوه كسبحانه وعز وجل لله تعالى والتصلية والتسليم للانبياء والترضي للصحابة في قول والترحم لسائر المؤمنين وكذا الدعاء بالمغفرة وشاع استعمال قدس سره للاولياء ولم نقف على استعمال السلف له والعجب من بعض الجهلة انك لو دعوت لولي بالمغفرة فقلت غفر الله تعالى له مثلا رمولك بالانكار مع ان الله تعالى يقول والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وان كان المراد بهذا على ما قيل مدحهم بمطلق الدعاء الاخروي لاخوانهم المؤمنين وآه ثم آه من زمان لا يسع العالم ان يقول للجهلة ما يعلم وفي شروح الشفاء ما يشفي العليل مما يتعلق بهذا المقام فعليك بها ولقد أحسن الناظم أحسن الله تعالى خاتمته بما ختم به قصيدته وبعض الادباء يختمون قصيدهم بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يبتدؤن بها وقد صرح غير واحد بكراهة مثل ذلك وكذا في آخر التقرير وفي الوهبانية وقد كرهوا والله أعلم ونحوه ٭ لاعلام ختم الدرس حين يقرر قال شارحها وأراد بنحوه وصلى الله على سيدنا محمد وتمام الكلام أوردته في عقد الدرر شرح مختصر نخبة الفكر وفي البيت من المحاسن البديعية مراعاة النظير كما لا يخفى وقد تقدم الكلام فيه وفيه أيضا حسن الختام وهو ان يختم البليغ كلامه باجود معنى يحسن السكوت عليه وأعذب ألفاظ تميل القلوب اليه لانه آخر ما يبقى في الاسماع لئلا تنفر منه الطباع وربما حفظ من دون سائر الكلام فان كان مختارا حسنا تلقاه السمع واستلذ به الطبع حتى انه يقع جابر الما تقدم من فظاظة الكلام وركاكة النظام وان كان بخلاف ذلك كان على عكس ما هنالك وما أحسن قول البرهان القيراطي في ذلك

يا امام الهدى عليك صلاة ٭ وسلام في الصبح ثم العشاء

ما صبا في أصائل قلب صب ٭ ذكر الملتقى على الصفراء

وما أعطر قول ابن الوردي صلى عليك الله يا خير الورى ٭ ما نار نور من ضريحك في الدجا

﴿فائدة﴾ نسب الناظم حفظه الله تعالى هو السيد محمد أبو الهدى ابن السيد حسن وادي ابن السيد علي ابن السيد خزام بن السيد علي خزام ابن القطب السيد حسين برهان الدين ابن السيد عبد العلام ابن السيد عبد الله شهاب الدين ابن السيد محمود الصوفي ابن السيد محمد

برهان ابن السيد حسن أبي محمد الغواص ابن السيد الحاج محمد شاه الرندى ابن السيد محمد خزام دفين الموصل ابن السيد نور الدين ابن السيد عبد الواحد ابن السيد محمود الاسمر ابن السيد حسين العراقى ابن السيد ابراهيم العربي ابن السيد محمود ابن السيد عبد الرحمن شمس الدين ابن السيد عبد الله نجم الدين القاسم ابن السيد محمد خزام السليم ابن السيد شمس الدين عبد الكريم ابن السيد صالح عبد الرزاق ابن السيد شمس الدين محمد ابن السيد صدر الدين على ابن القطب الاعظم السيد عز الدين أحمد الصياد سبط سيد الاولياء أبي العلمين الغوث الاكبر لاثم يد النبي الاطهر سيدنا السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه ووالد السيد عز الدين أحمد الصياد هو السيد مهد الدولة عبد الرحيم ابن السيد عثمان ابن السيد حسن ابن السيد محمد عسلة ابن السيد حازم ابن السيد أحمد ابن السيد على المكى ابن السيد رفاعة الحسن نزيل المغرب ابن السيد المهدى ابن السيد أبي القاسم محمد ابن السيد الحسن ابن السيد الحسين ابن السيد أحمد ابن السيد موسى الثانى ابن السيد ابراهيم المرتضى ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين على ابن الامام الحسين شهيد كربلا السبط النبي صلى الله عليه وسلم وابن أمير المؤمنين سيدنا الامام على بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضى الله عنه وعنهم أجمعين

نسب أقام من الفخار قلادة • نظمت من الدر اليتيم عقودا
مافيه الا سيد من سيد • جمع المكارم والعلا والجودا

وليكن هذا آخر ما يسره المولى عز اسمه من شرح دقائق أبيات هذه القصيدة النضيدة ونهاية ما وفقه سبحانه من كشف نقاب درر كلمات هاتيك الخريدة والدرة الفريدة بل لعمرى انها الشذور الذهبية والعقود العسجدية بل انها النغمات التى تساجلت بها العنادل وملئت بترنمها لهوات أقفاص المحافل بل انها كما قال فيها الاديب والفطن اللبيب أبو النصر يحيى أفندى حفنا واياه بلطفه المعيد المبدى مخاطبا ناظم عقودها وناسج حللها وبرودها

دام فينا لك الفخار المؤثل • يا اماما له الثناء المرتل
أى معنى بحسنه منك لاحت • مسفرات بنشرها الحظ أقبل
لست أدرى أحلة بالدرارى • نسجها معلم الطراز مكلل
أم شموس تبلجت من طروس • لك فيها من البلاغة جحفل
أم كتاب على فؤادك مما • جاء فينا به الرسول تنزل
ذكرتنا الآيات منه علوما • ضل عن درك غيبها من تأول
آنستنا بمدح جدك تهدى • كل صب على علاه تطفل
من لنفس له الجميل عليها • لو تفديه بالذى هو أجمل
أو تؤدى بمدحه بعض حق • فرضه جاء فى الكتاب المنزل
ليت شعرى وأى مدح يؤدى • حق مولى له المقام المبجل
والمثانى بفضله شاهدات • والبرايا بمثلها تتمثل
• ياخليلى والعتاب قبيح • خلياني بذكره أتجمل
خلياني أمدباع قصورى • للرفاعى أحمد لو تقبل

فهو للكل عمدة وملاذ ● ليس الا على علاه المعوّل
خصه الله بالذى قد تجلى ● منه كالشمس مجمل ومفصل
يوم مدت اليه بالفضل جهرا ● كف خير الانام فى خير محفل
بارعى الله روضة غاب فيها ● منه قبل المعاد بدر تهلل
كان فى الكون مسفرا متوارى ● أظلم الخافقان والدهر أمحل
واستبانت حقائق أنبائنا ● ان منظوم عقدها قد تكمل

ولم أتعرض فيه لكثير من الدقائق العربية والفوائد الادبية حيث تكفل بذلك المطولات وقام باعباء ما هنالك متون الكتب المفصلات بل قد اقتصرت على ما لا بد منه من الفوائد وما يسهل تعاطيه من الشوارد فلذا جاء والحمد لله تعالى شرحا قد قصر عن الاطناب طنبه وترفعت عن الايجاز المخل رتبه والمرجو ممن سلم خيمه وعوفى من داء الحسد أديمه الصفح عن العثرات والعفو عما بدا من الزلات واصلاح ما أفسده اليراع وقصر عن أداء غرض الابداع فانى قد كتبت ما كتبت فى أقصر مدة من غير أسباب ولا كثير عدة ولا حررت لما هنالك مسودة وانى والله لاعد ذلك من الفتوح وكرامات ذلك الولى الممدوح وقد كنت فى أثناء الشرح منشرح الصدر مستقر البال لا يكاد يمر فى جو قلبى غيوم الغموم ولا تخطر عواصف المحن فى الخيال مع ما أكابده من نوائب موجعه وطوارق مفجعه وحوادث أوهنت عظمى وطوائح طوحت جسمى واعتصرت الخطوب قلبى فاستقطر ندما ورمت الايام بسهامها فؤادى فاحالته ألما الى أمور أخرى علمها عند ربى مما يضرم ذكرها ضرام اكدارى ويؤجج لهيى اللهم انى أخلصت بانقطاعى اليك وأقبلت بكلى عليك وصرفت حاجتى عمن يحتاج الى رفدك وقلبت مسئلتى عمن لم يستغن عن فضلك فكم قد رأيت يا الهى من أناس طلبوا العز بغيرك فذلوا وراموا الثروة من سواك فافتقروا فأنت يا مولاى دون كل مسؤل موضع مسئلتى ودون كل مطلوب اليه وبه مطمع انظار حاجتى أنت المخصوص قبل كل مدعو بدعوتى لا يشركك أحد فى رجائى ولا يتفق أحد معك فى دعائى ولا ينظمه واياك ندائى وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سر ايجاد الخلائق وخلاصة مفهوم الحقائق أول أصفيائك وخاتم أنبيائك وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه الذين وضح لديهم سرك الاعظم وفتح عليهم كنزك المطلسم ما غردت الاقلام فى رياض الطروس وصدحت الارقام على أغصان المدائح بما تطيب به النفوس وكان ذلك ليلة الجمعة قرب نصف الليل لست خلون من شهر ربيع الثانى من شهور السنة الخامسة بعد الثلاثمائة والالف من هجرة من أنزل عليه السبع المثانى صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وعظم وكرم بقلم جامع هذه الحروف المفتقر الى عونه سبحانه وكرمه محمود شكرى بن السيد عبد الله بهاء الدين بن المفسر الشهير أبو الثناء السيد محمود شهاب الدين الحسينى الآلوسى البغدادى تغمدهم الله تعالى برحمته وأسكنهم والمسلمين فسيح جنته

قد تم طبع الكتاب المذكور على ذمة حضرة الشيخ محمد العيسى الحموى وذلك بالمطبعة الخيرية المنشأة بحوش عطى بالجمالية تعلق حضرة السيد عمر حسين الخشاب وحضرة الشيخ محمد عبد الواحد الطوبى وذلك فى أواخر شهر رمضان المعظم سنة ١٣٠٥ هجريه

﴿تقاريظ كتاب الاسرار الالهية شرح القصيدة الرفاعية﴾

ممن قرظه العالم العلامة والكامل الفهامة فريد الذات وحيد الصفات جناب عبد الوهاب افندي باهد أمين الفتوى ببغداد لازال موفقا للسداد

ان شرحا حوى الفخار المؤثل • لجدير بان يحلى وينقل
رق لفظا وطاب متنا وشرحا • حيث صعب القياد فيه تذلل
كم خبايا من سره قد عرفنا • ورزايا بها الزمان تجمل
فيه فن البديع أضحى بديعا • لو رآه البديع يوما تزلزل
أو دعاه الخطيب يوما لنادى • بالقوى هذا الكتاب المفصل
غير بدع ان صاغه شبل قوم • سند المجد فيهم وقد تسلسل
هو حبر العلوم كهف السجايا • كان في العصر آخرا وهو أول
كم أرانا من علمه رشحات • هي أبهى من الطراز المكلل
هو لولم يكن لدينا عبابا • ما استبحنا من فيضه خير جدول
خير شرح لخير نظم جليل • قد براه صدر الصدور المبجل
ذا الشيخ الشيوخ قطب رحاها • أوحدى الصفات والفضل أكمل
ذو السجايا أبو الهدى من تسامى • لمقام غدا عليه يعوّل •
خاض منه للسالكين عباب • فاستطابوا اذا الرحيق المسلسل
كم علوم أبانها عن يقين • فاح منها التحقيق في كل محفل
فيه سر من الاله منير • ذاك شكري أبانه وهو أعدل
طاب أصلا ومحتدا حيث ينمى • لامام رأى اليمين فقبل •
دل هذا بانه فرع طه • صفوة الخلق والورى خير مرسل
كيف أستطيع مدح قوم سراة • بثناهم أتى الكتاب المنزل
أنا ان نابني ملم أنادي • آل بيت مجدكم أتوسل
ان شكري لفضلكم مستفيض • وولائي لديكم قد تسجل
لا برحتم سفن النجاة كراما • وعليكم سحائب المجد هطل

كتبه بقلمه ونطقه بفمه أفقر العباد عبد الوهاب أمين الفتوى ببغداد عفي عنه

للاديب الاريب والشاعر اللبيب الذي تحلت الطروس بنظمه ونثره وتزينت نحور الايام بفرائد دره الشيخ عباس العذاري والى الله عليه فيضه المدراري

ان هذا الكتاب خير كتاب • لذوي الفهم نزهة الالباب
فيه للناظرين روضة علم • قد سقتها سحائب الآداب
فيه علم وفيه فضل وفخر • وكمال وفيه فصل الخطاب
جمعت فيه فكرة الندب محمود شكري مقدس الاحساب
وبه شارح القصيدة ذي الفضل المعلى أبي الهدى الاواب

علم الفضل والعلوم جميعا • لم يزل في العلى رفيع القباب
ماجـــــد أورع تقي نقي • ذو مزايا لم تحصر في حساب
وبها ماد حاسليل هداة • قد أتى مدحهم بآي الكتاب
هو ذاك الولي الرفاعي أحمد نسل الاطايب الانجاب
ذو الكرامات والمزايا التي قد • ظهرت للورى بغير ارتياب
قدوة المرشدين سام علاه • عمدة السالكين والطلاب
لم يزل سابقا الغايات فضل • طرف عرفانه بها غير كابي
ان شكري هذا المجود شكري • لا أماري فيه ولست أحابي
فلعمري لقد أجاد بهذا الشرح لازال ناطقا بالصواب
وعقاقد أبان فيه من الاسرار من فيض ذي العلى الوهاب
كاشفا عن رموزها والخفايا • عن معان كانت وراء حجاب
وعن الغامضات عنها بدي • فكره قد أماط كل نقاب
أيها السيد الذي قد تسامى • شرفا في مكارم الانساب
انما أنت في العلوم خضم • هو حلو المذاق عذب الشراب
وبهذا الكتاب انك قد أحرزت فخرا يبقى على الاحقاب
غير بدع ولا نرى بعجيب • منك اذ جئتنا بكل عجاب
وبجو الكمال لوحت نورا • فلأنت الشهاب وابن الشهاب

كتبه الفقير عباس العذاري

للفطن الذكي والاديب اللوذعي ذي النظم الرائق والنثر الفائق الملا علي بن سلمان المدرس في البصرة الفيحاء صانه الله تعالى من كل بلاء.

أعقود بارقة النحور • أم در باسمة الثغور
أم غصن بان مائس • أم نسمة الروض المطير
أم هذه زهر النجو • م تضيء في الافق المنير
أم بدر تم قد بدى • يحكي سنا الظبي الغرير
أم شمس راح أشرقت • في أوج أبراج السرور
أم برق كاسات الحبا لاح في كف المدير
أم طفلة بدوية • حوراء كالظبي النفور
هيفاء ونعت الثرا • تبدو الخمور من الثغور
تسبي العقول اذا انثنت • كالغصن ترفل في الحرير
بل ذاك شرح قد حوى • علما به شرح الصدور
من كل معنى رائق • في الحسن كالدر النثير
فاقت فرائد شعره الشغالي على الشعرى العبور

سطر المعارف والعوا • رف واللطائف في السطور
كم طالب لعلومه • أرواه بالعذب النمير
عن صدره من عجزها • قعدت مقامات الحريري
سفر به قد آذنت • روح المعاني بالسفور
شرح به كشفت حقا • ئق ما استتر في الصدور
من نشر طيب قصيدة • تسمو على نشر العبير
لأبي الهدى وأخي التقى • والمجد ذي الشرف الخطير
رب السيادة والسما • حة والفخار المستنير
شيخ الطريقة والحقيقة • غوث أرباب الصدور
• عجبا له فاق الاوا • ئل وهو في الزمن الاخير
أثناه محمود السجا • يا الفرد ذو العلم الغزير
شكري الذي في فضله • وعلاه كالبدر المنير
ذاك الامام ابن الاما • م ابن الامام بلا نكير
علامة الآفاق رب الفضل والحسب الشهير
شمس الهداية والتقى • والعلم نادرة العصور
شهم يذل لعزه • صعب القياد من الامور
ليث قد اتخذ العرين بقنة الفلك الاثير
فسما بغيث براعه • في روض هاتيك السطور
لم تكتحل عين الزما • ن له بمثل أو نظير
لازال يبرز غامض الاشكال بالفكر المنير
وكذاك لا ينفك في • سعد على مر الدهور

قاله بفمه ورقمه بقلمه الفقير اليه عز شأنه علي بن سليمان عفي عنه

تقريظ عين أعيان الفضلاء، وواسطة عقد أجلة الادباء، مصطفى أفندي الانطاكي الحلبي نزيل بغداد صانه الله تعالى من الاكدار والانكاد وهو

ما على غير ما تراه المعوّل • فاطرق الرأس هيبة وتأمل
كيف يؤتى الاله بعض رجال • حكمة نور نفعها الكون يشمل
فهم كالنجوم في كل آن • يهتدي في سناهم كل من ضل
وأجل مقلتيك مفتكرا في • حسن هذا الشرح البديع المكمل
• تلق ما بين دفتيه عقودا • نظمتها أفكار حبر مفضل
شرح نظم في وصف حضرة قطب الاوليا أحمد الرفاعي ترتل
قد حبانا أبو الهدى نور ذاك الـ • كوكب الباهر السنا وتفضل
فتصدى له منير المعالي • الالوسي محمود شكري المبجل
كاشفا عن رموزه حجب الاشـ • ـكال مستوفيا به كل مأمل

مودعا فيه كل بحث دقيق • مستبين دليله لم يؤول •
دمت مولى الكمال بحر علوم • مستمدا من فضله كل جدول
ان هذي آثارك الغر تقضى • لك ما عشت بالفخار المؤثل
قد شرحت الصدور منا بشرح • فيه للواردين أعذب منهل
وهو فأل من السعادة وافى • بضمان لكل ما نتأمل
بين من قاله ومن قيل فيه • لك حظ من المقاصد أكمل
دام شكري على خصوصا وشكر الناس يتلى عليك في كل محفل
الفقير اليه تعالى مصطفى الاطاكى عفى عنه

ومن قرظه جناب من تحلى بحلل الفضل والكمال واستولى على سويداء قلب الادب بصره الحلال الحسيب النسيب والكامل الاديب سويدى زاده يوسف افندى لا زال نور سودده ساطعا وكوكب سعده لامعا

سعدت بغداد بسعد وعنها الجهل أبعد
ومها العلم بها من • بعد ما قد كاد يفقد
مذ حباها الله محمو • د الذى للعلم شيد
فاضل قد ورث الفضل عن الآباء والجد
وهمام قد رقى بالعلم أعلى رتب المجد
فلعمرى شرحه للسعد وللسيد أقعد
ذاك شرح نحرت الكتب الى علياه مجد
جدير ان غدت أفواهه للفخر ترقد
كيف لا يسمو وقد جا • بمدح الغوث أحمد
الامام السيد الحجة والركن المشيد
يا سليل المصطفى الها • دى ومن للخلق أرشد
حزت فخرا فضله يبقى الى الحشر مخلد
وتسامت بكم الزو • راء فضلا ليس ينفد
دمت في أسعد عز • وأتم العيش أرغد

الداعى يوسف السويدى العباسى البغدادى عفى عنه